

النصِّ النَّبِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

(بحث علمي مقارنة لنيل درجة الماجستير
في التفسير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ)

تَأَلَّفُ

مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ

مكتبة العبيكان

© محمد بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود، ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
آل سعود محمد بن سعد بن عبدالرحمن
النصرانية في القرآن الكريم. / محمد بن سعد بن عبدالرحمن
آل سعود. - الطائف، ١٤٣٥هـ
٣٢٨ ص، ٥، ١٦ × ٢٤ سم
ردمك: ٠ - ٤٤٩٩ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١ - قصص الأنبياء ٢ - المسيح في القرآن أ. العنوان
ديوي ٥، ٢٢٩ ١٤٣٥ / ٢٥٥٩

رقم الإيداع: ١٤٣٥ / ٢٥٥٩
ردمك: ٠ - ٤٤٩٩ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

امتياز التوزيع

مكتبة العبيد

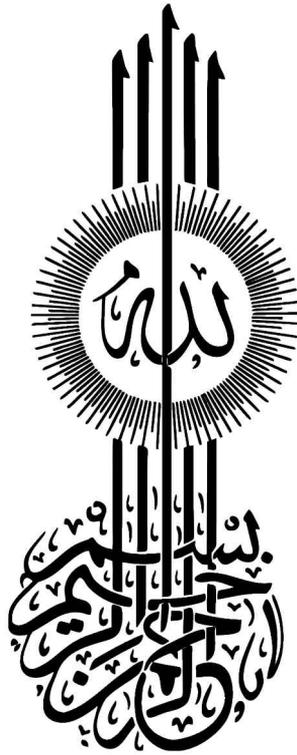
المملكة العربية السعودية - الرياض

المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ٠٠٩٦٦١ - فاكس: ٤٨٨٩٠٢٣ ٠٠٩٦٦١

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التجهيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.



﴿ مَحْتَوَاتُ الْكِتَابِ ﴾

→ الصفحت

← الموضوع

• المقدمة ٩

الباب الأول

حياة المسيح ﷺ من خلال الأناجيل الرَّسْمِيَّة عند النَّصَارَى وغيرها

• المبحث الأول: تاريخ تدوين الأناجيل ١٨

• المبحث الثاني: التبشير بالمسيح ﷺ ومولده من خلال الأناجيل

المعتبرة عند النَّصَارَى وغيرها ٢٧

نذر امرأة عمران ٢٧

زكريا وبشارته يحيى ٢٨

مولد يحيى ﷺ ٢٩

بشارة الملاك لمريم ٣١

مولد المسيح ﷺ ٣٢

نشأة المسيح ﷺ ٣٤

بشارة يحيى بمقدم المسيح عليهما السَّلام ٣٦

موقف يحيى ﷺ مع هيرودس ٣٧

التَّجربة ٣٨

• المبحث الثالث: دعوة المسيح ﷺ وحواريوه ومعجزاته ٤٠





- ٤١ تلاميذ المسيح عليه السلام
- ٤٥ تعاليم المسيح لتلاميذه
- ٤٦ معجزات المسيح عليه السلام
- ٤٧ • المبحث الرابع: موقف اليهود من دعوة المسيح عليه السلام
- ٥٢ مؤامرة اليهود ضدَّ يسوع
- ٦١ • المبحث الخامس: محاكمة المسيح
- ٦٥ قيامة يسوع
- ٦٧ اضطهاد المسيحيين بعد المسيح
- ٧١ المجامع والمسيحيون
- ٧٢ مجمع نيقية

الباب الثاني

المسيح عليه السلام وأمه في القرآن

- ٧٨ • المبحث الأول: نذر امرأة عمران
- ٨٠ كفالة زكريا عليه السلام مريم
- ٨١ طلب زكريا عليه السلام الولد
- ٨٦ بشارة الملائكة مريم
- ٨٩ مولد المسيح عليه السلام
- ٩٢ • المبحث الثاني: المفاجأة
- ٩٧ • المبحث الثالث: أسلوب عيسى عليه السلام في دعوته



- معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام ١٠٠
- الحواريون ١٠٤
- قصة المائدة ١٠٦
- المبحث الرابع: عيسى ومكائد اليهود ١١٠
- نهاية المسيح عليه السلام على الأرض ١١٤
- الاختلاف حول رفع المسيح ابن مريم عليه السلام ونزوله آخر الزمان ١١٦
- اختلاف الأحزاب من أهل الكتاب حول حقيقة عيسى ابن مريم ١٣٩
- المبحث الخامس: تأثر بعض النصارى بالإسلام ١٦٣
- الوفود من النصارى ١٧٢
- المباهلة ١٧٤
- إسلام عدي بن حاتم ١٧٧

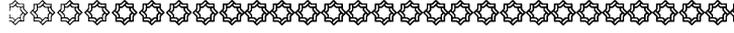
الباب الثالث

موازنة بين ما جاء في القرآن الكريم وبين ما جاء في الأناجيل الأربعة

حول تاريخ حياة المسيح عليه السلام

- تمهيد ١٨٣
- المبحث الأول: ولادة مريم وكفالة زكريا لها ١٨٥
- طلب زكريا الولد ومولود يحيى عليهما السلام ١٨٨
- بشارة مريم ١٩٨
- يحيى عليه السلام ٢٠٧
- المبحث الثاني: مولد المسيح عليه السلام ونشأته ٢١٢





- ٢٢٠ معجزات المسيح عليه السلام
- ٢٣٤ نهاية المسيح عليه السلام
- ٢٤١ • المبحث الثالث: موقف اليهود من النصارى اليوم
- ٢٤٧ • المبحث الرابع: تطوّر عقيدة النصارى
- ٢٥٧ • المبحث الخامس: الاتّصال ببعض النصارى في العالم
- ٢٨٣ • الخاتمة
- ٢٩٥ • مراجع البحث
- ٣٠٣ • ملحق
- ٣٠٥ • فهرسة مختصرة لما جاء في الأناجيل الأربعة الرّسمية لدى النصارى
- ٣٠٥ • أولاً: إنجيل متى
- ٣١٠ • ثانياً: إنجيل مرقس
- ٣١٢ • ثالثاً: إنجيل لوقا
- ٣١٦ • رابعاً: إنجيل يوحنا
- ٣٢١ • صور من الرسائل التي وردت من النصارى





المُقَدِّمَةُ

الحمد لله العالم بما كان، وما يكون علم إحاطة وشمول،
لاتخفى عليه خافية، ولا يعجزه شيءٌ في السماوات ولا في
الأرض، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، أحمده حمداً
كثيراً كما أمر، وأصلي وأسلم على صفوة خلقه من البشر،
وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى الأثر.

أمَّا بعد؛ فإنَّ الله خلق الخلق بإرادة منه ومشئته، وجعل
الإنسان على قائمة مخلوقاته كرامة، وميزه بالحكمة والبصيرة،
وأخضع له باقي مخلوقاته جميعاً، يتعاون معها، ويعينها،
ويستعين بها على بقاءه مدَّة حياته على الأرض.

وكان تكوين الإنسان - والله أعلم - ذا شقين: داخلي
وخارجي. فالشق الداخلي تتحكم فيه الغرائز والشُّعور،
ويُسمَّى في مجموعه الفطرة.

والشق الخارجي تتحكَّم فيه العوامل الحسيَّة ونواميس
الكون، ويسمَّى في مجموعه الطبيعة الإنسانية.



وكلا الشَّقِينِ يكمل أحدهما الآخر، ويتأثر به. والإنسان يولد على الفطرة لم يتأثر بعد بالعوامل الحسية المحيطة به في مجتمعه؛ ويعتمد في توجيهه على أبويه؛ فهما يهودانه أو ينصرانه؛ فهو يوجّه من داخله الوجهة التي يراد منه البقاء عليها مدة حياته.

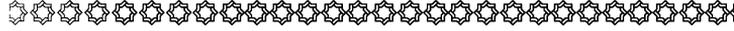
والإنسان بطبعه يكره القيود؛ ويحب الإنطلاق على هدي من غرائزه وميوله الفطرية ليطفئ ظمأها، ويشبع نهمها. غير أن هذه الغرائز والميول تتشابه في تكوينها وقوة تأثيرها عند كل مخلوق على الأرض. والإنسان قد ميّزه الله عن باقي المخلوقات بالعقل الذي بواسطته يستطيع أن يميّز بين الخير والشر في سلوكه ومأكله ومشربه. غير أن هذا العقل أضعف من أن يستقل بجميع شؤون الحياة ومعرفة كل ما يصلح الشأن وما يفسده، فأخذ يستلهم من الكون ظواهره الطبيعية، ويحاول أن يهتدي بهديها؛ لأنها في نظره تكبره في الحجم، وتمده بالحرارة والضوء.

ومن ثمّ، فهي ليست خاضعة له، ولا تتأثر بحيله أو جبروته، فصرف اهتمامه إليها، ووضع لنفسه أوقاتاً وطرقاً يخلو بتلك

الظواهر يتفكر في عظمتها، ويقدم لها الهدايا والنذور إذا أَلمت به ضائقة من أمره، ومع ملاحظاته المتكررة رأى أن هذه الظواهر لا تبقى على حال واحد، فهي تقوى وتضعف، تطلع وتغيب، تتوهج وتخبو، فأدرك بفطرته السليمة أن تلك الظواهر ما هي إلا مخلوقات، مثل بقية المخلوقات الأخرى يعترها الضعف، وتخضع لما هو أقوى منها، فهي لا تستحق منه كل ذلك التعظيم، ولا تلك الرهبة كلها، فأخذ يبحث عن الأقوى في هذا الوجود الذي لا يتأثر بشيء، ويكون له التأثير في كل شيء، حتى اهتدى في النهاية إلى الله، غير أنه لم يخلص العبادة له وحده، فأشرك معه غيره، عندما قاسه بالمخلوقين ليشفع له ذلك الغير عنده، وليقرِّبه منه، جهلاً منه وقصوراً في تفكيره.

فبعث الله من البشر مبشِّرين ومنذرين يعضدون العقل، يدعون إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له وحده، فهو الخالق الرزاق المدبِّر، وهو الحي القيوم لا يعتره ضعف ولا مسكنة، فأصبحت طاعة الله عند الخلق عادة وشأناً، مدفوعين إليها بالفطرة السليمة.

وتتابعت الرسل على مدى العصور والأجيال يدعون جميعهم بدعوة التوحيد الخالص، وأنزل الله مع بعضهم وحياً



يتلى، فيه الأحكام والشرائع التي نظمت حياة الإنسان على الأرض، وحددت علاقته مع غيره من المخلوقات، ورسمت له الطريق الأقوم الذي يوصله إلى مرضاة ربه، فكانت الرسل تتعاقب على الإنسانية بين كل فترة وأخرى؛ لتمنع النفس من أن تنساق خلف غرائزها وطبائعها البدائية. وقد صقل الدين الإسلامي تلك الغرائز والطباع، وجعلها تخضع لعوامل شتى تحدُّ من انطلاقها انطلاقاً همجياً، ووضع لها الأنظمة الكفيلة بإشباعها عن طريقٍ صحيحٍ لا يلحق الأذى بالآخرين.

وكان من تلك الرُّسل عليهم السَّلام عيسى ابن مريم، أرسله الله إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فأُنزل معه الإنجيل كتاب هداية ونور، ومصدّقاً لما بين يديه من التَّوراة كتاب موسى من قبله، وتسمَّى أتباعه من بني إسرائيل بالنَّصارى، وأمضى فيهم سنين يقوم ما اعوجَّ من أخلاقهم، ويرأب ما تصدَّع من معتقداتهم، وأجرى الله على يديه معجزات حسّية كثيرة فاقت في عددها معجزات الأنبياء الذين سبقوه، تدعيماً لدعوته، وتصديقاً لما جاء به عن ربّه. وجعل الله في مجموع معجزاته، ونهايته عليه السلام على الأرض فتنة لبني إسرائيل أخرجت



كثيراً منهم عن الجادة الصّحيحة، فألهوه، أو نسبوا إليه جزءاً من الألوهية، أو نسبوه في النسب إلى الله. كلُّ هذه المعتقدات الفاسدة الباطلة وغيرها لم تكن لتطفو على السّطح وعيسى عليه السلام بين ظهرانيهم؛ لأنّه لن يقَرّها ومن ثمّ سيحدّد موقفه من القائلين بها. ولكنّ الذي حدث هو أنّ التلاميذ الذين جاؤوا من بعده تفرّقوا في بلاد شتى من العالم، فشرع كلُّ منهم يدعو إلى الدّين المسيحي بمفهومه، ومعتقده، وألّف في ذلك إنجيلاً من مخيلته ضمّنه أقوال وتعاليم أدّعى سماعها عن المسيح عليه السلام، وتعاليمه.

والسّامعون يتفاوتون - كما هو معلوم - في الفهم والاستيعاب. وإنّ للأمزجة والعادات دخلاً في الاعتقادات، وإنّ لكلِّ قوم مشهورات مخصوصة بهم مسلّمة عندهم، وغيرهم لا يسلمون بها بل يردونها وجوباً، والنفس مسخرة للوهم، وله استيلاء عليها. فانقسم الإنجيل الواحد إلى بضعة عشر إنجيلاً تضمّن بعضها من المعتقدات الفاسدة ما أحبط عمل أصحابها، وجعلهم يستحقّون أن يسمّوا بالكفرة والمشركين.

وشيء واحد يبقى خالداً في الأذهان مفاده أنّ إنجيل المسيح عيسى ابن مريم الذي أنزله الله عليه وحياً من عنده لم يُسجّل

بين دفتي كتاب، بل بقي حروفاً وعبارات رددتها المسيح عليه السلام بين آونة وأخرى.

ثم بعث الله نبيَّ الهدى محمداً صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء في البشرية جمعاء، وضمَّن رسالته ما ارتضاه لعباده من دينٍ، وتعهَّد سبحانه بحفظ كتابه الذي أنزله عليه، فهو يتلى اليوم، غداً، ومن قبل، كما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، لم يتغير فيه معنىً، ولم ينقص منه حرفٌ، كتابٌ أحكمت آياته، صدقٌ كلُّها، حقٌ جميعها، ليس بينها مبدأً مشكوكٌ، ولا حرف كان يحسن ألا يوجد.

وقد جاء في القرآن الكريم المهيمن على غيره من الكتب السماوية، بيانٌ لما طرأ على الأديان، ومنها المسيحية، من ضلالات وانحرافات بعد رفع عيسى عليه السلام وموت غيره -عليهم الصلاة والسلام-. ويبيِّن أنَّ هذه الانحرافات والضلالات إنّما هي من صنع من جاء بعدهم، ممَّن يتسببون إلى هذه الأديان، ومعاذ الله أن يكون عيسى عليه السلام، قد قال لهم شيئاً ممَّا قالوه، أو حرّفوه، أو يكون نزل عليه شيء منه، فإنَّ الرُّسل جميعاً بعثوا بالتَّوحيد، صدق الله حيث قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد ناقشهم القرآن مناقشة علمية صادقة تقوم على العقل والنقل معاً، وأبطل تعريفاتهم وتأويلاتهم الفاسدة بما لا مزيد عليه. وأودُّ أن أنوّه هنا أن هذا البحث يبدو عند الشروع في قراءته كأنه استعراضٌ لحياة المسيح عليه السلام؛ لكثرة النقول التي جاءت فيه، خاصة ما جاء في الباب الأول منه. والحقيقة أن مرد ذلك يعود إلى أن البحث يتعلّق بنواحٍ تاريخية لا مجال للتعليق أو الاجتهاد معها، بل يجب إرجاع كلِّ تقريرٍ أو نتيجةٍ أو خبرٍ إلى مصدره الموثوق.

وقد يلاحظ القارئ أن هناك تكراراً وقع بين الموضوعات أو الفقرات، ومردُّ ذلك إلى الطريقة التي صيغت بها عناصر البحث، فمثلاً الباب الأول: عبارة عن حياة المسيح عليه السلام من خلال كتب النصارى. والباب الثاني: عبارة عن حياة المسيح عليه السلام من خلال القرآن الكريم. والباب الثالث: يجمع بين الأول والثاني، فهو عبارة عن إجراء مقارنة بين ما جاء في الأناجيل، وما جاء في القرآن حول حياة المسيح عليه السلام.

فكان الرجوع إلى الباب الأول والباب الثاني من البحث ضرورة لإجراء تلك المقارنة؛ لأن فيهما عناصرها كما لا يخفى.



الباب الأول

حياة المسيح ﷺ من خلال الأناجيل الرسمية

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: تاريخ تدوين الإنجيل.
- المبحث الثاني: التبشير بالمسيح ﷺ ومولده.
- المبحث الثالث: دعوة المسيح ﷺ وحواريوه ومعجزاته.
- المبحث الرابع: خصوم المسيح ﷺ ومعارضوه.
- المبحث الخامس: نهاية المسيح ﷺ على الأرض.
- المبحث السادس: محاكمة المسيح ﷺ.



المبحث الأول

تاريخ تدوين الأناجيل

لم يكتب الإنجيل في حياة المسيح، بل كان يُنقل شفاهية، واستمر الأمر كذلك بعد رفعه خمساً وثلاثين سنة (عند أكثر المحققين).

قال محمد فتحي عثمان: (وعند اضطهاد (نيرون) للمسيحيين رأى شيوخ الكنيسة وكبارها في خريف عام ٦٤ م أن يجتمعوا، وكلّفوا في اجتماعهم (مرقس) زميل (بطرس) أن يدوّن ما يستطيع أن يتذكّر من أحاديث المسيح وتعاليمه، فكتب (مرقس) بشارته، وحذا غيره حذوه، وتعدّدت البشائر..)^(١).

ولقد شاع بين المحققين أنّ هناك شكّاً في نسبة كلّ إنجيل من الأناجيل الأربعة المعترف بها بين النصارى بعد مؤتمر (نيقية الإيطالية) إلى صاحبه، وأنه لا يمكن إثبات سندٍ متصلٍ عند النصارى للديانة المسيحية. يقول صاحب كتاب (المسيحية

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، ط ٢، الدار القومية للطباعة والنشر، ص: ١١٢.



نشأتها وتطورها)^(١): (وإنَّ أَوَّلَ الصَّعَابِ التي تعترض الديانة المسيحية نجدها في النصوص نفسها التي تمتاز عن سائر النصوص الأخرى بضعف السند وبالاضطراب وعسر التحقيق، وأقدم هذه النصوص، وأهمُّها (العهد الجديد). وأنَّ الأصول التي كتبت عنها الأناجيل مفقودة، ومختلف في لغة كتابتها، وليس بين أيدهم سوى النُّسخ المترجمة عن الآرامية. ومعروف أن هناك أناجيل كثيرة اعتبرها المؤرخون في (نيقية) أناجيل منحولة من دون إبداء الأسباب، واتفقوا على الاعتراف والإقرار بالأناجيل الأربعة المعروفة اليوم، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

ومن الأناجيل المنحولة في زعمهم:

إنجيل برنابا، وإنجيل العبرانيين، وإنجيل المصريين، وإنجيل الطُّفولة، وإنجيل التَّذكرة، وغيرها كثير.

وقبل البدء في تتبُّع ما جاء عن المسيح ﷺ في الأناجيل الأربعة الرَّسمية حَسَن الحديث عن كلِّ إنجيل على حدة، وعن مؤلِّفه، حديثاً موجزاً:

(١) شارل جنيبير (أستاذ المسيحية ورئيس قسم الأديان في جامعة باريس) والكتاب ترجمه الى العربية الدكتور عبدالحليم محمود، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، ص ١٧



أول هذه الأناجيل إنجيل (متى) الذي يتكوّن من ثمانية وعشرين فصلاً كل فصل يتكوّن من مجموعة من الفقرات، و(متى) من تلاميذ المسيح ﷺ الاثني عشر (الحواريون) كما جاء في (إنجيل متى) الفصل التاسع: (وفيما يسوع يجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية، واسمه (متى) فقال له: اتّبِعني، فقام وتبعه).

و(متى) اليهودي الأصل كان عمّله قبل الاتّصال بالمسيح ﷺ جابياً للضرائب في خدمة الإمبراطورية الرومانية بفلسطين، وعمله هذا يميّته اليهود، ويعتبرون صاحبه ظالماً عنيف الطّباع (ولعلّ وظيفته جعلت له وضعاً خاصاً في جمعه من أقوال المسيح في إنجيله)^(١).

كتب (متى) إنجيله بعد رفع عيسى ﷺ بأكثر من ثلاثين عاماً باللّغة الآرامية، ووجّهه إلى اليهود في أرض فلسطين. وأصل إنجيل (متى) مفقود، ولا يوجد الآن سوى التّرجمة اليونانية. وقد وقع اختلافٌ شديدٌ حول تاريخ تدوينه ولغة تدوينه، وحوّل الذي قام بترجمته^(٢).

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة لفتحي عثمان، ص: ١١٠.

(٢) راجع كتاب: أضواء على المسيحية لمتولي يوسف شلبي مبعوث الأزهر في إندونيسيا ط ٢، الدار الكويتية، وراجع كتاب: إظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي تحقيق عمر الدسوقي، توزيع مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء. ج ١ ص ٧٦.

ثانياً: إنجيل (مرقس) واسمه يوحنا، كان تلميذاً للقديس بطرس. (وكان بطرس يجهل اليونانية، ولا يعرف سوى الآرامية، فلمّا ذهب إلى روما استدعى (يوحنا) الذي كان يدعى (مرقس) ليتّرجم بينه وبين سكان روما.

وكان (مرقس) من يهود قبرص يتكلّم اليونانية ويقرأ ويكتب. فالتحق بـ (برنابا) و (بولس) وبعد وفاة الأوّل انتقل إلى روما، ودوّن سيرة المسيح بطلب من أهل روما بين عامي ٥٥م، ٦٠م كما سمعها من فم (بطرس) دون تسلسل، بل وفقاً لاحتياجات القول ودواعيه^(١).

هذا، وإنّ خلافاً وقع بين المؤرّخين حول الكاتب الحقيقي للإنجيل: (فابن البطريق وهو من المؤرّخين الشّرقيين يقرّر أنّ الذي كتبه هو (بطرس) عن (مرقس). (وأورينوس) يقرر أنّ الذي كتبه هو (مرقس) من غير تدبير (بطرس)؛ لأنه كتبه بعد موته)^(٢).

وكذلك هناك خلافاً حول تاريخ كتابته، ويتكوّن من ستّة

عشر فصلاً.

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة فتحي عثمان، ص ١١٣.
(٢) راجع كتاب: محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة، ط ٣، سنة ١٣٨٥هـ، ص: ٥٠، مطبعة المدني.



وثالثها: إنجيل (لوقا) الطَّيِّب تلميذ (بولس) وصاحبه
وبرأيه أَلْف إنجيله - ومن هنا جاء القول: إن إنجيل (لوقا) هو
إنجيل (بولس) - ويرى رجال الاختصاص علاقة وثيقة بين
هذا الإنجيل وبين سفر أعمال الرُّسل من حيث جوهر الرِّسالة
واللُّغة والأسلوب، فينسبون الأخير إلى (لوقا) أيضاً.

وهكذا لم ينقل إنجيلي (مرقس) و(لوقا) عن المسيح
مباشرة، بل الأوَّل نقل عن (بطرس) والآخر عن (بولس)^(١)،
ويتكوَّن من أربعة وعشرين فصلاً.

ورابعها: إنجيل (يوحنا) الحبيب الَّذي كان يحبه المسيح ﷺ
كما يعتقد النَّصارى، (وإنجيل يوحنا هو الإنجيل الَّذي تضمَّنت
فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح)^(٢).

ونجد أن هناك من يشكُّ في إنجيل (يوحنا) ابن زبدي
التَّلميذ ونسبته إليه، نقل أبو زهرة في محاضراته عن النَّصرانية
عن دائرة المعارف البريطانية ما يلي: (أمَّا إنجيل يوحنا فإنَّه
لا مريّة، ولا شكَّ كتابٌ مزوَّر، أراد صاحبه مضادة اثنين من

(١) راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة لفتحي عثمان، ص: ١١٣.

(٢) راجع كتاب: محاضرات في النصرانية محمد أبو زهرة، ص: ٥٣.

الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان (يوحنا) و(متى)، وقد ادّعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبّه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصّاً مع أنّ صاحبه غير يوحنا يقيناً...^(١).

فالشك قائم في نسبه هذا الإنجيل إلى التلميذ (يوحنا) كما هو الحال في سائر الأناجيل الرسمية المعتمدة لدى النصارى اليوم. وأستطيع القول: إنّ كلّ صلة تربط المسيحي بالمسيح عليه السلام مشكوك في صحتها، وهي عرضة للبحث والدراسة والتّحقيق؛ وذلك نتيجة فقدان السّند المتّصل بين المسيح عليه السلام وإنجيله الحقيقي من جهة وبين النصارى والمسيح نفسه من جهة أخرى.

ولقد كان لليهود دورٌ خطيرٌ في تشويه وطمس معالم إنجيل أو كتاب المسيح الذي جاء به من ربّه المُرْتَكِز على التّوحيد الصّادق والدّعوة إلى عبادة الرّب الواحد لا إله إلا هو.

ومن أخطر أولئك اليهود الذين اعتنقوا الدّين المسيحي لإفساده هو بولس اليهودي المتعصّب ليهوديته، الذي لاقى

(١) المصدر نفسه، ص: ٥٤.

كثيرٌ من النَّصاري على يديه قبل تنصُّره صنوفاً من الاضطهاد والعذاب، لا لشيءٍ إلا لكونهم يدينون بالنصرانية.

يقول (بولس) نفسه عن نفسه: (أنا رجلٌ يهوديٌّ ولدتُ في طرسوس كيليكية، لكنِّي ربيت في هذه المدينة -أورشليم- وتأدَّبت لدى قدمي جمليل^(١) على حقيقة النَّاموس الأبوي، وكنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم، وقد اضْطَهَدْتُ في هذه الطَّرِيقَة حتَّى بالموت، مقيِّداً، ومسلماً إلى السَّجن رجالاً ونساءً، كما يشهد لي رئيس الكهنة وجميع الشُّيوخ الذين أخذت منهم رسائل إلى الإخوة، وانطلقت إلى دمشق لآتي بمن هناك إلى أورشليم موثِّقين ليعاقبوا. فاتَّفَق وأنا سائر، وقد دنوت من دمشق عند الظُّهر أن أبرق حولي من السماء بغتةً نورٌ عظيمٌ، فسقطت على الأرض، وسمعت صوتاً يقول لي: شاول، شاول، لم تضطهدني؟ فأجبت: من أنت يا ربُّ؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده.

(١) عالمٌ يهوديٌّ تولَّى رئاسة السَّنهدرين، فسَّر الكتاب المقدس ومدرسته من ألمع المدارس اليهودية في ذلك العصر.

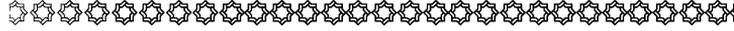
والَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ رَأَوْا النُّورَ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي
كَلَّمَنِي. فَقُلْتُ: مَاذَا أَصْنَعُ يَا رَبُّ؟ فَقَالَ لِي الرَّبُّ: قُمْ امضِ إِلَى
دَمَشَقَ، وَهَنَّاكَ تُخْبِرُ بِجَمِيعِ مَا رَسَمَ عَلَيْكَ أَنْ تَعْمَلَهُ^(١).

وفي دمشق بدأ يبشر بين اليهود، فقاوموه، فخرج إلى بادية
الشام، ومكث هناك ثلاث سنواتٍ سافر بعدها إلى أورشليم،
فوجد مقاومة أيضاً، فرحل إلى أنطاكية.

هلك (بولس) مع (بطرس) سنة ٦٤م على يد (نيرون)
(كان أبوه من الفريسيين، ونشأ ابنه على مبادئ هذه الشيعة
الدينية المتحمسة، وظلَّ رسول الأمم طوال حياته يعدّ نفسه
فريسيّاً حتى بعد أن نبذ الشريعة اليهودية... ولم يتعلّم تعليماً
راقياً، ولم يدرس الكتب اليونانية... وقد بقي (بولس) إلى آخر
أيامه يهودياً في عقله وخُلُقِه... وكان فيه من الإحساس القوي
والخيال أكثر مما فيه من نزاهة الحكم والنظرة الموضوعية إلى
الأشياء، وكان قوياً في العمل؛ لأنه كان ضيق التفكير)^(٢).

(١) راجع أعمال الرسل: ٢٢/٤-١١.

(٢) راجع كتاب: قصة الحضارة تأليف ول ديورانت ج ٣ المجلد ٣ رقم ١١ (قصر
والمسيح) ترجمة محمد بدران ط ٣ ص: ٢٤٩.



والذي مازال مجهولاً عن (بولس) هو من أين تلقى أصول ومبادئ الدين المسيحي الذي شرع منذ أن دخل دمشق يبشر به، ويدعو إليه، وهو اليهودي المتعصب ليهوديته؟! عاش فترة من عمره طويلة يحمل لغير الديانة اليهودية - خاصة الديانة النصرانية - كرهاً وحقداً شديدين، وكان أبعد ما يكون عن دراسة أصول الدين المسيحي في تلك الفترة من حياته قبل أن يعتنق الدين المسيحي؟؟

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: (ولكن (بولس) أبو العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده، وأن يحملهم على نسيان العقل، عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه)^(١). وكان المسيح في تصوّر (بولس) (إنساناً سماوياً سبقت عناصره الروحية في الوجود، وجوده الجسدي، وكانت من قَبْل في السماء، فعيسى هو الروح جاء إلى الأرض لينشئ إنسانية جديدة يحررها من أثقال الخطايا بقبوله أن يعيش عيشة الإنسان المحقّر، وأن يموت ميتة الأثم المشينة)^(٢).

(١) راجع كتاب: محاضرات في النصرانية، ص: ٨١.

(٢) راجع كتاب: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير، ص: ١٤٩.





المبحث الثاني

التبشير بالمسيح عليه السلام ومولده من خلال

الأنجيل المعتبرة عند النصارى وغيرها

بعد استعراض أهم أصول الديانة المسيحية المعمول بها اليوم، والوقوف على أهم الشبه والشكوك التي حامت حول صحتها، ونسبتها إلى أصحابها، ناهيك عن صحة نسبتها إلى السيد المسيح عليه السلام نفسه. وحيث إنَّ بحثي يتطلَّب عرض حياة المسيح عليه السلام من خلال كتب النصارى، فلا مناص من الرجوع إلى تلك الأنجيل الأربعة وإلى أعمال الرسل وبعض الرسائل التي تُعرف في مجموعها بالعهد الجديد على الرغم مما فيها من مغالطات ومخالفات ظاهرة لكلِّ متتبِّع، ولا يتَّسع المقام لتفنيدها هنا.

نذر امرأة عمران:

نلاحظ أنَّ الأنجيل الأربعة المعتمدة لم تتطَّرق إلى ذكر شيء عن نذر امرأة عمران ما في بطنها، بينما نجد أنَّ الحديث



عن هذا الموضوع موجودٌ في أحد هذه الأناجيل المنحولة، في زعم النَّصاري، جاء في إنجيل (يعقوب) المنحول ف ٣٠-٣٩: (إنَّ شهوة الولد وجِدَّت عند حنَّه أمِّ مريم، ونذر امرأة عمران جنينها للرَّب وتقدِّم مريم للهيكل، وهي بنت ثلاث سنوات، حيث تأكل من يد ملائِك إلى سنِّ الثالثة عشرة، وإقامتها في الهيكل، حيث لم يكن يدخل سوى الكهنة في نوبات خدمتهم، وتربية مريم بين كهنة الهيكل، ولم تكن التَّوراة تجيز ذلك)^(١).

زكريا وبشارته بيحيى:

جاء في إنجيل (لوقا) الفصل الأول ما يلي: (كان في أيام (هيرودس) ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة (أبيا) وامرأته من بنات هارون اسمها اليصابات، وكان كلاهما بارَّين أمام الله سائرَيْن في جميع وصايا الرَّب وأحكامه بغير لوم. ولم يكن لهما ولدٌ؛ لأن اليصابات كانت عاقراً، وكانا كلاهما قد تقدما في أيامهما. وبينما كان يَكهُنُّ في نوبة فرقه أمام الله، أصابته القُرعة على عادة الكهَنوت أن يدخل هيكل

(١) راجع كتاب: القرآن والكتاب للأستاذ الحداد (الخوري الحداد) القسم الثاني، أطوار الدَّعوة القرآنية، ص ٩٥٠.

الرَّبُّ وَيُبَيِّنُ. وكان كلُّ جمهور الشَّعب يُصَلِّي خارجاً في وقت التَّبْخِيرِ، فترأى له ملاك الرَّبِّ واقفاً عن يمين مذبح البخور، فاضطرب زكريا حين رآه، ووقع عليه خوفٌ. فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا، فَإِنَّ طَلْبَتَكَ قد اسْتُجِيبَتْ وامرأتك اليصابات ستلد ابناً، فتسميه يوحنا... فقال زكريا للملاك: بِمَ أعلم هذا، فَإِنِّي شيخٌ، وامرأتي قد تقدّمت في أيامها، فأجابه الملاك، وقال له: أنا جبرائيل الواقف أمام الله قد أرسلتُ لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنك تكون صامتاً، فلا تستطيع أن تتكلم إلى يوم يكون هذا، لأنك لم يُصدّق كلامي الذي سيتمُّ في أوّنه. وكان الشَّعب منتظراً زكريا متعجباً لإبطائه في الهيكل، فلمّا خرج لم يستطع أن يكلمهم، فعلموا أنّه رأى رؤيا في الهيكل، وكان يشير إليهم وبقي أبكم. ولما تمّت أيام خدمته مضى إلى بيته، وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته، فاختبأت خمسة أشهر...).

مولد يحيى عليه السلام:

يقول (لوقا) في الفصل الأول: (أمّا اليصابات فلمّا تمّ زمان وضعها ولدت ابناً... وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبي، ودعوه باسم أبيه زكريا، فأجابت أمه قائلة: كلا، لكنّه يدعى



يوحنا... ثم أومؤوا إلى أبيه زكريا أن يسمِّي، فطلب لوحاً، وكتب فيه قائلاً: اسمه يوحنا، فتعجبوا كلهم، وفي الحال انفتح فمه ولسانه، وتكلم مباركاً لله) وقال لابنه يخاطبه: (وأنت أيها الصَّبي، نبي العليِّ تُدعى) ويقول (لوقا): (وكان الصَّبي ينمو، ويتقوى بالروح، وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل).

وقد أجمعت الأناجيل الرسمية على القول: إن يحيى عليه السلام لم يكن إلا مبشراً بمقدم المسيح عليه السلام، ويسمونه يوحنا المعمدان. يقول (متى) في إنجيله على لسان يوحنا: (أنا أعمدكم بالماء للتوبة، وأما الذي يأتي بعدي فهو أقوى مني، وأنا لا أستحق أن أحمل حذاءه، وهو يُعمدكم بالروح القدس والنار)^(١).

وهناك كما ذكر (لوقا) في إنجيله علاقة بين الیصابات أم يوحنا وبين مريم أم المسيح، ذكر في إنجيله محاورة بين الملاك جبرائيل وبين مريم جاء فيها: (وها إن الیصابات نسيتك قد حبلت هي أيضاً بابنٍ في شيخوختها، وهذا الشهر هو السادس لتلك المدعوة عاقراً؛ لأنه ليس أمراً غير ممكنٍ لدى الله)^(٢).

(١) إنجيل متى ١١/٣ وإنجيل مرقس ٧/١، وإنجيل لوقا ٣/١٥، وإنجيل يوحنا ١/٢٣.

(٢) إنجيل لوقا ١/٣٦.



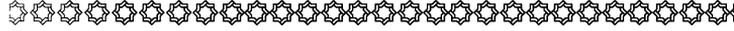
فاليصابات نسيبة لمريم تدخلت القدرة الإلهية في حبَلهما على الرغم من أنَّهما في ظروفٍ لا تسمح لهما في الغالب بالحبَل، فالأولى تقدّمت بها السنن، وعُرفت أنَّها عاقر، والثانية عذراء لم يمسسها ذكرٌ. قال (لوقا): (في تلك الأيام قامت مريم، وذهبت مُسرعةً إلى الجبل إلى مدينة يهوذا، ودخلت إلى بيت زكريا، وسلّمت على اليصابات، فعندما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين في بطنها، وامتلات اليصابات من الرُّوح القدس، فصاحت بصوتٍ عظيم، وقالت: مُباركة أنت في النساءِ، ومُباركة ثمرةٌ بطنك، من أين لى هذا أن تأتي أم ربي إليّ. فإنه عندما بلغ صوت سلامك إلى أذني ارتكض الجنين من الابتهاج في بطني)^(١).

بشارة الملاك لمريم:

قال (لوقا): (وفي الشَّهر السَّادس أرسل الملاك جبرائيل من قِبَل الله إلى مدينة في الجليل تسمّى ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود، واسمها العذراء مريم، فلمَّا دخل إليها الملاك قال: السَّلام عليك يا ممتلئة

(١) إنجيل لوقا ١/٣٩-٤٤.





نعمة، الرَّبِّ معك، مباركةٌ أنتِ في النَّساء. فلمَّا رأته اضطربت من كلامه، وفكرت ما عسى أن يكون هذا السَّلام، فقال لها الملاك: لا تخافي، فإنَّك قد نلتِ نعمة عند الله، وها أنتِ تتحبَّلين وتلدين وتسمِّينه يسوع، وهذا سيكون عظيماً وابن العليِّ يُدعى، وسيعطيه الرَّبُّ الإله عرش داود أبيه، ويملك على آل يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكه انقضاء. فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا، وأنا لا أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك، وقال لها: إنَّ الرُّوح القدس يحلُّ عليك وقوَّة العليِّ تُظَلِّك، ولذلك فالقدوس المولود منك يُدعى ابنُ الله...، فقالت مريم: ها أنا أمة الرَّبِّ، فليكن لي بحسب قولك. وانصرف الملاك من عندها^(١).

هذه بشارة الملاك جبرائيل لمريم، وقد تمَّت بطريق مباشرٍ بينهما، وحبَّلتها (إنَّما هو من الرُّوح القدس)^(٢).

مولد المسيح العلِيَّ:

ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام (هيرودس) الملك^(٣)، وفي تلك الأيام صدر أمر من (أوغسطس) قيصر بأن

(١) إنجيل لوقا ١/٢٦-٣٥.

(٢) إنجيل متى ١/٢٠.

(٣) متى ٢.



يُكْتَبُ جميع المسكونة، فانطلق الجميع ليكتبوا كل واحد إلى مدينته، وصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة إلى اليهودية إلى مدينة داود التي تدعى بيت لحم؛ لأنه من بيت داود ومن عشيرته، ليكتب مع مريم امرأته المخطوبة وهي حُبلى. وبينما كانا هناك تَمَّت أيام ولادتها، فولدت ابنها البكر فلفَّته، وأضجعه في مِزْوِدٍ؛ لأنه لم يكن لهما موضعٌ في المنزل^(١).

ويقول (متى) في إنجيله: (أُمَّا مولد المسيح فكان هكذا: لما خُطِبَت مريم أمُّه ليوسف وُجِدَتْ من قَبْلِ أن يجتمعا حُبلى من الرُّوح القدس، وإذ كان يوسف رجلها صِدِّيقاً، ولم يرد أن يُشهرها همَّ بتخليتها سِراً. وفيما هو متفكِّرٌ في ذلك إذ بملاكٍ تراءى له في الحُلُم قائلاً: يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ امرأتك مريم، فإن المولود منها إنما هو من الرُّوح القدس، وستلد ابناً فتسمِّيه يسوع؛ لأنه هو الذي يُخلِّص شعبه من خطاياهم... فلمَّا نهض يوسف من النوم صنع كما أمره ملاك الرب، فأخذ امرأته، ولم يَعْرِفْها حتَّى ولدت ابنها البكر، وسمَّاه يسوع)^(٢).

(١) لوقا ٢: ١-٧.

(٢) راجع إنجيل متى ١/١٨-٢٥.



نشأة المسيح عليه السلام:

إنَّ أوَّل من اكتشف مولد المسيح عليه السلام هم مَجُوسٌ أقبلوا من المشرق إلى أورشليم يسألون عن المولود، ملك اليهود ليسجدوا له، فقد رأوا نجمة في المشرق، وقد فزع الملك (هيرودس) عند سماعه ذلك؛ لأنَّه كان يخشى على ملكه من الزوال، فتأكَّد من الكهنة، وكتبة الشَّعب عن أن بيت لحم اليهودية هي مكان مولد المسيح (حينئذٍ دعا (هيردوس) المَجُوسَ سرّاً، وتحقَّق منهم زمان النجم الذي ظهر، ثمَّ أرسلهم إلى بيت لحم قائلاً: اذهبوا، وابحثوا عن الصَّبي متحقِّقين، وإذا وجدتموه، فأخبروني لكي أذهب أنا أيضاً، وأسجد له)، وكان يمكر بهم؛ لأنَّ (هيردوس) كان يريد أن يقتل الصَّبي، غير أنَّه أُوحِيَ إلى المَجُوس (في الحلم ألا يرجعوا إلى (هيردوس) فرجعوا في طريق أخرى إلى بلادهم... ولمَّا انصرفوا إذ بملاك الرَّب تراءى ليوسف في الحلم قائلاً: قم فخذ الصَّبي وأمه، واهرب إلى مصر، وكُن هناك حتَّى أقول لك، فإنَّ (هيردوس) مزعجٌ أن يطلب الصَّبي ليُهْلِكه)^(١). ففعل يوسف ذلك.

(١) راجع إنجيل متى ١٣/٢.

(وهيردوس) لما رأى أن المجوس قد سخرُوا به، غضب جداً، وأرسل، فقتل كلَّ صبيان بيت لحم وجميع تخومها من ابن ستين فما دون، على حسب الزَّمان الَّذِي تحقَّقه من المجوس. (فلَمَّا مات (هيردوس) إذ بملاك الرَّبِّ تراءى ليوسف في الحُلْمِ بمُصرَ قائلاً: قم، فخذ الصَّبي وأمه، واذهب إلى أرض إسرائيل، فقد مات طالبوا نفس الصَّبي. ففعل، ولكنه لم يعد إلى بيت لحم؛ لأنَّه خشي من ابن (هيردوس) الَّذي تولَّى الملك بعد أبيه، فذهب إلى مدينة النَّاصرة بالجليل)^(١).

ويقول لوقا: إنَّ أوَّل من علِمَ بمولد المسيح عليه السلام. (رعاة بيتون في البادية يسهرون على رعيهم في هجعات اللَّيل)^(٢)، وأخبروا بواسطة الملاك عن مولد المسيح عليه السلام.

ويقول لوقا عن نشأة المسيح عليه السلام: (ولما تمَّت أيام التَّطهير بحسب ناموس موسى صعدا به إلى أورشليم ليقدماه للرَّبِّ على حسب ما كتب في ناموس الرَّبِّ: أنَّ كلَّ ذكْرٍ فاتح رَحِمٍ يُدعى مُقدساً للرَّبِّ، وليقرَّباً ذبيحة على حسب ما قيل في ناموس الرَّبِّ، زوجي يَمَامٍ أو فرخي حَمَامٍ... ولَمَّا أتمُّوا كلَّ

(١) متى ٢/١٩-٢٣.

(٢) (لوقا): ٢.



شيء على حسب ناموس الرب رجعوا إلى الجليل إلى مدينتهم
الناصرة، وكان الصبي ينمو، ويتقوى ممتلئاً حكمة، وكانت
نعمة الله عليه^(١).

وعند بلوغه سنَّ الثانية عشرة رافق (أبويه) إلى أورشليم
بمناسبة عيد الفصح، وفي العودة تخلف عنهما، فبحثا عنه،
فوجداه بعد ثلاثة أيام في الهيكل جالساً بين المعلمين يسمعهم،
ويسألهم.

بشارة يحيى بمقدم المسيح عليهما السلام:

(في السنَّة الخامسة عشرة من ملك (طباريوس) قيصر...
كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية، فجاء إلى بقعة
الأردن كلَّها يبشِّر بمعمودية التَّوبة لمغفرة الخطايا... وإذ كان
الشَّعب ينتظر والجميع يفكِّرون في قلوبهم عن يوحنا لعلَّه
هو المسيح، أجابهم يوحنا أجمعين قائلاً: أنا أعمدكم بالماء،
ولكن يأتي من هو أقوى منِّي، وأنا لا أستحقُّ أن أحلَّ سيور
حذائه، وهو يعمدكم بالروح القدس والنَّار)^(٢).

(١) إنجيل (لوقا): ٢٤-٢٤ / ٢-٤٦.

(٢) إنجيل (لوقا): ٣.

(كان يوحنا يُعَمِّد في البرية، ويُكْرز بمعمودية التَّوبَة لغفران الخطايا، وكان يخرج إليه جميع أهل بلد اليهودية، وأورشليم، فيعتمدون منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم... وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل، واعتمد من يوحنا في الأردن وللوقت، إذ صعد من الماء رأى السَّمَاوَات قد انفتحت والروح مثل حمامة قد نزل، واستقرَّ عليه)^(١).

موقف يحيى عليه السلام مع هيرودس:

أمَّا يحيى عليه السلام فقد ألقاه الملك (هيرودس) في السَّجْن بسبب أن يحيى (كان يُبَكِّتُه من أجل (هيروديا) امرأة أخيه ومن أجل جميع الشرور التي كان هيرودس يصنعها)^(٢). وكان يريد أن يتزوَّج من امرأة أخيه، وقيل: هي ابنة زوجته، وهي لم تزل في عصمة زوجها فأنكر عليه يوحنا ذلك، فزجَّ به في السَّجْن (وكان يريد قتله، فخاف من الجمع؛ لأن يوحنا كان يُعَدُّ عندهم نبياً)^(٣).

(فلَمَّا كان مولد (هيرودس) رقصت ابنة (هيروديا) في الوسط، فأعجبت (هيرودس) ولذلك وعدَّها بقسمٍ إنَّه يعطيها

(١) إنجيل متى: ٣/١٣-١٧.

(٢) إنجيل الوفا: ٣/١٩.

(٣) إنجيل متى: ١٤/٥.

كُلَّ ما تطلبه، فتلقَّنت من أمِّها، ثمَّ قالت: أعطني ههنا رأس يوحنا المعمدان في طبق، فحزن الملك، ولكن من أجل اليمين، والمتكئين معه أمر أن تعطاه، وأرسل فقطع رأس يوحنا في السِّجن، وأتى بالرَّأس في طبقٍ، ودفع إلى الصَّبية، فجاءت به إلى أمِّها، وجاء تلاميذه، فأخذوا جسده، ودفنوه، وأتوا، وأخبروا يسوع^(١).

يا له من عملٍ فظيعٍ وعملٍ وحشيٍّ وغاية دنيئة، ولكن قتل الأنبياء من أبرز سمات اليهود منذ أقدم العصور.

التَّجربة:

تَحكي الأناجيل الثلاثة (متى)، (لوقا)، (مرقس) أنَّ المسيح عليه السلام قد تعرَّض لتجربةٍ من إبليس اللعين، خلاصتها:

أنَّ الرُّوح القدس أخرج المسيح عليه السلام إلى البرية ليُجَرَّب من إبليس، وكان مع الوحوش، وكانت الملائكة تخدمه. صام أربعين يوماً وليلةً، وأخيراً جاع، فقال له إبليس: (إن كنت ابن الله فمر أن تصير هذه الحجارة خبزاً)، فأجابته: (ليس بالخبز

(١) إنجيل متى: ١٤ / ٦ - ١٢.

وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله)، بعدها أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة أورشليم، وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: (إن كنت ابن الله فألق بنفسك إلى أسفل)، فأجابه المسيح ﷺ: (لا تجرب الرب إلهك)، فصعد به إبليس اللعين إلى جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها في لمحة من الزمان، ومنه إياها جميعاً إن هو خر له ساجداً، عندها قال المسيح ﷺ: (اذهب يا شيطان، فإنه قد كُتِبَ للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) حينئذ تركه إبليس اللعين، وانصرف عنه إلى حين^(١).



(١) إنجيل متى: ٤، إنجيل مرقس: ١، إنجيل لوقا: ٤.



المَجِيءُ الثَّلَاثُ

دعوة المسيح ﷺ وحواريوه ومعجزاته

(ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة)^(١)، وكان يوحنا المعمدان يقول: (حسناً قد انقضى زمني، وعندما أذهب أنا يحلُّ من هو أبهى منِّي، الَّذِي كنت أترقِّبه. أنتم أنفسكم تشهدون لي أنني قلت: لست أنا المسيح إنِّي مرسلٌ أمامه، ما أنا إلا صديق العروس المتواضع يكمل فرحي به، وها أنا أصمت، ولكن في الصمت المحيط بي أسمع صوت العريس، لذلك أنا أفرح، هو يزيد وأنا أنقص، إذن فرحي هذا قد كَمُلَ)^(٢).

وبعد ذلك بمدة بسيطة قبَضَ (هيرودس) على يوحنا المعمدان، وزجَّ به في أحد حصون فلسطين الجنوبية التي تطلُّ على مياه البحر الميت الرَّاكدة، للأسباب التي ذكرتها آنفاً. (ولمَّا سمع يسوع أن يوحنا قد أُسْلِمَ انصرف إلى الجليل وترك

(١) إنجيل لوقا: ٣/ ٢٣.

(٢) راجع كتاب: حياة يسوع للدكتور (بترسون سميث) ترجمة حبيب سعيد ط ٢ صدر عن دار الشُّرق والغرب بمصر وفلسطين ص: ٩٦.



النَّاصِرَة، وجاء فسكن في كفر ناحوم...^(١). يقول صاحب كتاب: حياة يسوع، تعليقاً على مُغادرة المسيح ﷺ لأورشليم إلى كفر ناحوم: (لأنه علم أن الفريسيين^(٢) سمعوا أنه يُصير، ويُعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا، ومعنى هذا أنهم كانوا يراقبونه، وأن القبض عليه سوف يعقب القبض على يوحنا حالاً... ولذلك ختم خدمته التي سرّ بها في تلال اليهودية، ومضى إلى الجليل مجتازاً السامرة).

(ومنذئذٍ إذ ابتداء يسوع يكرز، ويقول: توبوا، فقد اقترب ملكوت السموات)^(٣).

تلاميذ المسيح ﷺ:

عندما شرع المسيح يدعو حرص أول ما حرص على اختياره تلاميذه من الأشخاص الذين يمرُّ بهم في طريقه إلى أورشليم من الجليل (وفيما كان ماشياً على شاطئ بحر الجليل

(١) إنجيل متى: ١٢/٤.

(٢) الفريسيون: طائفة من اليهود جامعين للرأى والعنف، وكانوا يقولون: إن الدين والعبادة في الأمور الظاهرة لا غير، ويفسدون شريعة الله بتفاسيرهم الباطلة. (راجع حواشي على المجلد الثالث من الكتاب المقدس إنجيل متى: ٣، المطبعة الكاثوليكية بيروت عام ١٩٦٤م)، وراجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة لفتحي عثمان ص: ٦٦.

(٣) راجع كتاب: حياة يسوع لبترسون سميث ص: ٩٦.

رأى (سمعان) و(أندرواس) أخاه يلقيان شباكاً في البحر؛ لأنهما كانا صيادين، فقال لهما يسوع: اتبعاني، فأجعلكما صيادي الناس، فللوقت تركا الشباك وتبعاه. وجاز من هناك قليلاً، فرأى (يعقوب بن زبدي) و(يوحنا) أخاه وهما في السفينة يصلحان الشباك، فدعاهما للوقت، فتركا أباهما زبدي في السفينة مع الأجراء وتبعاه. ودخلوا كفر ناحوم وللوقت دخل المجمع في السبت، وكان يعلمهم^(١). (فخرج بعد ذلك، فرأى عشاراً اسمه (لاوى)^(٢) جالساً عند مائدة الجباية، فقال له: اتبعني، فترك كل شيء، وقام، وتبعه).

ويقول (متى): (ودعا تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة، لكي يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف). وهذه أسماء الاثنا عشر رسولاً: الأول سمعان المدعو بطرس، ثم إندرواس أخوه، ويعقوب بن زبدي، ويوحنا أخوه، وفليس، وبرتلماوس، وتوما، ومتى العشار، ويعقوب بن حلفي، وتداوس، وسمعان القانوني، ويهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأمرهم قائلاً:

(١) إنجيل مرقس: ١٦/١-٢١.

(٢) هو متى صاحب الإنجيل.

إلى طريق الأمم لا تتجهوا ومدن السّامريين لا تدخلوا، بل انطلقوا بالحرى إلى الخراف الضّالة من آل إسرائيل^(١).

(وقال لهم: لا تحملوا في الطّريق شيئاً، لا عصاً، ولا مزوداً، ولا خبزاً، ولا فضةً، ولا يكون لكم ثوبان، وأي بيت دخلتموه، فهناك امكثوا، ومن ثمّ لا تخرجوا)^(٢). وقال لهم: (ها أنا مرسلكم مثل خراف بين ذئاب، فكونوا حكماء كالحيات وودعاء كالحمّام)^(٣).

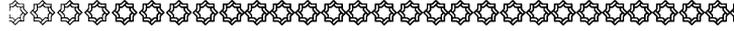
وعن التلاميذ يقول أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس: (كان أصحاب عيسى وأتباعه يهوداً سدّجاً بسطاء ليس لهم شأنٌ في قومهم، ولا يمتازون بثقافة كبيرة، واقتصر طموحهم على الرّغبة في دفع (الخراف الضّالة في بيت إسرائيل) نحو طريق النّجاة. وجميع الدلائل تحملنا على الاعتقاد بتعصّبهم لبني جلدتهم من اليهود، وكانت فكرة تبشير الوثنيين بعيدة كلّ البعد عن عقولهم. بل الواقع أنّه كان من ضرور المستحيل أن يتصوّروا إمكان انتشار الإنجيل بين رجال لم يؤمنوا بالعتيدة اليهودية قبل ذلك.

(١) إنجيل متى: ١٠/١-٦.

(٢) إنجيل لوقا: ٩/٣.

(٣) إنجيل لوقا: ٩/٣.





وخلاصة القول: إنه لم يتبقَّ لدينا أيُّ معلوماتٍ يمكن الاعتماد عليها عن حياة أصحاب عيسى المباشرين سوى الفصول الأولى من مجموعة «أعمال الرُّسل» وحتى هذه الفصول لم تصل إلينا إلا في نسخة تختلف كثيراً - وبصورة تدعو إلى الشك - عن النصِّ الأوَّل. وإن هذا الصمت ليدعو إلى الاعتقاد أنهم لم يقوموا بأعمال خارقة والمرجح أنَّهم لم يكونوا يستطيعوا ذلك^(١).

ويقول مؤرِّخ قصة الحضارة: (ويصعب علينا أن نقول: إنَّ أولئك الرسل كانوا من طراز الذين يختارون ليبدِّلوا أقوال العالم، فالأنجيل تظهر ما بين أخلاقهم من اختلاف واقعي، وتكشف عن عيوبهم كشفاً صريحاً، فهم لا يخفون مطامعهم. وكانوا في طوافهم مع المسيح في رحلته التبشيرية يعيشون على ما يقدِّمه القرويون، ويأخذون طعامهم آنأ بعد آن مما يمرُّون به من الحقول، ويقبلون ضيافة أصدقائهم ومن يهتدون بهديهم. وقد أضاف عيسى إلى الاثني عشر اثنين وسبعين من الأتباع وبعث باثنين منهم إلى كلِّ بلد يريد أن يزورها. وعلى يد هذه

(١) راجع كتاب: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير، ص: ٥٥، ٦٦.



الجماعة الصغيرة الوضيعة غير المتعلمة أرسل المسيح إنجيله إلى العالم^(١).

تعاليم المسيح لتلاميذه:

وكان يسوع يكثر من وعظ تلاميذه وإرشادهم إلى المثل العليا في الأخلاق والمعاملات. ويحثهم على حسن الخلق من قول لين، ومعاملة حسنة، وتجنب الفواحش وما يدعو إليها من نظير وغيره، ويحثهم على البذل بالجزء ليسلم الكل كقوله: (فإن أعثرتك عينك اليمنى فاقلعها، وألقها عنك، فإنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله في جهنم)^(٢). ويحثهم على المحافظة على روابط الزوجية وعلى عدم الحلف؛ لكي لا يحثوا في القسم، وحثهم على أبعاد معاني التسامح وأصعبه على النفس، كقوله: (قد سمعتم أنه قيل: العين بالعين والسن بالسن، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك فحول له الآخر، ومن أراد أن يخاصمك، ويأخذ ثوبك فخل له رداءك أيضاً، ومن سخرك ميلاً فامش معه اثنين)^(٣).

(١) راجع كتاب: قصة الحضارة تأليف ول ديورنت ج ٣ م ٣ رقم ١١ (قيصر والمسيح) ص: ٢٢٣. (هكذا تعبيره!؟).

(٢) إنجيل متى: ٢٩/٥.

(٣) إنجيل متى: ٥/٣٨-٤١ (إن صح فهو بمثابة تشريع مؤقت ليكفكف من المادية اليهودية الظالمة. أما التشريع الإسلامي الخالد فقد جاء فمجازاة الظالم بالمثل، ومع هذا حيب في العفو ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ٤٠/٤٢.



وخذّرهم من النفاق والرياء، كقوله: (فإذا صنعت صدقة فلا تهتف قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المجمع والأزقة لكي تمجدهم الناس...) (١).

معجزات المسيح ﷺ:

لقد تحدّث الأناجيل الأربعة عن كثير من المعجزات التي تمت على يد يسوع ﷺ، منها تحويله الماء خمرًا عندما كان في حفلة عرس، وانتهت الخمر، وذكرت له أمه ذلك (٢)، وإبرأؤه الأبرص (٣). وشفأؤه المرضى (٤). ونهره للبحر عندما اضطرب بسبب الرياح فسكن (٥). وإحيأؤه للموتى (٦). وإبرأؤه الأعمى والأخرس (٧). ومشيه على البحر (٨). وتكثيره الطعام، فقد جعل من خمسة أرغفة وسمكتين طعاماً يكفي خمسة آلاف رجل سوى النساء والصبيان، ورفعوا ما فضل من الكسراثنتي عشرة قُفة مملوءة (٩).

(١) إنجيل متى: ٢/٦.

(٢) إنجيل يوحنا: ١/٢-١٠.

(٣) إنجيل لوقا: ٥/١٢.

(٤) إنجيل متى: ٨/١٤.

(٥) إنجيل متى: ٨/٢٣-٢٦.

(٦) إنجيل لوقا: ٧/١١-١٥.

(٧) إنجيل متى: ١٢/٢٢.

(٨) إنجيل متى: ١٢/٢٢.

(٩) إنجيل متى: ١٤/١٥-٢١.



الْبَحْثُ الرَّابِعُ

موقف اليهود من دعوة المسيح السلام

لقد حذّر يسوع تلاميذه في أكثر من موضعٍ من الأناجيل، من اليهود الذين ناصبوه العداة بسبب دعوته التي جاءت تخالف كثيرًا ممّا ألفوه من شرائع وعادات كانوا قد حرّفوها عن شريعة موسى عليه السلام. وكان اليهود - ولا يزالون - يظنّون أنّهم شعب الله المختار بالرغم ممّا جرّ عليهم هذا الظنّ من ويلات جعلتهم يتشتتّون في أنحاء العالم لا وطن لهم، وكانوا يعاملون أيّما حلّوا معاملة الغريب المنبوذ.

وكانوا يحلمون بالقدس التي يسمّونها (صهيون) أو الأرض الموعودة، ومنها كلمة (الصّهيونية) أي: النداء الماضي للعودة إلى القدس.

وكانوا في العصر الذي ولد فيه المسيح عليه السلام يشكّلون طوائف مختلفة في معتقدها ومذهبها، والكلّ كان في انتظار المسيح المخلص الموعود.





ومن تلك الطوائف: الصَّدُوقِيُّونَ، وقد كانوا متشدِّدين في إنكار البدع والتفسيرات متشبِّين بالقديم، يؤيِّدون سلطان الهيكل والكهَّان؛ لأنَّهم على الجملة أنصار المحافظة والاستقرار وأصحاب الوجاهة والثراء. وهم على العموم حَرَفِيُّونَ في مسائل الدِّين، متساهلون في مسائل المعيشة، ومن الوجهة المسيحية (هم أقوام كفر لا يؤمنون بوجود الملائكة والشياطين، وينكرون خلود النَّفس وقيامة الأموات)^(١).

الطائفة الثانية: (الفَرِيسِيُّونَ) وتعني: المتميِّزون الذين ينكرون على الكهان استبدادهم بالشعائر، والمراسم، وكانوا أقرب إلى تحكيم العقل في مسائل النصوص والتقاليد، وكانوا أقرب إلى الرُّوحانية والآداب النظرية على عكس الصَّدوقيين.

وهم في تعريف المسيحيين: (طائفة من اليهود جامعين للرِّياء والعنف، وكانوا يقولون: إنَّ الدِّين والعبادة في الأمور الظَّاهرة لا غير، ويفسدون شريعة الله بتفاسيرهم الباطلة)^(٢).

(١) راجع الكتاب المقدَّس (العهد الجديد) حواشي على المجلد الثالث إنجيل متى الفصل الثالث.

(٢) المصدر نفسه.



والطائفة الثالثة: هي طائفة (الآسِين) مأخوذ من كلمة (آسي) بمعنى الطَّيِّب، وهم طائفة إسرائيلية صميمةٌ قد استقلَّت بشعائرها وعبادتها وآرائها وأسرارها، وأوشكت أن تستقلَّ عن الهيكل كلَّه لولا القرابين.

والطَّائفة الرابعة: هي طائفة (السَّامريون) وهم خليطٌ من اليهود والآشوريين، يرى المسحيون (أنهم لا يُعدُّون من اليهود ولا من الأمم، ولكنهم يعبدون الله في هيكل بنوه على جبل (حرزيم) ولذلك كانت بينهم وبين اليهود عداوة)^(١).

ولقد حذَّر المسيح تلاميذه من تعاليم الفريسيين والصِّدوقيين الَّذِينَ اعتبرهم جيلاً شريراً فاسقاً^(٢)، وحذَّرهم من أن يتجهوا في تبشيرهم إلى مدن السَّامريين، وألا يدخلوها^(٣). وقد تأمرت هذه الطوائف اليهودية جميعها ضدَّ المسيح وتعاليمه، وقد جاء في بعض الأناجيل الرَّسْمية صور لمشادات عنيفة وقعت بين المسيح وبعض فرق اليهود.

(١) المصدر نفسه، إنجيل متى الفصل العاشر.

(٢) إنجيل متى: ١٦/٥.

(٣) إنجيل متى: ١٠/٥.



منها مثلاً ما ذكره (متى) في إنجيله من أن الكتبة^(١) اتَّهَمُوهُ بالتجديف، وهو الكفر بالنعم عندما رأوه يُبرئُ مُقْعَدًا، وَيَغْفِرُ لَهُ خطاياهم (فقال لهم: لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم)^(٢).

والفريسيون انتقدوه عندما رأوه يأكل مع العشارين - الذين يجمعون الضرائب للدولة - والخطاة، فوبَّخهم المسيح على قولهم، وأكد لهم أنه لم يأت ليدعو صديقين، بل خطاة^(٣).

واليهود يحرمون العمل في السُّبوت مدَّعين أنه يوم راحة الله بعد أن فرغ من الخلق، قاتلهم الله أنى يؤفكون. وفي أحد السُّبُوت اجتاز المسيح بين الزُّروع (فجاء تلاميذه، فجعلوا يقلعون سنبلًا، ويأكلون، فلما رآهم الفريسيون قالوا له: هؤلاء تلاميذك يفعلون ما لا يحلُّ أن يفعل في السُّبوت) فأكد لهم أن داود قبله فعل ذلك.

ثمَّ بعد أن جاء إلى مجمعهم (وإذا رجلٌ يده يابسة، فسأله قائلين: هل يحلُّ أن تُشفي في السُّبوت لكي يشكوه) فأكد لهم

(١) هم الهيئة الرسمية التي تعلَّم الدين، وتشرح التَّقاليد، وتجلس في كرسي القضاء في المجمع الأقليمية الدينية، وكان اليهود يرجعون إلى هؤلاء في عظيم الأمور، ويسيرها، ويسمُّون النَّامُوسيين؛ لأنهم ينسخون النَّاموس (راجع كتاب: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، فتحي عثمان ص: ٦٤).

(٢) متى: ٩.

(٣) متى: ٩.

أنَّه يحلُّ فعل الخير في السَّبْت، وأنَّهمه الفريسيون بأنَّه يُخْرِجُ الشياطين ببَعْلِ زنوب رئيس الشياطين، عندما رأوه أبراً مجنوناً أعمى وأخرس، فتكلَّم وأبصر، فأكدَّ لهم أنَّه يفعل ذلك بروح الله، وحدثهم قائلاً: (يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون أن تتكلَّموا بالصَّالِحَات، وأنتم أشرار، وإنَّما يتكلَّم الفم من فضل ما في القلب)، وطلب منه الكتِّبة والفريسيون أن يريهم آية (فأجابهم قائلاً: إنَّ الجيل الشَّرير الفاسق يطلب آية، فلا يعطى آية...)^(١).

وفي مرَّةٍ سأله قائلين: (لِمَ تلاميذك يتعدَّون سنَّة الشيوخ، فإنَّهم لا يغسلون أيديهم عند تناولهم الخبز) فأجابهم بأنَّهم قد أبطلوا وصية الله من أجل سنَّتهم، وأنَّهمهم بأنَّهم مراؤون، وحذَّر تلاميذه منهم قائلاً: (اتركوهم، فإنَّهم عُميَّان، قادة عُميَّان وإذا كان أعمى يقود أعمى، فكلاهما يسقطان في حفرة)^(٢).

وفي أورشليم، عندما دخل يسوع الهيكل (أخرج جميع الَّذِينَ يبيعون، ويشترون في الهيكل، وقلَّب مواثد الصَّيارفة وكراسي باعة الحَمَام، وقال لهم: مكتوبٌ: بيتي بيت صلاة يُدعى، وأنتم جعلتموه مغارة للصَّوَص)^(٣).

(١) إنجيل متى: ١٢.

(٢) إنجيل متى: ١٥.

(٣) إنجيل متى: ٢١.



يقول صاحب كتاب حياة يسوع:

(وكانت مطامع رجال الكهنوت قد حوّلت الهيكل إدارة لتبادل النقود، والفناء الخارجي له سوقاً للماشية، وكان كلُّ شيء مُغرياً للكسب والربح، ونال الهيكل نصيباً كبيراً من هذه الأرباح المادية الغادرة، فزادت بذلك إيراداته. وعندما قلب يسوع الموائد والكراسي، وثار ثورته العارمة على الصّيارفة والباعة، شعر قادة الهيكل بإساءة أليمة، وأصاب سلطة الفريسيين تحدُّ ظاهر أمام الملاء، وبانت عورات تجارة الكهنة وجريهم وراء المادة.

ونعتقد أنّ يسوع المسيح قد قضى على نفسه علمياً في أورشليم في ذلك اليوم، وعرف هو نفسه ذلك، فإنّه بعد سنتين في مثل هذا الوقت تأمروا عليه في هذا المكان عينه لقتله^(١).

مؤامرة اليهود ضدّ يسوع:

لقد جاء عيسى بنى إسرائيل بالتّوحيد الخالص أن اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، ثم هو يعظهم، ويذكّرهم الخير،

(١) كتاب حياة يسوع، بترسون سميث ترجمة حبيب سعيد ص: ٨٢، ٨٣.

ويدعوهم إلى الاستقامة في المعاملات، غير أن النَّصَارَى اليوم لا يحصرون رسالة عيسى في ذلك، بل منهم من يعتقد شركاء لله، وهو ما يسمَّى الثالث المقدَّس: (الأب والابن والروح القدس)، ثلاثة في واحدٍ وواحد في ثلاثة. وهي لعمرى معادلة صعبة في الفهم وفي التطبيق، ولا يؤمن بها إلا مغالطٌ أو معتوه.

ولما كان بنو إسرائيل قد طال عليهم الأمد بعد موسى وشريعته، فقست قلوبهم يحرفون التَّوراة عن مواضعها يزيدون فيها، ويُنقصون، ظهرت بذلك شرائع جديدة ممسوخة ليست من شريعة موسى، واختفت شرائع أخرى، فحادوا عن الطَّريق المستقيم، وغدوا بين إفراطٍ وتفريطٍ.

فمن إفراطهم أنَّهم كانوا يتحرَّجون من عمل الخير في السُّبُوت باعتباره يوم عطلة الله لا يجوز العمل فيه معتمدين في ذلك على ما جاء في (العهد العتيق) (وبارك الله اليوم السَّابع، وقَدَّسه؛ لأنَّه فيه استراح من جميع عمله الَّذي خلقه الله ليصنعه)^(١).

(١) العهد العتيق، المجلد الأوَّل، سفر التَّكوين: ٣/٢ (لاحظ تركيب العبارة).

وشريعة موسى كانت تنصُّ على الكفِّ عن الأعمال
الدُّنيوية البحتة، وأمَّا أفعال الخير فلا حرج فيها، وليست من
الأفعال المنهي عنها في أيام السَّبْت^(١).

ومن تفريطهم معاداة كلِّ من خالفهم في القول أو العمل،
حتَّى إن كان قوله أو عمله على هديٍّ وبموجب أحكام وشرائع
من الله. فكان أن عادوا المسيح عليه السلام معادَةً شديدةً أفضت في
النهاية إلى محاولتهم صلبه وقتله.

وقد اتَّهمه اليهود بالثَّورة ضدَّ الملك، وبأنه غير متديِّن،
وأنه متعدِّ على يوم السَّبْت، وأنه لا يحافظ على تعاليم النَّاموس
والتَّقاليد، وأنه غير مُوال للجماعة اليهودية، وأنه لا يحفظ
الأصوام، وأنه يجري معجزاته عن طريق الشَّيطان^(٢).

وقد تنبَّأ المسيح نفسه بمصيره على يد اليهود، يقول (متى):
(ومن ذلك اليوم بدأ يسوع يبيِّن لتلاميذه أنه ينبغي أن يمضي إلى
أورشليم، ويتألم كثيراً من المشايخ ورؤساء الكهنة، ويقتل،
ويقوم في اليوم الثالث)^(٣).

(١) راجع كتاب: قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، ط ٣، مكتبة وهبة، ص: ٣٩٢.

(٢) راجع كتاب: حياة يسوع، بترسون سميث ص: ١٦١.

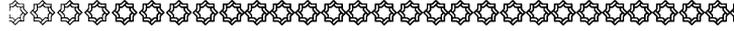
(٣) إنجيل متى: ٢١/١٦.

(وفيما كان يسوع صاعداً إلى أورشليم أخذ الاثني عشر تلميذاً على خلوّة في الطريق، وقال لهم: ها نحن أولاء صاعدون إلى أورشليم وابن البشر سيُسَلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلّمونه إلى الأمم لكي يهزؤوا به، ويجلدوه، ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم)^(١).

ويعتقد النصارى أنّ حادثة إحياء يسوع لعازر، بعد أن مضى على موته أربعة أيام كانت هي الحادثة العلنية العظيمة التي أدّت إلى صلب يسوع نفسه في آخر الأمر، وهذه الحادثة لم يذكرها إلا (يوحنا) في إنجيله دون سائر الأناجيل الأخرى، وتتلخّص فيما يأتي:

كان (لعازر) مرض مرضاً شديداً (وكان يسوع يحبُّ «مرتا» وأختها «مريم» و«لعازر» فلمّا سمع أنّه مريض لبث في الموضع الذي كان فيه يومين) بعدها توجّه، ولكنه كان قد مات، (فلمّا وافى يسوع وجد أنّ له في القبر أربعة أيام، وكان كثيرون من اليهود قد جاؤوا إلى مرتا ومريم ليعزوهم عن أخيهما)، فلمّا سمعنا بمقدم يسوع استقبلته (وقال: أين وضعتموه؟ فقالوا له:

(١) إنجيل متى: ١٠/١٧.



يا ربّ، تعال وانظر، فدمع يسوع، فقال لليهود: انظروا كيف كان يحبّه... فارتعش يسوع ثانية في نفسه، وجاء إلى القبر، وكان مغارة، وقد وضع عليه حجر، فقال يسوع: ارفعوا عليه الحجر... فرفعوا الحجر، فصرخ بصوتٍ عظيمٍ يا لعازر هلمّ خارجاً، فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بلفائف ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حلّوه، ودعوه يذهب، فأمن به كثيرون من اليهود الذين جاؤوا إلى مريم، ورأوا ما صنع، وذهب بعضهم إلى الفريسيين، وأخبروهم بما عمل يسوع. فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون المحفل، وقالوا: ما نصنع فإنّ هذا الرّجل يعمل آياتٍ كثيرة، وإن تركناه هكذا آمن به الجميع، فيأتي الرومانيون، ويستحذون على أرضنا وأمّتنا، فقال لهم واحدٌ منهم اسمه «قيافا» وكان رئيس الكهنة في تلك السّنة: إنكم لا تعرفون شيئاً، ولا تعقلون أنّه خيرٌ لكم أن يموت رجلٌ واحدٌ عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلّها.

ومن ذلك اليوم ائتمروا أن يقتلوه، وكان الرؤساء والفريسيون قد أمروا بأنّه إن علم أحدٌ أين هو، فليدلّهم عليه ليمسكوه^(١).

(١) إنجيل يوحنا: ١١.



(ولم يكن قد طرأ على أورشليم منذ سنواتٍ أزمةٌ حادة كهذه. فحضر جميع شيوخ السنهدريم، وكان الخوف قد ملأ كلَّ نفسٍ خشيةً أن تشمل نيران ثورة شعبية، وعلى رأسها يسوع في ذلك الظرف الدقيق الذي اجتمع فيه كلُّ الشعب اليهودي في عيد الفصح، وعندئذٍ تحلُّ الطامة الكبرى ونفت رومية سموم انتقامها، فتنهار سلطة رجال الدين، ويحرمون تلك الخيرات الوافرة التي كانوا ينعمون بها. فقرروا: يجب أن يموت يسوع في غير إبطاءٍ سواء كان ذلك باغتياله سرّاً أم بمحاكمته قانوناً. وفي تلك القاعة قاعة المشورة الشريرة الخاسرة جلب رؤساء اليهود بقرارهم لعنةً على شعبهم، وفي شرهم وخبث قلوبهم أجروا، وهم لا يدرون مشيئة الله، من تلك الساعة حُكِمَ على يسوع بالموت، ولكن كان على السلطات أن تسير في حذر)^(١).

ولمّا علم يسوع بهذا القرار خرج إلى البرية (وقبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت «عنيا»^(٢)، حيث كان لعازر الذي مات، وأقامه يسوع من بين الأموات. وعلم جمعٌ كثيرٌ من اليهود أن يسوع هناك، فجاءوا لا من أجل يسوع فقط، بل لينظروا أيضاً

(١) راجع كتاب: حياة يسوع للدكتور بترسون سميث، ترجمة حبيب سعيد ص: ٢٧٤.

(٢) اسم قرية العازر تقع بين أريحا وأورشليم.



(لعازر) الَّذِي أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ، فَاتَمَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَنْ يَقْتُلُوا (لعازر) أَيْضاً؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ، فَيُؤْمِنُونَ بِيسوع^(١)، (وَكَانَ الْفِصْحُ وَالْفِطْرُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ يَلْتَمِسُونَ كَيْفَ يُمْسِكُونَهُ بِمَكْرٍ، وَيَقْتُلُونَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: لَا فِي الْعِيدِ لِئَلَّا يَقَعَ بَلْبَالٌ فِي الشَّعْبِ.

وَإِنَّ يَهُوذَا الْإِسْخَرْيُوطِيَّ أَحَدَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ ذَهَبَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ لِيَسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا سَمِعُوا فَرَحُوا، وَوَعَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فَضَّةً، وَكَانَ يَلْتَمِسُ كَيْفَ يَسَلِّمَهُ فِي فُرْصَةٍ^(٢)، (وَفِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْفِطْرِ دَنَا التَّلَامِيذُ إِلَى يسوعِ قَائِلِينَ: أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ نَعْدَّ لَكَ الْفِصْحَ لِتَأْكُلَ)، فَدَلَّوهُمْ عَلَى مَكَانٍ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُوَ بَيْتُ (مَرْقَسِ) أَبُو (يُوحَنَّا). وَفِي الْمَسَاءِ حَضَرَ يسوعُ وَمَعَهُ الْاِثْنَا عَشَرَ تَلْمِيذًا، وَفِي أَثْنَاءِ تَنَاوُلِهِمُ الطَّعَامِ تَنَبَّأَ بِمَصِيرِهِ (وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يسوعُ خُبْزًا، وَبَارَكَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى تَلَامِيذَهُ، وَقَالَ: خَذُوا، هَذَا هُوَ جَسَدِي. وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ، وَأَعْطَاهُمْ، وَقَالَ: اشْرَبُوا مِنْ هَذَا كُلِّكُمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُهْرَاقُ عَنْ كَثِيرِينَ لِمَغْفَرَةِ الْخَطَايَا)^(٣)، (وَلَكِنِ التَّلَامِيذُ حَتَّى

(١) إنجيل يوحنا: ١٢.

(٢) إنجيل مرقس: ١٣.

(٣) إنجيل متى: ١٧/٢٦.

في تلك الأزمة - أزمة قرب تسليم يسوع - لم يسلكوا مسلك الحشمة واللياقة والتواضع، بل كانوا أشبه بأطفالٍ صغارٍ. كانوا يتنازعون حول من يكون الأعظم فيهم^(١). وبعد ذلك (قام عن العشاء، وخلع ثيابه، وأخذ منديلاً وأتزر به، ثم صبَّ ماءً في مطهرة، وأخذ يغسل أرجل التلاميذ، ويمسحها بالمنديل الذي كان مؤتزرًا به)^(٢).

يقول صاحب كتاب «حياة يسوع» تعليقاً على هذه الحادثة: (وجرت العادة أن يكون في مثل هذه الحفلات عبيدٌ يقومون بخدمة غسل الأرجل، وليس في هذا المكان عبيدٌ ولا إنسانٌ وضيعٌ يقوم بهذه المهمة سوى ربِّ الكون)^(٣).

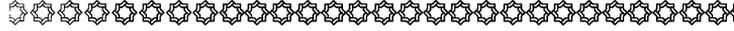
وبعد العشاء ذهب يسوع مع تلاميذه إلى ضيعة (جستمانى) وقال لهم: (إنَّ نفسي حزينة حتَّى الموت، فامكثوا هاهنا، واسهروا معي. وفي أثناء ذلك هاجمهم (يهوذا الإسخريوطي) بجمع كبير يحملون السُّيوف والعصي، وقد أعطاهم علامة قائلًا: الذي أقبله هو هو، فأمسكوه)^(٤) فدنا منه، وقبله، فأمسكوه.

(١) راجع كتاب: حياة يسوع: ص ٣٠٠.

(٢) إنجيل يوحنا: ١٣ / ٤.

(٣) حياة يسوع: ص ٣٠٠. (لاحظ ما في هذه العبارة من تلبيس).

(٤) إنجيل متى: ٢٦ / ٣٦.



وعن سبب خذلان يهوذا ليسوع يقول صاحب كتاب: حياة يسوع: (... فقد ظنَّ القوم أنَّ يسوع جاء ليشيد دعائم مُلكِ أَرْضِيَّ، فطمحت نفس يهوذا كما طمح يعقوب ويوحنا إلى مرتبة عالية في هذا المُلك، ولكن خاب أمله. وكانَّ (يهوذا) قد أضعاف سنيه هباءً في خدمة قضيةٍ عقيمةٍ، وأحسَّ الآن بالكره والغضب نحو ذاك الذي أقام عليه صرح أحلامه، فيخيب كلَّ آماله)^(١).



(١) حياة يسوع: ص ٢٩٧.



الْبَيْتُ الْخَامِسُ

محاكمة المسيح

(والذين أمسكوا يسوع ذهبوا به إلى قيافا رئيس الكهنة، حيث كان الكتبة والشيوخ مجتمعين. وكان رؤساء الكهنة وكلُّ المحفل يطلبون على يسوع شهادة زورٍ ليقتلوه. فلم يجدوا، وقد تقدّم شهود زورٍ كثيرون.

حتى تقدّم شاهدا زورٍ، وقالوا: إنَّ هذا قد قال: إنِّي أقدر أن أنقض هيكل الله، وأبنيه في ثلاثة أيام، فقام رئيس الكهنة وقال له: أما تجيب بشيءٍ عما يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان صامتاً، فقال له رئيس الكهنة: أقسم عليك بالله الحق أن تقول: هل أنت المسيح ابن الله؟

فقال له يسوع: أنت قلت، وأيضاً أقول لكم الآن: ترون ابن البشر جالساً عن يمين القُدرة، وآتياً على سحاب السماء. حينئذٍ شقَّ رئيس الكهنة ثيابه وقال: لقد جدَّف، فما حاجتنا الى شهود، ها أنكم قد سمعتم تجديفه، فماذا ترون، فأجابوا وقالوا: إنَّه مستوجب الموت.



حينئذٍ بصقوا في وجهه ولكموه، وآخرون لطموه قائلين:
تنبأ لنا أيها المسيح، من الذي ضرك^(١).

ونلاحظ أن الذي ألقى القبض على يسوع هم جنودٌ جاؤوا
من عند رؤساء الكهنة، والفريسيين، ولم يكن (لبلاطس)
وجنوده يدٌ في ذلك (ولذا نرى الذنب كله واقعاً على اليهود،
والقانون الروماني لم يتعرّض لیسوع إلا بعد أن قدّمه اليهود إلى
بلاط بلاطس)^(٢). وفي ذلك شهادة واضحة لتورط اليهود في
دم المسيح الذي زعموا أنهم صلبوه، تورطاً كبيراً أباً عن جدٍ.

(ولما كان الغد تشاور كلُّ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب
على يسوع ليقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى (بلاطس)
البنطي الوالي... فسأله قائلاً: أنت ملك اليهود؟ قال يسوع:
أنت قلت. وكان للوالي عادة أن يطلق للجمع في العيد أسيراً
من أرادوا، وكان عنده حينئذٍ أسيرٌ مشهورٌ يدعى (برأبا)... فلمّا
سألهم (بلاطس) الذي يريدون أن يطلقه لهم في هذا العيد
طلب الجموع الذين أقنعوهم رؤساء الكهنة والشيوخ بإطلاق

(١) إنجيل متى: ٢٦/٥٧-٦٧.

(٢) كتاب حياة يسوع: ص ٣٠٦.

(برأبا) وإهلاك يسوع، (فقال لهم (بيلاطس): فماذا أصنع
بيسوع الذي يقال له المسيح، فقالوا كلهم: ليصلب.

فلما رأى (بيلاطس) أنه لا ينتفع شيئاً، ولكن يزداد البلبال
أخذ ماء، وغسل يديه قدام الجمع قائلاً: إني بريء من دم هذا
الصديق، أبصروا أنتم. فأجاب جميع الشعب اليهودي قائلين:
دمه علينا وعلى بنينا.

حينئذ أطلق لهم (برأبا) وجلد يسوع، وأسلمه ليُصلب.
ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة
التاسعة، ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيم قائلاً:
إلهي، إلهي، لماذا تركتني. وصرخ أيضاً يسوع بصوتٍ عظيم،
وأسلم الروح. ولما كان المساء جاء رجلٌ غني من الرّامة اسمه
يوسف وكان تلميذاً ليسوع، وسأل (بيلاطس) جسد يسوع، فأمر
أن يُسلّم الجسد، فأخذه ولفّه في كتّانٍ نقي، ووضع في قبره
الجديد الذي كان قد نحته في الصّخرة ثمّ دحرج حجراً عظيماً
على بابه ومضى. وفي الغد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون
الى (بيلاطس) قائلين: أيها السّيد قد تذكّرنا أنّ ذلك المضلّ
قال وهو حيٌّ: إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمُر أن يُضبط القبر إلى

اليوم الثالث لثلا يأتي تلاميذه ويسرقوه ويقولوا للشعب: إنه قد قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة شرّاً من الأولى^(١). فأجابهم إلى طلبهم.

وقد تساءل النصارى بعد موت يسوع وقبل قيامه: أين ذهبت روحه خلال الأيام الثلاثة التي كانت جثته فيها في القبر؟.

يعتقدون جازمين أنه ذهب بروحه دون جسده إلى أرواح الموتى الذين سبقوه، ولم يسمعوا بدعوته، يكرز هناك. وقد أُدرج هذا الاعتقاد في قانون الإيمان لديهم. فالتصديق به ضرورة لكل مسيحي مؤمن. وقد أشير إلى ذلك في قانون الإيمان عندهم بعبارة (نزل إلى الهاوية).

يقول صاحب كتاب حياة يسوع: (...السيد قد جاز إلى العالم غير المنظور مُخْلِصًا فائزًا منتصرًا، وإنّ لواءه قد ارتفع وصلبيه قد تناول في عالم الرّاحلين...)^(٢).

والسؤال الذي يرد إلى الذهن: لماذا ذهب بصليبه إلى عالم الرّاحلين؟ أليخبرهم بما صنع الأحياء به؟ أم ليصلب ثانية عن الأموات، فداءً عن الخطيئة الأولى كما تزعم النصارى!!؟

(١) إنجيل متى: ٢٧.

(٢) بترسن سميث: ص ٣٢٩.

قيامه يسوع:

ذكرت الأناجيل الأربعة جميعها قصة قيامه يسوع التي خلاصتها:-

في أوّل الأسبوع جاءت مريم المجدلية^(١) إلى القبر فرأت الحجر مُدحرجًا، فأخبرت بذلك (سمعان بطرس ويوحنا) وقالت لهما: قد أخذوا الرّب من القبر ولا نعلم أين وضعوه) فأسرعا إلى القبر وتأكّدا من الخبر وعادا إلى موضعهما. وفيما كانت مريم تبكي عند القبر رأت بداخله ملاكين بثيابٍ بيضٍ، فسألاها عن سبب بكائها فأخبرتهما أنّهم أخذوا ربّها ولا تعلم أين وضعوه؟ ولمّا التفتت إلى خلفها رأت يسوع ولم تعلم أنّه هو وظنّته البستاني فطلبت منه أن يدلّها إلى الموضع الَّذي نقل إليه الجسد، فنادها باسمها فعرفته، ومنعها من أن تمسّه لأنّه لم يصعد إلى أبيه، وطلب منها إخبار إخوته بأنّه (صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهم).

(١) في إنجيل لوقا: ٢٤ وإنجيل مرقس: ٢٠ وإنجيل متى: ٢٨ (إنهنّ كنّ ثلاث نسوة، وإنهنّ دخلن القبر بأنفسهنّ. وفي متى: إنّ الَّذي دحرج الحجر عن باب القبر هو ملاك الرّب وأنّه أخبر النسوة بقيامة يسوع وطلب منهنّ إخبار التلاميذ بذلك والذهاب إلى الجليل لملاقة يسوع، وفي الطّريق التقين يسوع وأكّد لهنّ طلبه إخبار التلاميذ برغبته في لقائهم في الجليل، ولمّا علم رؤساء الكهنة أغروا الحراس على أن يقولوا: إنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه، فذاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم).

وفي عشية ذلك اليوم ظهر يسوع لتلاميذه (وأراهم يديه وجنبه ففرح التلاميذ حين أبصروا الرب)^(١). فأرسلهم إلى العالم قائلاً لهم: «من غفرتهم خطاياهم تُغفر لهم ومن أمسكتهم خطاياهم تُمسك لهم». ومن هنا جاءت فكرة إصدار صكوك الغفران.

وتؤمن النصارى اليوم (بأن يسوع قضى مع تلاميذه بعد قيامته أربعين يوماً يعلمهم عن الشؤون المختصة بملكوت الله)^(٢)، ولقد اقتصر هذا الحادث في شيوخه حينذاك على التلاميذ فقط، يقول بطرس: (... هذا أقامه الله في اليوم الثالث وأعطاه أن يظهر علانية لا للشعب كله، لكن لشهود اصطفاهم الله من قبل، أي: لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات)^(٣)، (وقصة القيامة وما تلاها من الأحداث تبدو لنا مبعثرة تتخللها ثغرات واسعة، ونحن لا نعرف الترتيب الزمني للحوادث)^(٤).

(١) وفي إنجيل لوقا: ٢٤ وبينما هم يتحدثون بهذه وقف يسوع في وسطهم وقال لهم: السلام لكم أنا هو لا تخافوا، ولكنهم خافوا، فقال لهم: انظروا يدي ورجلي إني أنا هو جسوني وانظروا فإن الروح لا لحم له ولا عظام كما ترون لي.

(٢) كتاب حياة يسوع، ص: ٣٢٧.

(٣) راجع أعمال الرسل: ١٠/٤٠.

(٤) كتاب حياة يسوع، ص: ٣٤٤.

والإيمان بالقيامة عند النَّصاري أمرٌ مهمٌّ يسمَّى مُنكره
مُلحداً يقول (بولس):

(وإن كان المسيح لم يقم فكرازتنا إذن باطلة، وإيمانكم
أيضاً باطل) (١).

والنَّصاري يؤمنون بأنَّ يسوع قد تلاميذه سلطانه الرُّوحي
قائلاً لهم: (وإني أعطيت كلَّ سلطان في السَّماء والأرض،
اذهبوا الآن وتلمذوا كلَّ الأمم معمدين إياهم باسم الأب والابن
والرُّوح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به،
وها أنا معكم إلى منتهى الدَّهر) (٢).

اضطهاد المسيحيين بعد المسيح:

بدأ التلاميذ رسالتهم في اليوم الخمسين من قيامة يسوع
وبعد صعوده، ويُعدُّ اليهود أوَّل عدوِّ للكنيسة منذ نشأتها، فقد
كانوا يأملون في إعادة مملكة يهوذا وعلى رأسها «المسيا»
الموعود به. ولما ظهرت المسيحية، ودعت إلى الإيمان بمسيح
مصلوب، ونادت بالتحرُّر من كلِّ شريعة وناموس، قضت على
أمانهم العذاب، فناصبوها العدا.

(١) راجع رسالة بولس الأولى لأهل كورنتس: ١٥ / ١٤.

(٢) إنجيل متى: ٢٨ / ١٨ - ٢٠.



ففي أورشليم رجموا (إستفانوس) وقطعوا رأس يعقوب
 أخي يوحنا أحد التلاميذ الاثني عشر سنة ٤٤ م، وسجن
 بطرس، وفي سنة ٢٦ م رجم يعقوب رئيس مجمع أورشليم،
 ففرّ كثيرون من المسيحيين إلى خارج أورشليم، وكان بطل هذا
 الاضطهاد شاباً فريسياً متحمساً يدعى (شاول) الذي صار فيما
 بعد رسول المسيحية الأكبر؟.

حمل الرُّسل الدَّعوة من أورشليم إلى أرجاء الإمبراطورية
 الرُّومانية التي كان دينها الوثنية، فوقع بين العقيدتين صراعٌ مرير.
 ففي سنة ٦٤ م شبَّ حريقٌ في روما، فألصقت التُّهمة
 بالمسيحيين، فأمر «نيرون» بإبادة المسيحيين الموجودين في
 روما جميعاً حرقاً وتقتيلاً. وأصبح المسيحيون بسبب عزلتهم
 عن بقية الجماعات وامتناعهم عن الاشتراك في الإحتفالات
 الدِّينية الرِّسمية في مدنهم، بمثابة كبش فداء كلما حلَّ بالمدينة
 أو بالسُّكان حادث مشؤوم.

وفي عام ١١٢ م أصدر «تراجان» مرسوماً على أن المسيحيين
 الذين يرفضون تقديم مراسم الاحترام لآلهة الدولة وللإمبراطور،
 حين يطلب منهم ذلك في المحكمة يعاقبون كخونة.



وفي عام ٢٥٠م أوجب (ديكيوس) من جديد معاقبة كل من رفض القيام بالعبادة الرسمية لآلهة الدولة.

وفي عام ٢٥٧م منع (فاريان) المسيحيين من عقد الاجتماعات.

وفي عام ٣٠٣م أصدر «دقلديانوس» مرسوماً ينص على عزل جميع الضباط المسيحيين من الجيش وطردهم جميع الموظفين المسيحيين من مناصبهم وتدمير الكنائس المسيحية ومصادرة الكتب المقدسة وإحراقها.

وأعقب هذا الأمر قراراً آخر قضى بزج جميع رجال الدين المسيحي في السجون وإكراههم على السجود لتمثال الإمبراطور.

ثم قرار ثالث أصدره في عام ٣٠٤م قضى أن يعبد المسيحيون تمثال الإمبراطور وإلا حكم عليهم بعقوبة الموت.

وفي عام ٣٠٥م مرض (دقلديانوس) فتنازل عن العرش (لجاليروس) ومن تلك اللحظة بدأ الاضطهاد العنيف للمسيحيين في الشرق الذي امتد أربع سنوات.

وفي عام ٣١٣م أصدر قسطنطين قراراً ينصُّ على التسامح الديني في كلِّ أنحاء الإمبراطورية، وأصبحت المسيحية على قدم المساواة مع الوثنية كعقيدة شخصية، للأفراد الحرة في اعتناقها. و منح المسيحيين حرية تامة في أداء فرائض دينهم، على أنه لم يتعرَّض للوثنية بسوء، و ظلَّ الإمبراطور نفسه هو رئيس كهنة الوثنية على الرغم من اعتناقه المسيحية و قبوله المهمودية في آخر سنة من حياته، وهي عام ٣٣٧م^(١).

(و حول اضطهاد المسيحيين تلوح أربع حقائق هي:

أولها: أنَّ المؤرِّخين يشيرون عامة إلى عشرة اضطهادات بين عام ٦٤م-٣١٣م.

ثانيها: أنَّ الاضطهاد أُجْرِيَ بموجب تشريع خاص صدر عن (نيرون) عام ٦٤م و قضى أن لا يكون أحدٌ مسيحياً.

ثالثها: أنَّ الاضطهاد لم يكن عاماً شاملاً.

رابعها: لا يمكن تحديد عدد الضحايا، ويجوز القول: إنهم كانوا كثيرين^(٢).

(١) راجع كتاب عشرون قرناً في موكب التاريخ، حبيب سعيد، دار المشرق و المغرب، القاهرة، مكتبة الكتاب المصري، الفصول الثلاثة الأولى (بتصرف و اختصار).

(٢) راجع كتاب مع المسيح في الأناجيل الأربعة، فتحي عثمان، ص ١١٢.

المجامع والمسيحيون:

لقد اعتبر المسيحيون جمع المجامع وسيلةً لدراسة كلِّ ما يتعلَّق بالأُمور العقديَّة والتَّشريعية في الدِّين المسيحي. ولقد قسَّموا المجامع إلى قسمين:

القسم الأوَّل: مجامع عامَّة أو مسكونية، وهي التي تضمُّ إليها جميع رجال الكنائس المسيحية في العالم.

القسم الثَّاني: المجامع المكانية، وهي التي يعقدها رؤساء كنائس مذهب معيَّن من أساقفةٍ وقسسٍ لإقرار عقيدةٍ أو رفضها.

أوَّل هذه المجامع مجمعٌ عقد في أورشليم عام ٥٥م و سبب انعقاده (أنَّ قوماً من الَّذِينَ آمنوا من مذهب الفريسيين قاموا وقالوا: إنَّه يجب أن يُختنوا، ويؤمروا بأن يحفظ ناموس موسى، فاجتمع الرُّسل و الكهنة لينظروا في هذا الأمر)^(١).

وتفسير ذلك أنَّ الفريسيين من اليهود عندما اعتنق بعضهم المسيحية اعتنقها بروح فريسية بهدف تهويد المسيحية وجعلها المسيحية اليهودية، فقالوا: إنَّ الخلاص بالمسيح وقفٌ على

(١) أعمال الرُّسل: ٥/١٥.



اليهود فقط، وتحتّم على من اعتنق المسيحية من شعوب الأمم الخوارج أن يتهودّ أولاً ويختتن، وأن يحافظ على الشريعة اليهودية كلّها. ولم تكن هذه المسيحية في الواقع إلا وضعاً جديداً لليهودية^(١).

وكانت نتيجة الاجتماع أن قرّر المجتمعون إيفاد مندوبين عنهم إلى إنطاكية و سورية و كيليكية ليقولوا لهم مقالة المجتمعين (وهي أن تمتنعوا ممّا ذُبِحَ للأصنام ومن الدّم و المخنوق و الزنى، فإذا صتتم أنفسكم من هذه أحستتم فيما فعلتم...)^(٢).

مجمع نيقية:

بأسيا الصُّغرى عقد سنة ٣٢٥م بأمرٍ من قسطنطين الإمبراطور الروماني (الذي رأى أن يربط حظّه بحظّ المسيحيين ليتنصر على خصمه)^(٣) فاعتنق المسيحية لهذا السّبب، فرأى ما بين أهلها من اختلافات تكاد تكون متباينة، ومن أبرزها: رأيُ «أريوس» أو كما يُسمّيها المسيحيون هرطقة أريوس.

(١) راجع كتاب عشرون قرناً لحبيب سعيد، ص ٣ (بتصرف).

(٢) أعمال الرُّسل: ٢٩/١٥.

(٣) راجع كتاب قصة الحضارة ج ٣، م ٣، رقم ١١ (قيصر و المسيح)، ص: ٣٨٤.

(وأريوس) كاهنٌ من كهنة الكنيسة في الإسكندرية. و يتلخّص رأيه في أنّ المسيح عليه السلام يَخْتَلِفُ عن الخالق، وهو الكلمة أوّل الكائنات التي خلقها الله، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن، وهو ليس إلهاً. (وقد كان سرُّ لاهوت المسيح عليه السلام المشكلة الأولى و العظمى أمام العقل المسيحي المثقّف) (١).

وبعد أن ذاع معتقد (أريوس) بين رجال الدين انقسموا إلى فريقين: مؤيّد و معارض، فانتشر بينهم الجدل حول هذا المعتقد، و احتدم الخلاف في بلاد الشرق اليوناني، وبلغ نبأ هذا النزاع أسماع الإمبراطور (قسطنطين) الذي بعث برسالة إلى زعماء الكنيسة في الإسكندرية يدعوهم لفضّ الإشكال بينهم، غير أنّ رسوله الذي بعثه أبلغه أن المسألة جدُّ خطيرة، وأقنعه بعقد مجمع الأساقفة، فعقد مجمع «نيقية» الذي يُعدّ من أهمّ وأخطر المجامع التي عقدها المسيحيون، فهو مجمعٌ مسكوني حضره ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً من أحبار الكنيسة يمثلون دول العالم المسيحي حينذاك، ومنه انبثق قانون الإيمان الذي أقرّ الشّرك في النصرانية. وقد عُقد المجلس تحت رئاسة

(١) راجع كتاب عشرون قرناً. ص ٤٤.

الإمبراطور قسطنطين نفسه، وبعد مناقشاتٍ حاميةٍ و مداولاتٍ سقيمة قرّر بعض المجتمعين ما يلي: (المسيح ابن الله، مولود غير مخلوق من جوهر الأب نفسه)^(١)، وسمّي هذا القرار قانون الإيمان أو العقيدة النيقيوية نسبة إلى المدينة التي عقد فيها المؤتمر.

وبقوّة السُلطان و جبروت الإمبراطور اعتبرت هذه العقيدة هي الأساس للديانة النصرانية، ويُعدّ كلُّ من خالفها أو اعتقد ضدّها ملعوناً مطروداً ملحداً صاحب هرطقة، وهكذا حال الهوى دون ظهور الحقّ.

ونتيجة لذلك فقد أُعلن طرد (أريوس) ولعنه و حرمانه من عضوية الكنيسة، وأمر بحرق كُتبه مع جميع الكتب التي خالفت معتقد مجمع (نيقية).

والذي جعل قسطنطين يؤيّد فكرة التثليث هو كونه حديث عهد بالوثنية، بل هو وثنيٌّ إلى لحظاتٍ قبل هلاكه، قال المؤرّخ (أبو سيبوس):

(إنّ قسطنطين عمّد حين كان أسير الفراش)^(٢) أي: إنّه كان مريضاً مرض الموت.

(١) راجع كتاب قصة الحضارة، ص ٣٩٤، ٣م، ج ٣، رقم ١١.

(٢) راجع كتاب محاضرات في النصرانية. محمّد أبو زهرة، ط ٣، مطبعة المدني، ص ١٤٢.

ومعروفٌ عند النَّصارى أَنَّ الإنسان لا يصبح مؤمناً بالنَّصرانية إلا بعد أن يتعمد. فمن ذلك نستدلُّ على أَنَّ هدف قسطنطين من اعتناقه الدين المسيحي (هو هدفٌ سياسيٌّ، خاصة وأنَّ بعض الروايات ذكرت أَنَّهُ رأى في منامه من يقول له: إذا أردتَ أن يتَّصرَّ جُنْدك فمرهم أن يرسموا علامة الصَّليب، وكان هو يستعدُّ لخوض معركةٍ مصيرية مع أحد الأباطرة)^(١).

وبعد مجمع (نيقية) المسكوني، انعقدت مجامع مسكونية أخرى لفضِّ الإشكالات الدِّينية التي ثارت حول طبيعة المسيح وذاته.

ففي سنة ٣٨١ م انعقد مجمع (القسطنطينية) الذي أقرَّ مرَّةً أخرى قانون الإيمان النيقوي أساساً لعقائد الكنيسة الجامعة.

وفي سنة ٤٣١ م انعقد مجمع (أفسس) و سبب انعقاده أنَّ رئيس كنيسة القسطنطينية و اسمه (نسطور) نادى برأي مفاده: (أَنَّ المسيح لم يكن إلهاً بحدِّ ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة و النعمة، أو هو ملهمٌ من الله، فلم يرتكب خطيئة، وما أتى أمراً إذاً)^(٢)، فعقد المجمع للنظر في هذا الرأي و تمخَّض عن طرد (نسطور) ولعنه.

(١) راجع كتاب قصَّة الحضارة، ج ٣، م ٣، رقم ١١ (قيصر و المسيح)، ص ٣٨٤.

(٢) راجع تاريخ الأُمَّة القبطية، تأليف زكي شنودة المحامي، الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٢ م مطابع البلاغ بالقاهرة.



وفي سنة ٤٥١م عقد مجمع «خلقيدونية» الذي عقد أولاً في القسطنطينية، ثم انتقل إلى «خلقيدونية» وقد أيد هذا المجمع قرار مجلس «أفسس» الأوّل الذي ينصّ على أنّ للمسيح طبيعة واحدة ومشية واحدة، وأنّ العذراء ولدت إلهاً، وتدعى لذلك أمّ الإله.

وفي سنة ٨٦٩م عقد مجمع «روما» الذي تقرّر فيه ما يلي:

أولاً: اعتبار الرّوح القدس منبثقاً من الأب والابن.

ثانياً: من يريد المحاكمة في أمرٍ يتعلّق بالمسيحية يرفع دعوى إلى كنيسة روما.

ثالثاً: المسيحيون في جميع بلاد العالم يخضعون لقرارات رئيس كنيسة روما.

وفي سنة ٨٧٩م عقد مجمع في القسطنطينية برئاسة بطريك كنيستها، وفيه تقرّر أنّ انبثاق الرّوح القدس من الأب فقط. وقد خالف هذا المجمع مجمع روما، وبسبب هذا الاختلاف انقسمت الكنيسة الى شرقية وغربية. وفي سنة ١٢١٥م عقد في روما مجمع تقرّر فيه أنّ الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.

وفي سنة ١٨٦٩م عقد أيضاً في روما مجمع آخر تقرّر فيه أنّ البابا معصوم^(١).

(١) راجع كتاب مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلبي، (المسيحية) ط ٣، سنة ١٩٦٧م، الناشر مكتبة النهضة المصرية، ص ١٦٥.



الباب الثاني

المسيح عليه السلام وأمه في القرآن وفيه خمسة مباحث

- المبحث الأول: نذر امرأة عمران.
- المبحث الثاني: المفاجأة.
- المبحث الثالث: أسلوب عيسى عليه السلام في دعوته.
- المبحث الرابع: عيسى ومكائد اليهود.
- المبحث الخامس: تأثر بعض النصاري بالإسلام.



الطَّبِخَاتُ الْأَوَّلُ

نذر امرأة عمران

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا

فَتَقَبَّلَ مِنِّي أَنْتَ أَلَسَمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥].

عندما شعرت امرأة عمران بأعراض الحمل توجهت إلى ربها معلنة أنها قد نذرت ما في بطنها مخلصاً لخدمة بيت المقدس لا يشغله عن ذلك شاغلٌ. وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عند أولئك القوم وشائعاً بينهم للذكور دون الإناث.

وطلبت من الله قبول نذرها، والقبول أخذ الشيء على وجه الرضا: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥]، سميعٌ لدعائي عليم بنيتي.

قال تعالى ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ [آل عمران، ٣٦] أي: فلما انقضت مدة الحمل، ووضعت حملها، تحددت نوعيته، ﴿ قَالَتِ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ﴾ [آل عمران: ٣٦] القول فيه حسرةٌ وحرقةٌ؛ لظنها أن نذرها لا يُقبل لكونه أنثى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ [آل عمران: ٣٦].



جملة اعتراضية لتدلّ على أنّها لم تقل ما قالت إخباراً لله، بل لكونها وضعت غير ما كانت تريد وتتوقّع فماذا يكون من نذرها؟ وأنّ الله قد أحاط به علماً.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: ليس الذكر الذي طلبت وأردت أن أنذره لخدمة بيت المقدس، كالأنثى التي وهبت في الصفات التي يتطلّبها القيام على خدمة البيت.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٣٦] بمعنى العابدة. فكانها ترجو أن يكون فعلها مطابقاً لاسمها.

﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] من أن يغويهم ويضلّهم عن طريق الصّلاح.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان غير مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: ﴿وَإِنِّي أَعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] [رواه البخاري] ^(١).

(١) راجع صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ١٦] (ح/ ٣٤٣١).



قال تعالى: ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] من أمِّها،
فرضي بها في النَّذْر مكان الذكر، ﴿وَأُنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٦]
أي: أنشأها نشأةً طيِّبةً طاهرةً.

والإنبات يُطلق على الزَّرع، فإذا كان في تربةٍ جيِّدةٍ ويُعطى
حاجته من الغذاء وأشعة الشمس والعناية الكافية، عندها
سُيُعطى بإذن الله ثمرةً يانعةً طيِّبةً. والولد كذلك إذا نشأ في بيئة
صالحة طيِّبة مباركة تعبد الله على بصيرةٍ فإنه ينشأ نشأةً صالحةً.

كفالة زكريا عليه السلام مريم:

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] هو زوج خالتها^(١)،
ونبي الله، وكفالة زكريا عليه السلام مريم تمت عن طريق الاقتراع، كما
قال تعالى في وصف ذلك: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ
لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾
[آل عمران: ٤٤]، فألقوا أقلامهم في نهر الأردن فجرت الأقلام
(وعال قلم زكريا عليه السلام)^(٢) فاستأثر بالنذيرة، وضمَّها إليه، وأنشأ

(١) كما جاء في حديث الإسراء الطويل بأن عيسى ويحيى ابنا خالة.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً، في كتاب الشَّهادات، باب القُرعة في المشكلات
عن ابن عباس وانظر تفسير الطبري بتحقيق محمود شاكر (٦/٣٤٨-٣٤٩) وتفسير
القرطبي (٤/٨٦).

لها في ناحية من بيت المقدس محراباً وضعها فيه يرقى إليه بدرج، يغدو ويروح عليها بما يصلح شأنها، و يقيم أودها.

وكان ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].
غير الذي يأتي به، ولما كان قد تفرّد بكفالتها من جميع الوجوه،
وقد انقطعت في محرابها تعبد الله، قانتة و ساجدة و راکعة
تنفيذاً لأمر ربّها في قوله تعالى: ﴿يَمْرِيئُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَبِي
مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] لما كان الأمر كذلك فقد لفت نظره
وجود ذلك الرزق الذي لا يعرف مصدره، فسأل عن مصدره
كما أخبر تعالى: ﴿قَالَ يَمْرِيئُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ
مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، أي: بغير تقدير في مقابلة جزاء
عملٍ أو بغير استحقاقٍ تفضلاً.

طلب زكريا عليه السلام الولد:

لما كان زكريا عليه السلام في وقته نبياً يدعو الناس إلى عبادة الله
وحده، ويحثهم على الصّالحات من الأعمال، فإنه قد خشى
أفول نجم دعوته من بعده، خاصة أن الذين سيرثون أمر الدعوة
من بعده ليسوا على حدّ كبير من الكفاءة والخبرة في هذا
المجال الذي يحتاج إلى كثير من الحكمة والموعظة الحسنة.



وزكريا عليه السلام قد شعر بالوهن يدبُّ في عظامه و المشيب
الذي هو علامة الكبر قد غزا رأسه، وامراته عجوزٌ عاقرٌ لا تلد.

قال تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ، زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً
خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ
بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتُبْنِي وَيَرْبِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ
رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٢-٦]، فهذه عوامل لا تشجع السائل على
سؤال الولد، غير أن زكريا عليه السلام بعد أن رأى من حال مريم،
و ما نالها من كرامات من ربها طمع في جود ربّه و كرمه:
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾
[آل عمران: ٣٨] فقد طلب من ربّه أن يهب له ولياً من ذرّيته يلي أمور
الدين من بعده، إحياءً لسنة آل يعقوب في الحياة، الذين كان
منهم أنبياء قائمون على رأس الدعوة إلى الله، و معشر الأنبياء لا
يورثون المال، بل ما تركوه صدقةً، وإنما يورثون العلم و المعرفة.

فاستجاب الله دعاء نبيه ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ
أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
[آل عمران: ٣٩] أي: مصدقاً بكلمة الله عيسى ابن مريم عليه السلام،

فيحيى عليه السلام أوّل من آمن بعيسى، و صدّقه و اتّبعه، قبل ذلك فهما عاشا في عصرٍ واحدٍ. و من صفات يحيى أيضاً أن يكون ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩] سيداً على قومه، حاصراً نفسه على فعل الطّاعات و حبسها عن الشّهوات المباحة التي في مقدّماتها الزّواج، ليس عن عجزٍ منه ولا عن نقصٍ أو عيبٍ فيه، بل لإنشغاله بما هو أهمُّ من ذلك.

﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧] أي: نظيراً و مثيلاً في اسمه و صفاته.

﴿يَبْحَثُ خِذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ ١٢ ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَّكَانَ تَقِيًّا﴾ ١٣ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ١٤ ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٢-١٥]، فالله قد أمره أن يأخذ ما جاء في التّوراة كتاب (موسى) من أحكامٍ و شرائعٍ و دعوةٍ إلى توحيد الله عزّ و جلّ، و يدعو إليها، و يعمل بها بجدٍّ و عزيمةٍ و اجتهادٍ. و من صفاته عليه السلام أن الله قد حباه قدره على الفهم و الاستيعاب لكلّ ما جاء في التّوراة من أحكامٍ و شرائع، و ذلك قبل أن يبلغ مبلّغ الرّجال في نضج العقل و كماله.

وحباه الله أيضاً حناناً من عنده كائناً في قلبه يتحنن به على الناس. والحنان: الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ وَالْعَطْفُ وَالْمَحَبَّةُ، مأخوذٌ من حنين النَّاقَةِ على ولدها.

وجعله أيضاً ذا بركةٍ للنَّاسِ يهديهم إلى الخير، و سبباً في تطهير أنفسهم من أدران الشُّركِ و المعاصي. وكان يتَّقِي بعمل الطَّاعاتِ وأعمال القربى عذاب الله و سخطه، وما يقربُه من ذلك من قولٍ أو عملٍ، فيَحْيِي عليه السلام لم يعصِ الله قط.

وجعله باراً بوالديه، لطيفاً معهما، محسناً إليهما، لا يخالف لهما أمراً، ولا مشورةً. ولم يكن ذا جبروتٍ يتعالى على الآخرين، ويبطش بهم ظلماً وعدواناً، بل هو ذو جنابٍ ليينٍ وجناحٍ منخفضٍ.

وعليه الأمان من الله في المراحل الثلاث: مرحلة خروجه من بطن أمه، حيثُ الظُّلماتُ الثلاثُ بعضها فوق بعضٍ. ومرحلة ما بعد الحياة وهو الموت حيثُ القبرُ والحياة البرزخية، وما يترتَّب على ذلك من نعيمٍ مقيمٍ أو عذابٍ شديدٍ، ومرحلة البعث يوم القيامة وما يجري فيها من حسابٍ و عقابٍ و شدَّةٍ ونَصَبٍ وأهوال. ثمَّ بعد ذلك نرى زكريا عليه السلام بعد تلقيه البشارة

بيحيى يتوجه إلى ربه يسأله عن الكيفية التي يتم بها ذلك، لهفأً
و شوقاً على القادم.

قال الله مخبراً عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي عَلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ
وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٤٠]. فذكر يا عليه السلام لم
يكن مستبعداً حدوث مثل هذا من ربه، ولكنه ربط الأسباب
بالمسببات، فعدّد ما يكون في عرف البشر مانعاً في العادة من
الإنجاب، كتقدّم السن، و عقر الزوجة، فذكره الله تعالى بأنّه
يفعل ما يشاء، ولا رادّ لما قضى، ولا معقب لما فعل.

فتدارك ذكر يا عليه السلام موقفه، فسأل ربه علامة بدء ذلك، كما
جاء في قوله تعالى عنه ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ [آل عمران: ٤١].

فانقطاعه عن الكلام ليس عن عاهة أصابته أو مرضٍ ألمّ به،
بل هو صحيحٌ معافى، وإنما امتنع عن كلام الناس خضوعاً و
تنفيذاً لأمر ربه: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴾ [مریم: ١١] وكان وحيه إليهم عن طريق الإشارة. و قد مُنِعَ
عن الكلام العادي، لا عن الذكر و التّسبيح.

بشارة الملائكة مريم:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٧].

وعن مكان وجودها حين البشارة وما دار بينها وبين جبريل عليه السلام من حديث قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم: ١٦-٢٢].

تلقت مريم تلك البشارة بواسطة الروح الأمين بعد أن أُخبرت باصطفاء الله لها من بين نساء العالمين في زمانها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آل عمران: ٤٢].

والاصطفاء بمعنى الاختيار، فالله قد اختار مريم لتقوم بذلك الدور الخطير في حياتها وفي حياة الأمة بأسرها، بعد أن هيأها الله لذلك منذ نعومة أظفارها، ثم هي بعد أن بلغت مبلغ النساء جاءتها الملائكة بالبشرى العظيمة من الله.

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٩].

ولكن كيف يكون ذلك في تصوُّرها، وهي كما قالت للبشير: ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٠] فالإنجاب لا يكون في عُرْف البشر إلا بإحدى هاتين الطريقتين.

فهي عندما رأت البشر السوي في خلقته يقتحم عليها خلوتها استعازت بالرَّحمن منه مؤكدة أنه لم يكن في تصرُّفه ذلك يتقي الله في غيره؛ لأن التقي ذو نُهيَةٍ. ولكنها ما لبثت أن اطمأنت إليه عندما كشف لها عن حقيقته و عن طبيعة مهمته التي جاء من أجلها: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٩]،

وعندما تساءلت عن كيفية ذلك أبلغها رسالة ربها إليها: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، فلا مجال حينئذٍ لربط الأسباب بالمسببات ولا سبيل للخضوع لقوانين الكون و نواميسه إذا كان الأمر يتعلق بمشيئة الله وإرادته التي لا تحدُّها حدودٌ، ولا تقف في إنجازها موانع: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

فمن هنا أطلق على عيسى ابن مريم عليه السلام كلمة الله، فقد خلقه الله بقوله تعالى له ﴿كُنْ﴾ نفخ بها جبريل في جيب مريم أو في كمِّها، فاستقرت في رحمها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا ذِكْرٌ وَإِسْمَاءُ مَرْيَمَ فَذَكَرْنَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ نِعْمَةِ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التحریم: ١٢]. فكان عيسى مخلوقاً كاملاً الخلق سوي الخلقة.

و قد جعل الله من مولد عيسى ابن مريم بهذه الطريقة آيةً لكل من يشكُّ في قدرة الله تعالى في الإيجاد، وجعل منه عليه السلام نفسه آيةً لبني إسرائيل على كمال قدرته و مشيئته إذا أراد شيئاً

﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وهم الماديون الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس من الأشياء، خلقه الله من غير أب في رحم فتاة عذراء لم يمسسها بشرٌ لا في العلانية بالزوجة ولا في الخفاء بالبغاء، فهي عفيفة حَصَانٌ، وكان كلام عيسى في المهد هو آية صدقها في هذا، فأصبحت هي آية وهو آية.

فمولد عيسى ابن مريم عليها السلام بهذه الطريقة آية عظيمة لكل من يشكُّ في قدرة الله تعالى وفي شمولها لخرق العادات التي دبر بها سننه الكونية.

مولد المسيح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٣﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴿٢٤﴾ فَوَدَّعْتَهَا مِنْ نَحْوِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنُكَ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ وَهَزَيْتَنِي بِإِحْسَانٍ فَجِذَعِ النَّخْلَةَ تَسْقُطْ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٢-٢٦].



فمن خلال هذه الآيات العظيمة نتابع بكل إكبارٍ مراحل خلق عيسى ابن مريم عليه السلام وولادته، وما تمَّ فيهما وخلالهما، وما سيكون بعدهما من الأمور العظام.

فمريم ابنة عمران غادرت محراب عبادتها مرتين:

الأولى، عندما اختلت بنفسها في مكان شرقي بيت المقدس متخذةً لنفسها من دون أهلها حجاباً، فالتقت بملاك ربها جبريل عليه السلام الذي ساق لها البشارة، وقام بالنفخ فيها «كلمة الله» بإذن ربها، فحَمَلَتْ حملها.

الثانية، عندما شعرت بقرب الوضع، وألجأها المخاض إلى مكانٍ ما بعيداً عن العمران، حيث جذع النخلة، فأعمل فيها الطلق سياطه، فألقت بنفسها مكتربةً مضطربةً تمنّت لو أنّها قد ماتت قبل هذا الواقع الذي تحياه والألم الذي يعتصرها، وكانت كالشيء الذي من شأنه أن يُنسى، ولا يتذكره أحدٌ لتفاهته.

و وضعت حَمَلَهَا الَّذِي نَادَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ تَحْتِهَا قَائِلاً لَهَا:

﴿أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْنُكَ سَرِيًّا^(١)﴾ ٢٤ وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ

رُطْبًا جَنِيًّا ﴿ [مريم: ٢٤-٢٥].

(١) الجدول الصَّغِير من الماء يجري.

إلى أن قال لها ﴿فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِي عَيْنًا فِيمَا تَرِينَ مِنْ أَلْبَشْرٍ أَحَدًا فَقُولِي
إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]. فإله قد تكفل
بها، فأجرى لها الماء، وأنضج لها الرطب لتأكل، وتشرب
لتصمد أمام آلام النفاس، وتقوى على القيام بواجبها نحو
طفلها الرضيع، وما ترتب على ذلك من وجوب هُدوء النفس
والرّضى بما قسم الله، فلا تحزن، ولا تتمنى الموت.

ثم هو ينبهها إلى ناحية مهمّة جدّاً تحسّباً لما سيقع، وقطعاً
لكلّ زيادةٍ في الحديث أو نقصانٍ من قومها، فقال لها: إن أنت
رأيت من البشر أحداً أيّاً كان، فأشعريه بأنك قد صمت عن
الكلام وفاءً لنذرٍ نذرتَه للرّحمن فلن تكلمي اليوم إنسيّاً. فلو أنّها
خاضت في الحديث مع كل من يسألها أو بعضهم فلن يصدّقها
أحدٌ فيما تقول، وتدعي، وربما ألحقوا بها أو بطفلها الأذى.



المبحث الثاني

المفاجأة

بعد أن وضعت حملها، واطمأنت إلى نفسها، وأصلحت من شأنها وشأن طفلها، صممت بإرادة قويّة وإيمانٍ على مُلاقة مَصيرها، فَحَمَلت صبيّها، وذهبت إلى قومها. قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ. قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هَذُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾. [مريم: ٢٧-٣٣].

فمريم قد أدركت أنّ ما وقع لها سيكون له ما بعده، وأنّ الأمر خارجٌ عن حدود البشر، ومقاييسهم للأُمور. أقبلت على قومها من مكان النَّخلة، وهي تحمل بين يديها طفلها عيسى عليه السلام، فتجمهر يهود من حولها ينظرون إليها وإلى الذي بين يديها مشدّوهين، مؤكّدين عِظم ما أقدمت عليه، وما جاءت به، ويلمزونها بأنّها



شبيهة بأخت هارون^(١) الرَّجُل الصَّالِح منهم والورع. وقد عهدوها فتاة بيت المقدس في محراب زكريا نبهم، منقطعة لعبادة ربِّها كلَّ البعد عن مَظِنَّة السُّوء في نفسها وفي سلامة عرضها. فأبوها لم يعرف السُّوء فيما يقول أو يعمل مدَّة حياته، وأمُّها أبعد ما تكون عن البغاء والفواحش؛ لصلاحها وتقواها. وهم بذلك كلُّه يُعَرِّضُونَ بمريم ويبهتونها، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

ولاذت مريم بالصَّمت، واكتفت بالإشارة إلى طفلها: أن اسألوه. فازداد بهم الغيظ من مقاتتها بعد أن عظم عليهم فعلها، واستغربوا ذلك أن يكون: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] والحال والشَّأن أَنَّهُ لا يقوى على الكلام كأيِّ طفلٍ مولود. ولكنَّ الصَّبي تكلم، فأسقط في أيديهم: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] مخلوقٌ لله، خاضع له تحت مشيئته وإرادته. ﴿ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] الكتاب هو الإنجيل، والنُّبوة إلى بني إسرائيل فهو نبيُّ رسول. ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم: ٣١]

(١) جاء في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألتوني، فقالوا: إنكم تقرؤون يا أخت هارون، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك؟ فقال: (إنهم كانوا يسمون بأبيائهم والصَّالحين قبلهم).

أي: ذا بركات ومنافع في أيّ مكانٍ أكون فيه أو حالة أكون عليها. ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] أي: عهدَ إليّ بالصَّلَاةِ والزَّكَاةِ - وهما الرُّكنان العظيمان في الإسلام دين الأنبياء - مدّة حياتي.

﴿وَبِرًّا بِوَالِدَيْ﴾ [مريم: ٣٢] البرُّ ضدَّ العقوق، وبرُّ الوالدين طاعتهما في غير معصية الله وقضاء حوائجهما بكلِّ رغبةٍ وتفانٍ، وتحملهما، والنَّفقة عليهما في حالة الكِبَر أو الضَّعف، وعدم التَّعرض لهما بما ينغص عليهما عيشهما، إلى آخر ما هنالك من حقوق وواجباتٍ لهما على الولد.

وعيسى عليه السلام خصَّ والدته بالبرِّ ولم يأتِ إلى ذكر أبيه؛ لأنَّه لا أبَ له، وإنَّما أمره منذ البداية آية من الله لبني إسرائيل على عظيم قدرته سبحانه، وبرهان لعيسى على صدق ما جاء به من الدَّعوة إلى توحيد الله، وبأنَّه مرسلٌ من الله.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ [مريم: ٣٢] قاسي القلب على والدتي، ولا على النَّاس فيما سيكون لي معهم: ﴿شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] ولم يجعلني ذا شدَّةٍ وعُسرةٍ أشقى بهما بين الخلائق.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، ختم حديثه مع قوم أمه الذي هو بمثابة صكِّ براءة لها مما اتهموها به، بطلب السلامة لنفسه في الأطوار الثلاثة يوم مولده ويوم موته ويوم بعثه حيًّا يوم القيامة مع الخلائق.

وذلك كله على تقدير ما سيكون منه حينذاك، وما كان بعدئذ.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم: ٣٤-٣٦]. بين الله حقيقة خلق عيسى ابن مريم مقولة قولاً حقاً لا كما يقول المشركون من أنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، أو إله، بل هو عبدالله ورسوله، خلقه بكلمة منه. ثم أوضح جلَّ وعلا عدم صحَّة ولا استقامة أن يتخذ الله ولداً؛ لأنَّ ذلك يترتب عليه حاجته إلى معينٍ وأنيسٍ يؤنس وحدته، والله غنيُّ بذاته مقدَّسٌ في أسمائه وصفاته مُنزهٌ عن كلِّ نقصٍ أو عيبٍ: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فهو سبحانه إذا أراد أيَّ إرادة، وشاء أيَّ مشيئة، كخلق عيسى ابن مريم من غير أب وخلق آدم من غير

أب ولا أم، أو أيُّ أمرٍ كائنًا ما كان في السماوات أو في الأرض:
﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

وقد أنطق الله سبحانه عيسى ابن مريم في مهده أوّل ما أنطقه بعبوديته تعالى قائلاً: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ...﴾ [مريم: ٣٠] ثمّ في نهاية حديثه مع قوم أمّه أخبرهم بأنّ الله ربّه وربّهم، وأنّ الإيمان بذلك وعبادة الله وحده هي الطّريق الأقوم، فالله لا غيره يعود إليه فضل تربية جميع الخلائق بنعمه الكثيرة الظّاهر منها والباطن. وعليه، فهو الَّذي يستحقُّ العبادة وحده لا شريك له، ولا شبيه له. ولقد أغفل كتاب الأناجيل ذكر هذه الحادثة العظيمة في كتبهم الّتي نسبوها إلى عيسى عليه السلام؛ لأنّ فيها من التصريح والبيان ما ينسف فريتهم الّتي بنوا عليها عقيدة التثليث، وأنّ عيسى ابن الله، وربهم، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

ومولد عيسى ابن مريم من غير أبٍ لا يعدو كونه معجزة من الله لبني إسرائيل، ولا يترتّب عليه أن يكون ابناً لله أو هو الله نفسه، كما تزعم بعض فرق النصارى، تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.





الْحَجَّتِ الثَّلَاثُ

أَسْلُوبُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَعْوَتِهِ

بعد ذكر القرآن الكريم لحادثة حديث عيسى ابن مريم في مهده، وكيف أن هذا الحدث أنقذ شرف أمه مريم ابنة عمران من تهمة قومها لها بالسوء والفحشاء، زوراً وبهتاناً. أعرض عن ذكر أي شيء عن نشأة عيسى منذ تلك الحادثة إلى أن أعلن رسالته ودعوته إلى الله التي كانت خاصة لبني إسرائيل. قال تعالى:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى بعد أن حكم بكفر القائلين:

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۖ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فعيسى ابن مريم عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل، جعل الله مولده من غير أب، وحديثه في المهد آيةً ومثالاً على كمال



بنو إسرائيل من أحكام وشرائع جاءت في التوراة، فحرّفها اليهود: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: ٦٣].

فالذي حرّم على بني إسرائيل على لسان موسى ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

فالتّحریم كان بسبب اعتدائهم على أنبيائهم، وإلاّ فقد كان كلّ الطّعام حلّاً لهم إلا ما حرّم إسرائيل عليه السلام على نفسه، قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

والذي حرّمه يعقوب على نفسه - كما تقول أكثر كتب التّفاسير - هو لحوم الإبل، وقيل: كل لحمه بينها عروق أو فيها.

معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام:

لقد عُرِفَ عن اليهود أَنَّهُم قوم ماديون لا يؤمنون إلا بما هو محسوسٌ، ويكفرون بما سوى ذلك، فتراهم يعملون على قتل كلِّ نبيٍّ جاءهم بما لا تهوى أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وقد بعث الله عيسى ابن مريم رسولا إليهم حلقة في سلسلة أنبياء سبقوه يدعونهم إلى الخير، ويعملون على إصلاح فساد قلوبهم. ولقد تصدَّى اليهود لابن مريم عليه السلام منذ اللَّحظة الأولى من رؤيته وليدًا بين ذراعي أمه التي اتَّهموها بالفاحشة، ولَّما أعلن رسالته، ودعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما سوى ذلك كذبوه، واعتبروه ساحرًا، وأعملوا حيلتهم لقتله.

ولَّما كان الأمر كذلك، فقد كان لا بدَّ لعيسى ابن مريم من معجزات حسِّية تدعم قوله، وتبطل ما يدَّعونه ضدَّه من كذبٍ وافتراءٍ. ولقد أجرى الله جلَّ وعلا على يده من المعجزات الحسِّية الشَّيء الكثير، الذي فاق في عدده معجزات بعض الأنبياء من قبله. قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٨﴾
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ
 كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
 وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
 لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ
 بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ٥٠﴾ إِنَّ
 اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿[آل عمران: ٤٨-٥١].

فهذه آياتٌ بيناتٌ فصلت معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام ،
 برهان صدقٍ على ما يقول؛ لتكون حجةً على المكذبين وزيادة
 طمأنينة للمتبعين.

أولى تلك المعجزات تتمثل في خلق الله تعالى لعيسى
 نفسه، حيث ولد من أنثى من دون ذكرٍ، وأنطقه الله وهو لم
 يزل صبيًّا في مهده دفاعاً عن شرف أمه. هاتان المعجزتان لم
 يجادل فيهما بنو إسرائيل كثيراً، ربما لأنهم لم يدركوا حينذاك
 ما تنطويان عليه، وما سيرتب عليهما في المستقبل.

ثم تأتي معجزة نفخ الروح، فقد أمره الله أن يصور من الطين
 كهية الطير وشكله، ثم ينفخ في تلك الهية نفخاً عادياً، لا أثر

له، ولا قدرة على الإحياء، فيرسل الله في تلك اللحظة من روحه على شكل الطير، فتسري فيه، فيكون طيراً بإذن الله يطير بجناحيه أمام الشاهدين. وإنما قام عيسى ابن مريم عليه السلام بعملية النفخ في الهيئة لتكتمل بذلك صورة التَّحْدِي في إطار المعجزة.

ثمَّ أقدره الله على إبراء الكَمَه والبرص، وهما من الأدوية المعضلة التي لا يكاد يوجد لها علاجٌ حتَّى اليوم على الرغم من تقدُّم الطِّب، فالأكمه هو الذي يولد ولا عين له مبصرة أصلاً، والأبرص هو الذي ماتت خلايا جلده فتغيَّر لونه إلى لون أبيض باهقٍ لا يستسيغه النَّظر، فكان عيسى ابن مريم يبرئ هؤلاء بإذن ربِّه إبراءً يعود بعده المصاب سليماً معافى، كأن لم يُصَبْ من قَبْلُ، فهذه المعجزة قائمة إلى اليوم لم يقوَ أحدٌ على تقليدها أو اكتشاف سرِّ عناصرها.

ومن معجزات عيسى ابن مريم عليه السلام الكبرى التي أجراها الله على يديه تدليلاً على صدق ما جاء به عن ربِّه، معجزة إحياء الموتى بإذن الله. ولم يرد في القرآن ذكرٌ عن كيفيةها وقد فاقت كلَّ المعجزات التي جاء بها المسيح عليه السلام لكون صفة الإحياء صفة من صفات الله ملازمةً له لا يقوى عليها أحدٌ سواه. إلا من شاء

من خلقه، ولقد ضلَّ كثيرٌ من بني إسرائيل بسببها بدل أن يهتدوا؛ لأنَّهم شاهدوها نتيجةً حسَّيةً ملموسةً فبهرتهم ولم يحاولوا ربطها بما جاءهم به نبيُّهم عيسى عليه السلام من معجزات وأدلةٍ وبراهين تدلُّ على مطلق قدرة الله، ووحدانيته، فأصبحوا فريقين:

مكذبًا ومتَّهمًا له بالسَّحر والشعوذة. والفريق الثاني: اعتبره إلهًا من دون الله فصرف إليه بعض أنواع العبادة التي لا تكون إلا لله وحده. فضَّل الفريقان.

ومن معجزات المسيح عليه السلام أيضًا قدرته بإذن الله على الإنباء بالمغيَّبات من الأمور التي لا يعلمها إلا من شاهدها، كإنباء قومه بما يأكلون في معيشتهم، وبما كانوا يدخرونه من مؤونة في بيوتهم.

وقد أخبر بأمر مغيَّب لم يقع إلا بعد مئات السنين من رفعه عليه السلام وهو أنه قد بشر بني إسرائيل برسولٍ يأتي من بعده اسمه أحمد. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْقَى إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6] ولا خلاف أن المقصود به رسولنا ونبيُّنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله نبيُّ الإسلام وخاتم الأنبياء. فالأصل في الاسمين الحمد؛ وهما

من أسماء الرسول ﷺ، فأحمد روعي فيه أنه كثير المحامد لله،
ومحمد كثير الصفات الحميدة التي يحمد عليها الناس.

الحواريون:

البطانة^(١) أمرٌ حيوي وحاجة ملحة لكل عظيم له رسالة في الحياة يسعى لتحقيق أهدافها، وبلوغ ذروتها في الإحاطة والشمول، واختيار البطانة أمرٌ ليس بالسهل، ولا بالهين، خاصة لمن يدعو لأمرٍ مهمٍ يقتلع جذور معتقدات ومبادئ ليغرس بدلها غيرها في نفوس البشر، كأمر الدعوة إلى التوحيد في مجتمع مشركٍ أضلّه هواه عن رؤية الحق. وعيسى ابن مريم عليه السلام من أولئك القلة في الدنيا، المصطفين أرسله الله إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك ما سواه من المعتقدات وأتباع الحاخامات، فكان لا بد أن تكون له بطانة من قومه يؤمنون بما جاء به ويصدقونه، ويعينونه على بلوغ الغاية في نفوس الناس والعمل على نشر رسالته بين أكبر عددٍ من بني إسرائيل، وفي أوسع دائرة من المكان.

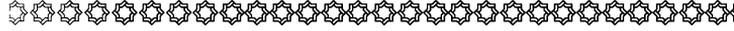
(١) قال في اللسان مادة (بطن): البطانة خلاف الظهارة، وبطانة الرجل خاصته. وجاء في صحيح البخاري، كتاب القدر: عن النبي ﷺ قال: «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتخضعه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله».

هؤلاء الدعاة إلى الله يجب أن يتصفوا بصفاتٍ كريمةٍ
تمكّنهم من التغلغل في نفوس الناس الذين يدعونهم. ومن
أهمّها مطابقة القول العمل.

ولقد كان لعيسى ابن مريم بطانة من قومه سُمّوا بالحواريين
أي: المخلصين، وهم من الأتباع المخلصين (بالفتح). أوحى
الله إليهم إلهاماً أن يؤمنوا به وبرسوله. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى
الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

جعل عيسى عليه السلام يعلمهم ويرشدهم إلى طريق الحق
حتى أصبحوا يدعون بدعوته، وينافحون عنها، وينصرونها،
قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا
بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٣].

لما شعر عيسى ابن مريم بكفر بني إسرائيل برسالته،
ودعوته، تساءل عن أنصار لدعوته من بني قومه ينصرونه في
المضي بها إلى غايتها، أجابه الحواريون بقولهم: نحن أنصار
الله، نصر دينه، ونعلي كلمته مؤمنين بوحدانيته، مستهدين بك
على انقيادنا وطاعتنا لما جاء عن ربنا على لسانك. وطلبوا من



الله أن يكتبهم في زمرة الشَّاهدين الَّذِينَ شهدوا على صدق، ما جاء به رسولهم، وعملوا وفق ما جاءهم به من أحكامٍ وشرائع. وقد امتدح الله حواربي المسيح عليه السلام، وجعل منهم مثلاً للمؤمنين الصَّادقين الَّذِينَ نصرُوا نبيَّهم وآزروه، وأخلصوا لدعوته معه ومن بعده.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا بِطَائِفَةٍ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عُدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

الخطاب للمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يحثهم على نصره دين الله وتحمل المشاق من المشركين من أذى وسخرية وما يترتب على ذلك من جهدٍ وبلاءٍ في سبيل إعلاء كلمة الله، كالذي كان من الحواريين مع نبيهم عيسى ابن مريم عليه السلام.

قصة المائة:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُونَا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ



﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا
وَأَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُرْسِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ
بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿المائدة: ١١٢-١١٥﴾.

الحواريون بشرٌ ممن خلق الله، أكرمهم الله بأن جعلهم
أنصار دينه ونبية عيسى ابن مريم عليه السلام، نجدهم يدخلون في
محاورة مع نبيهم يطلبون آية لزيادة اطمئنان قلوبهم بما جاءهم
على لسان نبيهم. فقد سألوه أن يدعو ربه أن يتزل عليهم مائدة
من السماء، وقد كان ذلك لتأثرهم ببعض طباع قومهم الماديين.

فذكرهم المسيح بتقوى الله، وأن يلتزموها إن كانوا مؤمنين
بما جاء به. فحدّثوا له أغراضهم منها في أربع نقاط: الأكل
منها، ولتطمئن قلوبهم، وليعلموا صدق نبيهم فيما جاءهم
به، وليكونوا عليها عند بني إسرائيل من الشاهدين على صدق
نزولها لتكون لهم آية.

فتوجه المسيح عليه السلام إلى ربه يدعو، ويطلب منه أن يتزل
عليهم مائدة من السماء، وذكر لذلك سببين:

الأول: لتكون ذكرى نزولها عيداً يعتاده بني إسرائيل كل
عام، الأولون منهم والآخرين فيه تبصرة لهم وذكرى وتثبيت.



الثاني: لتكون آيةً حسّية أخرى تضاف إلى الآيات السّابقات منك للتدليل على كمال قدرتك وعظيم مشيئتك، وهي أيضاً تدعيمٌ لموقفي معهم على صدق ما جئت به عنك، وحجة عليهم يوم القيامة. وارزقنا يا الله عليها من الرّزق ما يعيننا على طاعتك واتباع مرضاتك، إنّك يا الله خير من يرزق عباده ويتولاهم ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥].

وقد منّ الله على نبيه عيسى عليه السلام بإنزال المائدة، وعبر باسم الفاعل لتحقيق الوعد بالإنزال، وهدّد من يكفر منهم، بما جاء به عيسى بعد إنزالها تهديداً شديداً بعذابٍ شديد، خاص بهم دون غيرهم من عالمي زمانهم.

روى ابن جرير عن عبدالله بن عمرو قال: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة: المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون^(١).

وآيات الله ثلاثة أنواع: الأوّل: مُلْزِمٌ، يُلْزَمُ مَنْ جَاءَتْهُمْ الآيات باتباع الرّسول والأخذ بما جاء به من التّكليف، مثل الآيات التي جاء بها عيسى ابن مريم لبني إسرائيل من إحياء وإبراء وإنباء.

(١) قال أحمد محمد شاكر في (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير)، ج ٤ ص ٢٦٣: (إسناده صحيح، ولكنه موقوف من كلام عبدالله بن عمرو بن العاص)...

الثاني: آيات اقتراحية يقترحها المكلفون بعد آيات الإلزام، فتصير مُتَحَاكِمًا إليها، إمَّا أن يؤمنوا بها وإمَّا أن يهلكوا، كالمائدة التي اقترحها الحواريون، وكطلب مشركي مكة من الرسول ﷺ أن يحوّل لهم جبل الصفا ذهباً.

الثالث: آيات إلجائية، فهي التي فيها الإكراه من الله على الإيمان، كالدّابة التي تخرج عند قرب قيام الساعة، حينذاك لا ينفع الإيمان لنفسٍ لم تكن قد آمنت من قبل، ولا تنفع التّوبة. قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمُنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَنِهَا حَرِيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

ففي إنزال المائدة اشترط الله للاستجابة إليها شرطاً، وهو أن من آمن بها نجا، ومن كفر بها عذب عذاباً شديداً لم يعدّبه أحداً من العالمين. فهل استجابوا للشرط أم وقفوا؟ وهل نزلت المائدة فعلاً أم لم تنزل؟ لم ينصّ القرآن على شيءٍ من ذلك، ولا السّنة الصّحيحة، والله أعلم.





الْبَحْثُ الْإِسْلَامِيُّ

عيسى ومكائد اليهود

لم يكن اليهود ليخلصوا دينهم لله خلوصاً كاملاً كما يجب، بل دأبوا على مقاومة أنبيائهم ومخالفة ما جاؤوا به من شرائع وأحكام من الله جلَّ وعلا.

نجدهم قد ناصبوا ابن مريم العداة؛ لأنه مَّمن جاءهم بما لا تهوى أنفسهم من دعوة التوحيد وترك ما لم يأمر به الله والرُّجوع إلى شرع الله الحقيقي الذي دعا إليه موسى عليه السلام والأنبياء من بعده.

فقد جاءهم عيسى بالآيات البينات على صدق رسالته من ربه ممَّا لا يدع مجالاً للشك، فكذبوه، وكفروا به، وبما جاء به. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا



يَمَا أَزَلَّتْ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَكْرُوا وَمَكَرَ
 اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٣﴾ (١) [آل عمران: ٥٢-٥٤].

فلما أدرك النبي ﷺ إدراكاً قوياً جرى مجرى المشاهدة بأن القوم
 يأترون به ليقتلوه وقد أصروا على كفرهم وعتوهم ومكابرتهم،
 ولن تجدي معهم وسيلة من وسائل اللين والدعوة الحسنة، أخذ
 يبحث بين قومه الذين آمنوا به عن أنصار ينصرونه في دعوته
 ويدفعون عنه كيد الكائدين، فاستجاب له الحواريون. ومكر به
 أولئك الكفرة من اليهود بأن احتالوا على أن يقتلوه في خفية،
 ولكن الله جلّ وعلا مكر بهم وأخزاهم وردّ كيدهم في نحورهم
 عندما رفع نبيه إليه وألقى شبهه على آخر فأخذوه وصلبوه
 وقتلوه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ
 مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَدَّ لَهُمْ
 عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ [آل عمران: ٥٥-٥٧].

(١) والمكر قال في اللسان مادة (مكر): قال أهل العلم بالتأويل: المكر من الله تعالى جزاء
 سُمِّيَ باسم المُجَازَى، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: ٤٠]
 فالثانية ليست بسَيِّئَةٍ في الحقيقة ولكنها سُمِّيَتْ سَيِّئَةً لآزدواج الكلام. قال ابن الأثير:
 مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه.

ففي هذه الآيات الكريّمات بيان واضح لما آل إليه أمر المسيح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدُّنْيَا، فقد وَعَدَهُ اللهُ بعودٍ أربعةٍ:-

الوعد الأول: أن يتوفاه إليه، حيث لا يقتل مصلوبًا ولا غير مصلوبٍ ولا يموت مقتولًا ولا مغدورًا به، بعد أن يتم دعوة بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده.

الوعد الثاني: تطهيره من المشركين الكافرين، من أن يلحقوا به أدنى أذى حسيٍّ أو معنويٍّ، فإنَّهم لم يتمكَّنوا من الوصول إليه مطلقًا عندما همُّوا بقتله.

الوعد الثالث: رفعه حيًّا من الأرض بجسمه وروحه معًا إلى السَّماء في موضعٍ كريمٍ لا يستطيع أحدٌ أن يمسه بسوءٍ.

الوعد الرابع: أن يجعل أتباعه من المؤمنين برسالته فوق الذين كفروا من قومه بالحجَّة واليقين إلى يوم القيامة.

وهذا صادقٌ على أتباعه الحقيقيين الذين آمنوا به نبيًّا واتبَعوا ما جاء به من عند ربِّه. فلمَّا جاء مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإسلام بعد ذلك آمنوا به واتبَعوه، فكان لهم أجران. كما صحَّ ذلك عن الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

(١) راجع صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾.

وهؤلاء أعلى مرتبة، بل مراتب من الذين كفروا بعيسى، سواء كانوا يهوداً أو نصارى من الذين بدلوا دينهم، وحرّفوه إلى يوم القيامة، حيث يعود الجميع، ويجتمع البرّ والفاجر إلى الله الحقّ ليحكم بينهم بالعدل فيما كانوا فيه يختلفون.

ثمّ بعد ذلك يفرقون إلى فريقين: مؤمن وكافر، ولكلّ جزاء من جنس عمله.

فالكافر له عذابٌ شديدٌ غليظٌ في الدنيا بأن يسلّط الله عليه القلق والخوف من المستقبل على حياته وحياة من يعول، وبالشّحناء والحسد واليأس والقنوط من الرّحمة، وغير ذلك من الأمور التي يتعذّب بها الكافر والمشرك.

وأما في الآخرة فمآل الكافر والمشرك جهنّم ومصيره إليها لا محالة، وساءت مصيراً، ولن يجد له هناك من ينصره.

وأما الذين آمنوا بالله وحده، وعزّروا رسله، ونصروهم، وعملوا الصّالحات، وما أمروا به من أنواع الطّاعات، فسيوفيهم الله أجورهم، الحسنّةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة.

نهاية المسيح عليه السلام على الأرض:

ونمضي مع القرآن الكريم للكشف عن مكائد اليهود ضدَّ نبيِّهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴾ [النساء: ١٥٧-١٩٥].

تبيَّن هذه الآيات الكريمات أن اليهود قد أجمعوا أمرهم بتصميم وصدقٍ على التَّخلص من المسيح عليه السلام رسول الله.

ويزعمون في كتبهم أنَّهم قاموا بالوشاية به عند ملكهم الروماني، متهمين إياه، بمحاولة السَّطو على الملك، وإخضاع غيره من الملوك لسلطانه. فحدَّدوا مكانه هو وبعض أتباعه من المؤمنين في بيت أحدهم، وهمَّوا بالهجوم على المكان وقد فعلوا، فزعموا أنَّهم أخذوه وصلبوه وقتلوه. ولكنَّ القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه جاء فيه قول الله تعالى مبطلًا زعمهم ومكذبهم: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧].

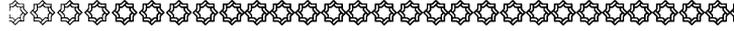
فنفى عنه القتل والصلب، ويبيّن أنّ المأخوذ الذي قتل
 وصلب ليس هو المسيح ﷺ: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكِّ مَنَّهُ﴾
 [النساء: ١٥٧]، لم يجزموا بينهم برأي حول حقيقة المصلوب،
 أكان هو المسيح أم غيره؟ لأنّهم قالوا: إذا كان هو المسيح فأين
 الذي دلّنا عليه، وإذا كان هو الدليل، فأين المسيح؟.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ [النساء: ١٥٧-١٥٨] من بينهم لم
 يمسّوه بأذى.

وجاء في الصّحّاحين أنّ المسيح ﷺ سينزل في آخر
 الزّمان إلى الأرض، ويحكم بالعدل، ويقتل الدّجال، ويكسر
 الصّليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية؛ لأنّ الدّين سيكون
 حينذاك الإسلام في الأرض بأسرها، فلا جزية على ذميّ، ولا
 يقبل إلا الإسلام.

روى الشّيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك
 أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً يقتل الدّجال، ويقتل الخنزير،
 ويكسر الصّليب، ويضع الجزية، ويفيض المال، وتكون السّجدة
 واحدة لربّ العالمين»^(١).

(١) راجع صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم.



وأخبر الله عزَّ وجلَّ أنَّ ما من كتابيَّ إلا ويؤمن قبل أن يموت، إيماناً راسخاً بالمسيح ابن مريم رسول الله وعبده حياً في السَّماء، الَّذي سيكون يوم القيامة - بعد أن ينزل إلى الأرض، ويموت فيها، ويبعثه الله يوم ينفخ في الصُّور مع الخلائق - شاهداً على بني إسرائيل بما كانوا يفعلونه معه من كُفْرٍ وإلحاد ومُخالفة ما جاء به من ربِّه من شرائع وأحكام وقد أخبر الله تعالى أنَّ كلَّ نبيٍّ سيكون يوم القيامة شاهداً على أمته، قال تعالى مخاطباً نبيَّ الهدى ﷺ: ﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

الاختلاف حول رفع المسيح ابن مريم ﷺ ونزوله آخر الزَّمان:

هناك إجماعٌ بين المسلمين على أنَّ المسيح ابن مريم لم يمت مقتولاً ولا مصلوباً بفعل اليهود أو أي فئةٍ أخرى من النَّاس، بل لم يزل حياً رفعه الله إليه، وذلك استناداً إلى ظاهر القرآن الكريم.

ولكنَّهم اختلفوا في نهايته على الأرض كيف كانت؟ وماذا سيكون من شأنه آخر الزَّمان؟ فمن قائل: إنَّ الله رفعه إليه حياً بجسمه وروحه، وسينزل كذلك آخر الزَّمان علماً للسَّاعة. يقتل



المسيح الدجال، ويكسر الصليب، ويحكم بشريعة الإسلام التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، دين الناس جميعاً. ثم يموت موتاً طبيعياً، ويصلي عليه المسلمون قبل يوم القيامة.

ومن قائل: إن المسيح ابن مريم العليّة استوفى أجله على الأرض، وهو مختفٍ في مكانٍ ما، ثم مات حيث شاء الله، ودفن جسمه، ورفعت روحه.

ومن قائل: إن المسيح ابن مريم العليّة مات موتاً حقيقياً، ولكنه سيعود قبل يوم القيامة، وعودته إحياءٌ جديدٌ.

وحيث إن القول الأول هو قول الجمهور فسأرجع الحديث عنه حتى مناقشة الآراء الأخرى ومعرفة أدلتها.

الذين قالوا: إن المسيح العليّة استوفى أجله على الأرض، ومات، وقد دفن جسمه، ورفعت روحه، استدلوا على ذلك بما يلي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ وَمَا قُلُوهُ يَٰقِينَا ۗ ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا ﴿ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

قالوا: الآية تحقيق للوعد الذي تضمّنه قوله تعالى: ﴿ إِذ قَالَ اللَّهُ

يَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فإذا كان قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] خلا من ذكر الوفاة والتطهير واقتصر على ذكر الرفع فإنه يجب أن يلاحظ فيهما ما ذكر في قوله تعالى ﴿إِنِّي مُؤْفِكُكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] جمعاً بين الآتين.

ثانياً: الرفع في الآية رفع مكانة، وقد جاء في القرآن بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا يَرَفِعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الانشراح: ٤].

ثالثاً: التعبير بقوله تعالى: ﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَيْنَا﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] كقول: لحق فلان بالرفيق الأعلى.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ومعلوم أن الشهداء أجسادهم مقبورة في الأرض، فهم عند ربهم أحياء بأرواحهم.

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُرُّك بِهَا وَاتَّعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١]. الضمير راجع إلى محمد ﷺ أو إلى القرآن الكريم، وإن سلمنا بأنه راجع إلى عيسى عليه السلام بدليل السياق في الآيات، فذلك لا يعني أن عيسى سيعود للنزول، بل إن وجود عيسى في آخر الزمان نسبياً دليلاً وشرطاً للساعة.

وإن من الممكن أن يحيي الله عيسى عليه السلام، ويرسله على شريعة محمد ﷺ قبل يوم القيامة.

سادساً: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

الضمير في (به) يعود لعيسى عليه السلام، والضمير في (موته) يعود للكتابي فيكون المعنى: ما من أحدٍ من أهل الكتاب الذين أنكروا رسالة عيسى عليه السلام إلا ليؤمننَّ قبل موته بعيسى، ويؤيد ذلك قراءة: إلا ليؤمننَّ به قبل موتهم.

وعيسى عليه السلام بحدوثه بغير أب، وبإحيائه الموتى بإذن الله دليلٌ على صحّة البعث. وعلى كلِّ فنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ليس معناه رفعه حياً بجسمه.

والدليل إذا تطرّق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

لأن الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه، هؤلاء القوم الذين يكونون آخر الزمان، وهم قوم محمد ﷺ.

وآية النساء ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] لا تدلُّ على رفعه حياً بجسده إلى السماء؛ لأن ما يدعم هذا القول من روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال هي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها، ومعانيها، اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وقد نصَّ على ذلك علماء الحديث، وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأخبار.

أمَّا حديث أبي هريرة فقد اقتصر فيه على الأخبار بترول عيسى، وإذا صحَّ فهو حديثٌ آحادٌ.

وحديث المعراج قد وهنه كثيرٌ من الشراح، وإن اجتمع محمد ﷺ بالأنبياء كان اجتماعاً روحياً لا جسدياً^(١).

ثامناً: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ

(١) فتاوي محمود شلتوت ط ٥، ١٩٧١م دار الشروق، ص ٥٢.



وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٥].

بين الله في هذه الآيات قوة مكره سبحانه وتعالى إلى قوة مكرهم، فالله يبشّره بإنجائه من مكرهم، وأنه سيستوفي أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه إليه. وكيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم ورفعه بجسده إلى السماء مكرأ؟.. وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شيء ليس في استطاعتهم أن يقاوموه وفوق قدرة البشر؟ ونعلم أنه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كان جارياً على أسلوبه غير خارج عن مقتضى العادة فيه.

قال محمد عبده: (إن التوفي هو الإماتة العادية، وإن الرفع يكون بعده، وهو رفع الروح، والروح حقيقة الإنسان، والجسد كالثوب المستعار.

ولحديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان: أحدهما: أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي. ثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس. فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة، ولكنه جاءهم بما يزعجهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ

شريعة موسى عليه السلام. ولما كان هذا الجمود مزهقاً لروح
شريعة موسى عليه السلام، ذاهباً بحكمتها كان لا بدّ لهم من
إصلاح عيسويّ يبيّن لهم أسرار الشريعة وروح الدّين
وأدبه الحقيقي.

فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزّمان الذي يأخذ النّاس
فيه بروح الدّين والشريعة الإسلامية لإصلاح السّرائر من غير
تقيّد بالرّسوم والظواهر.

والمسيح الدّجال رمزٌ للخرافات والدّجل والقبائح التي
تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها،
وإنّ القرآن أعظم هادٍ إلى هذا الحكم والأسرار، وسنة الرّسول
محمّد صلى الله عليه وآله مبيّنة لذلك، فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء
الرّجوع إلى ذلك^(١).

تاسعاً: قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧].

(١) راجع تفسير المنار لمحمّد رشيد رضا، ط ٢، دار المعرفة، بيروت/ لبنان ج ٣، ص ٣١٦.



عاشراً: قوله تعالى: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٣]. فالآية واضحة في أن عيسى عليه السلام ككل البشر يولد ويموت ويبعث.

• أمّا الفئة الثانية وهم الجمهور فيقولون:

إنّ المسيح عليه السلام رُفِعَ إلى السَّمَاءِ حَيًّا بِجِسْمِهِ وَرُوحِهِ، وَسَيَنْزِلُ كَذَلِكَ آخِرَ الزَّمَانِ، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَيَصَلِّيُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُبْعَثُ مَعَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

واستدلوا على ذلك بما يلي: ﴿ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [١٥٦] وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [١٥٧] بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ [النساء: ١٥٦-١٥٨].

فقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾ [النساء: ١٥٧] نصٌّ في عدم قتله مصلوباً أو غير مصلوب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ [النساء: ١٥٧] نصٌّ في عدم صلبه حياً أو ميتاً.



ومعنى هذا أن شَبَّهَهُ أُلقي على المُرشد لهم عليه، فقتلوه وصلبوه، وظنُّوا أَنَّهُم قتلوا عيسى ابن مريم وصلبوه. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَعْنَى سَكِّ مَنَّهُ﴾ [النساء: ١٥٧] ومعنى هذا أَنَّهُ حصل اختلافٌ بينهم فيما إذا كان المقتول المسيح أو غيره. بين الله ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ بِهِ﴾ [النساء: ١٥٧] أي: بعيسى ابن مريم ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ [النساء: ١٥٧] حيثُ وَقَعَ شبهه على المرشد لهم عليه ﴿إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] في أنَّ الَّذِي صلبوه هو عيسى عليه السلام، ثمَّ جزم بعدم قتلهم له في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧] أي: عيسى ابن مريم مصلوباً ولا غير مصلوب متيقنين ذلك ﴿يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] لا ريب فيه.

ثمَّ بينَ تعالى في مقابل ذلك ما وقع لعيسى ابن مريم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] من وسطهم إلى مكان لا ينالونه فيه بأذى ولا يبلغونه، وفاءً بوعده له في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذْ أَنْزَلْنَا الْحَدِيثَ مِنَ الصَّنَاءِ أَلَّا تُخَلِّقَ لِلْإِنسَانِ أَشْيَاءَ كَمَا تُلْقِي النَّجْمَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

(الآية صريحةٌ في أَنَّهُ رفع حياً لأنَّ الله ذكر الرفع، وأثبتته مكان الَّذي نفاه من القتل والصلب، ولو كان عيسى عليه السلام قد مات في الأرض ودفن، وأنَّ المراد بالرفع رفع روحه أو

منزلته لما حسن ذكر الرَّفْع في مقابل نفي القتل والصَّلب؛ لأنَّ
الَّذي يناسب ذلك هو رفعه حيًّا لا موته، وإلا لقال: وما قتلوه
وما صلبوه بل الله هو الَّذي أماته.

ومعلوم أنَّ أرواح جميع الأنبياء والمؤمنين ترفع إلى الله
بعد الموت، وفي إخبار الله عن المسيح عليه السلام بأنَّه رفعه إليه ما
يشعر باختصاصه بذلك، وأنَّ الَّذي يمكن أن يختصَّ به عيسى
هو رفعه حيًّا بجسده وروحه معاً.

ثمَّ ختم الله الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيْمًا﴾ [النساء: ١٥٨]
يدلُّ على أنَّه مشهدٌ تجلَّت فيه عزَّة الله وحكمته، ولا يتمُّ ذلك
إلا حيث يكون المشهد غريباً مثيراً ^(١).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيْسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

هذه عدَّة لعيسى ابن مريم من أنَّ الله هو الَّذي يتوفاه من
الأرض غير مقتولٍ ولا مصلوبٍ ولا ميِّتٍ؛ لأنَّ الوفاة تستحوذ
على الشَّيء كله ومعنى الوفاة صادقٌ على رفعه عليه السلام بجزئيه معاً
جسداً وروحاً.

جاء في اللسان: (توفى المدة بلغها، واستكملها، وتوفيتُ المال منه استوفيته إذا أخذته كله، وتوفيتُ عدد القوم إذا عددتهم كلهم)^(١).

وأما إطلاق الوفاة على الميت فهو إطلاق مجازي لبقاء جثته على الأرض على الرغم من صعود روحه إلى السماء.

وفيما يتعلق بعيسى ابن مريم، فإن الوفاة وقعت لجسمه وروحه معاً، فقد استوفاه الله من الأرض بمعنى رفعه إليه. وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا إِلَىٰ رَبِّكَ إِيَّاهُ﴾ [آل عمران: ٥٥] أي: إلى مكان لا يبلغك فيه أذاهم وكيدهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكُم مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] أي: برفعك إلى هذا المكان الذي لا يقدر أن يمسوك فيه بسوء.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] فيما جئت به، وآمنوا بك نبياً ورسولاً ومبشراً بنبي يأتي بعدك اسمه أحمد: ﴿فَوَقَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] من أهل الكتاب بالحجة القاطعة إلى يوم القيامة.

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (وفي).

فهذه الوعود الأربعة من الله للمسيح عليه السلام معطوفة بالواو التي لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، بل المقدم فيها للاهتمام به.

فقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...﴾ [آل عمران: ٥٥] على فرض أن المراد بالوفاة الموت، فهي لا تعني أن الوفاة تكون قبل الرفع، ولا أن الرفع يكون قبل التطهير، ولا أن التطهير يكون قبل جعل الذين أتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، بل تعني أن هذه الوعود واقعة له ومتحققة لا محالة كل على حسب وقته.

فيمكن أن يكون رفعه، ورفعه طهره من الذين كفروا، ثم ينزله إلى الأرض، ثم يجعل الذين أتبعوه قبل رفعه وبعد رفعه وعند نزوله فوق الذين كفروا قبل رفعه وبعد رفعه وعند نزوله إلى يوم القيامة. فلا حجة إذن على أنه توفاه بمعنى أماته ثم رفعه. والذي يناسب الرفع إلى الله مع معاني التوفي هو التوفي بمعنى الإنامة لا الإماتة؛ إذ لا معنى لرفعه إلى الله جثة هامدة.

وعلى تقدير التوفي بالإماتة لا تكون تلك البشارة بالتطهير والإنجاء قد تحققت، بل يكون قد أعان اليهود على قصدهم، وهو أن يتخلصوا من عيسى عليه السلام إمّا بالموت أو بالقتل.

ثالثاً: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] المعنى: أن أهل الكتاب سيؤمنون بالمسيح ابن مريم عبداً لله ورسولاً، وأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، وليس إلهاً ولا ابن إله، وذلك قبل يوم القيامة وعند نزول المسيح إلى الأرض وقبل موته فيها عليه السلام، وعلى كون الضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] لعيسى كما هو الصحيح المعول عليه يكون نزوله أمراً بديهياً لا شك فيه، فإن أهل الكتاب لن يصعدوا إلى السماء ليؤمنوا به، ولكنه هو الذي سينزل إلى الأرض، كما صرحت به الأحاديث الصحيحة المتواترة. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] بعد نزوله إلى الأرض وبعد موته فيها ليعتد مع الخلائق يوم القيامة.

رابعاً: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [٥٧] وَقَالُوا يَا إِلَهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ [الزخرف: ٥٧-٦١] في الآيات دليل على أن نزول المسيح عليه السلام سيكون عالماً (بالكسر) أو عالماً (بالفتح) بقرب الساعة. روى ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس عن

النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِسَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٦١] قَالَ: «نَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

فَسِيَاقُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ الْمَسِيحُ ﷺ، وَلَا يَجُوزُ صَرْفُ الْكَلَامِ عَمَّا هُوَ فِي سِيَاقِهِ إِلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ دَلَالَةِ ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ أَوْ خَبَرٍ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ صَحِيحٍ. وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ هَذَيْنِ مَوْجُوداً^(٢).

خَامِساً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٦] فَالآيَةُ دَلِيلٌ عَلَى نَزُولِهِ ﷺ وَقَوْلُهُ ﴿وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] مَعْطُوفٌ عَلَى مَتَعَلِّقِ الظَّرْفِ قَبْلَهُ دَاخِلٌ مَعَهُ فِي حُكْمِهِ. فَلَمَّا كَانَ كَلَامُهُ فِي الْمَهْدِ آيَةً فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ وَهُوَ كَهْلٌ كَذَلِكَ لِيُوجِدَ مَخْرَجَ لِلتَّنْصِيصِ، فَالْكَلَامُ مِنَ الْكَهْلِ لَا غَرَابَةَ فِيهِ، فَالْمَقْصُودُ إِذْنُ كَلَامِهِ عِنْدَمَا يَنْزِلُ آخِرَ الزَّمَانِ.

(١) قَالَ ابْنُ حَبَّانَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْخَلِيلِ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ، ثنا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، ثنا شَيْبَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ رَجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ، وَعَاصِمٌ مِنْ أُمَّةِ الْقُرَّاءِ الْمَشْهُورِينَ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي كِتَابِ «تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ»: عَاصِمٌ هُوَ ابْنُ أَبِي النَّجُودِ وَابْنُ بَهْدَلَةَ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: كَانَ ثِقَةً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ. وَقَالَ الْعَجَلِيُّ: كَانَ صَاحِبَ سُنَّةٍ وَقِرَاءَةٍ وَكَانَ ثِقَةً. وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ: فِي حَدِيثِ اضْطِرَابٍ وَهُوَ ثِقَةٌ.

(٢) رَاجِعْ كِتَابَ فِصْلِ الْمَقَالِ فِي رَفْعِ عِيسَى ﷺ حَيًّا وَفِي نَزُولِهِ وَقَتْلِهِ الدَّجَالِ، لِلدَّكْتُورِ مُحَمَّدِ خَلِيلِ هِرَاسٍ، ط ١، دَارُ الطَّبَاعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالْأَزْهَرِ، ص ١٠.

سادساً: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها».

والحديث مشهورٌ عن أبي هريرة بأسانيد متعددة تقربه من المتواتر. وهذا مما جعل ابن رشد كما نقل عنه الأبى في شرح كتاب صحيح مسلم يجزم بأن حديث نزول عيسى متواترٌ عن الرسول ﷺ (١).

(وفي الباب عن عمران بن حصين، ونافع بن عتبة وحذيفة ابن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي أمامة وابن مسعود وعبدالله بن عمرو، وسمرة بن جندب والنّوأس بن سمعان وعمرو بن عوف وحذيفة بن اليمان وغيرهم) (٢)، والمراد برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى ابن مريم له بعد نزوله.

(١) راجع كتاب صحيح مسلم بشرح الأبى، ١، سنة ١٣٢٧هـ، ج (١) ص ٢٦٥.
(٢) راجع كتاب عمدة التفسير لابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر، ج ٤، ص ٤٢.

الترجيح:

بعد استعراض الأدلة التي استدلت بها كل على ما ذهب إليه وجدتُ الحقَّ إن شاء الله مع الجمهور الذين فصلوا أدلتهم تفصيلاً يرضاه العقل والنقل، وجأؤوا بما هو مفهوم ومعقول. أما الذين قالوا بوفاة المسيح عليه السلام على الأرض وصعود روحه دون جسمه والذين شكَّكوا في نزوله في آخر الزمان؛ فإنَّ هؤلاء قد أخطؤوا جانب الحقِّ، وسيظهر ذلك إن شاء الله في المناقشة التالية:

أولاً: القول إنَّ الرِّفْعَ الَّذِي ورد في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] هو رفعُ مكانة ينافيه ما يلي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]

ب- إنَّ الَّذِينَ حضروا قتله وصلبه - كما زعموا - لم يوقفوا بقتله ولا بصلبه، بل اختلفوا فيه، وكانوا في شكٍّ منه. وتقدير الآية: ما قتلوا الجسد، ولا صلبوا الجسد، بل رفع الله الجسد إليه بروحه حيًّا.

ج- ثمَّ يأتي ما يؤيد هذا الظاهر من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]. التَّقْدِير: إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ سَيُؤْمِنُونَ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعبوديته ورسالته، وبأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، إيماناً صحيحاً ينجي من الخلود في النَّار، قبل موت المسيح: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] مؤيِّدٌ للسياق على هذا المعنى.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُك بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١] دليل على أَنَّ خروجه على الأرض بعد نزوله من السَّمَاء قبل يوم القيامة آية لقرب قيام السَّاعة.

وما جاء في الصَّحِيحِينَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ أَحَادِيثٍ صَحِيحَةٍ مُّوَافِقَةٍ لِلْقُرْآنِ دَالَّةٌ عَلَى نَزُولِهِ، تُؤَيِّدُ الْقَوْلَ بِنَزُولِهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَالرَّفْعُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ذَكَرَ فِي مُقَابَلِ نَفْيِ الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ، أَي: إِنَّهُ رَفَعَ حَيًّا بِجِزَائِهِ مُعَا لِيَسْتَقِيمَ الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ.

هذا وورود نصوص تدلُّ على رفع المكانة لا تنفي أن تكون هناك نصوصٌ تدلُّ على رفع المكان، بل يلزم من رفع المكان رفع المكانة.

ثانياً: استشهادهم بقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] على أن أجساد الشهداء في الأرض، وهم أحياء بأرواحهم عند ربِّهم، يرد عليه أن الشهداء قتلوا في المعارك، وأمَّا المسيح عليه السلام فلم يمت مقتولاً ولا مصلوباً، بل رفعه الله إليه حياً لم يمسسه أذى، وكما كان على الأرض بجسمه وروحه معاً.

ثالثاً: أما قولهم: إنَّ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] لا يدلُّ على رفعه حياً بجسده؛ لأنَّ ما يدعم هذا القول من أحاديث يُعدُّ مضطرباً مختلفاً في ألفاظه ومعانيه... إلخ، يرد عليه مطالبتهم بالدليل الذي يعارض تلك الأحاديث المتواترة والمفسرة لمتواتر الذي هو القرآن طبقاً لظاهره.

ومعلوم أن المفسر (بالكسر) يلحق بالمفسر، وأحاديث الأحاد إذا رويت من طرقٍ متعددة وضمَّ بعضها إلى بعضٍ أفادت التواتر المعنوي الذي يفيد القطع كالتواتر اللفظي.

والقول باضطراب الأحاديث غير مسلم لمن له إمام بما جاء في الصحيحين وغيرهما. وفي مذهب أبي حنيفة النعمان أن المشهور ينسخ القرآن كالمتواتر، وهذه الأحاديث الواردة في نزول المسيح في معظمها لا أقل من أن تكون مشهورة.

رابعاً: أمّا قولهم بأن الضمير في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩] يعود الأول لعيسى والثاني للكتابي، فيرد عليه ما يلي:

١- الإيمان يُحمل على الإيمان الشرعي المعتبر لا على غيره. فالقول: إن أهل الكتاب يؤمنون بعيسى عند موتهم يخالف ما أجمع عليه المسلمون؛ لأن الإيمان عند الموت ليس إيماناً معتبراً، ولا ينفع صاحبه بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَوْبُوا مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٧-١٨].

٢- القول: إن الضمير الأول لعيسى والثاني فيه تشيت للضمائر، والأصل عدم التشيت.

٣- المقام مقام إثبات رفعه حياً، وليس مقام إيمانهم أو عدم إيمانهم، والسِّيَاق في الآيات أكبر شاهدٍ على خَطِّئِهِم في التَّأْوِيلِ.

خامساً: وأمَّا استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَأَلْسَلْنَا عَلَى يَوْمِ وُلْدَتْ وَيَوْمَ أُمُوتٍ وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] على أَنَّ الْمَسِيحَ ﷺ ككَلِّ الْبَشَرِ يُولَدُ، وَيَمُوتُ وَيُبْعَثُ.

فليس في الآية دليلٌ على موته قبل الرَّفْعِ، ولا أحد يقول: إِنَّ الْمَسِيحَ ﷺ لَن يَمُوتَ بَعْدَ أَنْ يَنْزَلَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

سادساً: وأمَّا عن قولهم بإطلاق الخطاب على شخص وإرادة روحه، وأنَّ الرُّوحَ هي حقيقة الإنسان، وأنَّ الجسد ما هو إلا ثوبٌ مستعارٌ، فيقول الدكتور محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ: (هذا تعليلٌ صوفيٌّ فلسفيٌّ عجيبٌ، ولم يعهد في خطابات الشَّرْعِ ذلك التَّجْرِيدِ، فهو حين يخاطب الأشخاص إنَّما يخاطبهم بوصفهم أشخاصاً لا أرواحاً، وإذا أراد خطاب النَّفْسِ وحدها وجَّه إليها الخطاب، كقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ﴿١﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

(١) راجع كتاب فصل المقال، ص ٥٤.

ونقل الدكتور الهراس رحمه الله في كتابه فصل المقال رأياً للمرحوم حامد الفقي يقول فيه: (إنَّ الَّذِينَ يَكْثُرُونَ الْيَوْمَ مِنَ الْإِلْحَاحِ وَاللَّجَاجَةِ فِي إِنْكَارِ رَفْعِ عِيسَى وَنَزُولِهِ هُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الْقَادِيَانِيَةِ الْكَافِرَةِ الْمَارِقَةِ الَّتِي تَحَرَّفَ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي نَزُولِ عِيسَى عَنْ مَعْنَاهَا الْعَرَبِيَّ، وَتَجَعَلَهَا حِجَّةً لِدَجَالِهَا الْكَذَّابِ الْخَبِيثِ غَلَامِ أَحْمَدِ الْقَادِيَانِيِّ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ نَبِيُّ يُوْحَى إِلَيْهِ، وَأَنَّ لَهُ قِرْآنًا تَتْلُوهُ هَذِهِ الشُّرْذِمَةُ الْخَاسِرَةُ، هُوَ الْمِثْلُ الْأَظْهَرُ لِلسُّخْفِ وَالْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى الْعَقْلِ وَالْأَخْلَاقِ).

وتحاول هذه الشُّرْذِمَةُ الضَّالَّةُ بِكُلِّ مَا تَسْتَطِيعُ مِنْ لَفٍّ وَدَوْرَانٍ وَاحْتِيَالٍ أَنْ تَحْصِلَ عَلَى كَلِمَاتٍ لِعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ لِتَتَّخِذَهَا شَبَكَةً تَصِيدُ بِهَا سَفَهَاءَ الْأَحْلَامِ وَصِغَارَ الْعُقُولِ؛ لِتَوْقِعَهُمْ فِي شَرْكَ الْكُفْرِ...

وإنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَمْ يَذْكَرْ فِي حَقِّ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِثْلَ الْآيَاتِ وَالنُّصُوصِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي حَقِّ عِيسَى عليه السلام، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ هَذَا الشَّأْنَ لِعِيسَى خَاصَّةٌ، وَأَنَّ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَشَارِكُونَ فِي ذَلِكَ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْآيَاتُ دَالَّةً عَلَى خُصُوصِيَّةِ عِيسَى، وَأَنَّهُ كغیره من إخوانه الأنبياء في الموت فلا معنى لهذه النصوص

ولا فائدة. وإذا جَوَّزنا ذلك، وجعلنا هذه النُّصوص على مثل ما جاء في موت إخوانه الأنبياء فتحنا بذلك باباً من التَّأويل الباطل، كما فتح الباطنيون هذا الباب ليخرجوا منه على كلِّ التَّشريع، وينحلوا عن كلِّ الأوامر والنَّواهي...^(١).

وبالجملة، فالدليل قائمٌ من الكتاب والسُّنة على رفع المسيح ابن مريم عليه السلام ونزوله بلا شبهة، وما قول النّافين إلا تمحّل يدعوا إلى العجب من علماء لهم مكانتهم في العلم خصوصاً في الذين يستندون إلى احتمالات في مقابلة النُّصوص الصّريحة الواضحة، فهم لم يستدلُّوا بدليل قطعي ولا ظنيّ على موت المسيح قبل نزوله، وإنّما أوَّلوا النُّصوص، وحملوها على غير محاملها بغير سلطان أتوا به إلا سلطان العقل القاصر عن أن الله يفعل ما يشاء، ويكرم من يشاء متى يشاء.

والكتاب والسُّنة قائمان باقيان يشهدان بالدليل القاطع على رفع عيسى ابن مريم عليه السلام بروحه وجسده معاً حياً إلى السَّماء. وليست المغالطة من شأن المؤمن في أمرٍ قطعيٍّ متوارث، ولا داعي للتَّشكيك في أمر هذا سبيله.

(١) كتاب فصل المقال: ص ٦٦.

اختلاف الأحزاب من أهل الكتاب حول حقيقة عيسى ابن مريم:
 لم تشهد أمة في التاريخ الإنساني اختلافاً شديداً وقع حول
 حقيقة إنسان ما، مثل الاختلاف الذي وقع بين أهل الكتاب
 حول شخصية عيسى ابن مريم عليه السلام وحقيقته.

اختلافاً أدى إلى خروج عن المألوف في كثير
 من أمور الحياة بين بني البشر، وجعل بعضهم ينسج
 حول عيسى ابن مريم هالةً من المعتقدات الواهية التي
 تمجُّها المسامع، وتأبأها العقول السليمة. قال تعالى:
 ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾
 [الزخرف: ٦٥] فاختلفوا فهم كان حول طبيعة عيسى ابن مريم كما دلَّ
 عليه السياق.

فمن قائل: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهم اليعقوبيون
 أتباع يعقوب البراذعي.

ومن قائل: إن المسيح ابن الله. وهم الأغلبية من النصارى.

ومن قائل: إن المسيح ثلاثة (الأب والابن والروح القدس)
 وهم الملكانيون.

ومن قائل: إِنَّ الْمَسِيحَ ذُو طَبِيعَتَيْنِ: طَبِيعَةَ إِلَهِيَّةٍ وَطَبِيعَةَ بَشَرِيَّةٍ. فَهُوَ إِلَهُ حَقِيقِيٌّ، وَبَشَرٌ حَقِيقِيٌّ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ؟ وَهَمُّ الْكَاثُولِيكِيِّونَ.

ومن قائل: إِنَّهُ وَأُمَّهُ إِلهَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَهَمُّ الْبِرْبَرَانِيِّونَ.
ومن قائل: إِنَّ الْمَسِيحَ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ لَيْسَ يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ وَلَا مَرَاحِلِ النَّشْأَةِ. وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّصَارَى. وَهَمُّ أَصْحَابِ بُولْسِ الشَّمْشَاطِيِّ.

وهؤلاء جميعهم - باستثناء المؤمنين - قد حكم الله بكفرهم كفراً صريحاً في آياتٍ كثيرةٍ من كتابه العزيز، وفندَّ أباطيلهم، وأوهى حججهم.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

فالله جلَّ وعلا حكم بكفر من قال: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وزعموا أنه نزل إلى الأرض، وتمثَّل في رحم امرأةٍ على

شكل جنين، ثم خرج من حيث يخرج الولد، ونما وترعرع كأبي مولودٍ آخر يتغذى وينام. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فهؤلاء قد كفروا بحقيقة الله، وأنزلوه مترلة خلقه من البشر، وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فالذي زعموه أنه إله ما هو إلا مخلوقٌ لله لا يملك من أمره حولاً ولا قوةً، فهو يأكل ويشرب ويمرض وينام، وتعتريه كلُّ عوامل الضعف والحاجة. ولا يملك أحدٌ من المخلوقات كائناً من كان أن يردَّ قضاء الله وقدره إذا أراد إهلاك المسيح ابن مريم وإهلاك أمه، بل إهلاك كلِّ من في الأرض جميعاً. فهل يهلك الإله الحقيقي نفسه؟ وهل يهلك من كانت سبباً في وجوده؟ وعيسى لا يملك حقَّ السَّيطرة على مصير من في الأرض جميعاً؛ لأنه خضع لعوامل الخلق والتكوين.

إنَّ الله هو المعبود بحقٍّ في يده مقاليد السماوات والأرض يملكها ملكاً حقيقياً مطلقاً لا ينازعه فيه غيره.

وفي يده مصير كلِّ ما بين السماوات والأرض من مخلوقاتٍ يتصرَّف فيها كيف يشاء. فهو سبحانه واجب الوجود.

ونجد في آيات أخرى من القرآن أن المسيح ابن مريم نفسه قد أثبت لنفسه العبودية لله خالقه ورازقه، وبين عاقبة المشركين بالله غيره، وهي الحرمان من الجنة مطلقاً التي هي دار النعيم المقيم، والخلود في النار هي دار الشقاء والعذاب حدث لا ناصر له ولا معين. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

والفئة الثانية من الذين حكم الله بكفرهم من النصارى هم القائلون: إن المسيح ابن مريم ابن الله؛ لأنه اشتبه عليهم الأمر في ميلاده من عذراء لم يمسسها بشر، ما دفعهم إلى أن ينسجوا حول مولده نسيجاً واهياً من المعتقدات الفاسدة. فهم يقولون: إن الله تعالى عندما أراد أن يرفع عن البشر جرم خطيئة أبيهم آدم التي ارتكبتها في الجنة عندما أكل من الشجرة التي كان قد نهاه الله عن الأكل منها، فأنزله الله إلى الأرض. فعمت الخطيئة جميع نسله من بعده تبعاً، بعث بابنه الحبيب فداءً للبشرية يُصلب، ويُقتل، ويُدفن، ثم بعد ثلاثة أيام يقوم من الأموات، ويصعد إلى حيث أبوه في السماء.

هذه التُّرّهَاتِ الَّتِي نَسَجَهَا أَعْدَاءُ الْإِنْسَانِيَةِ الْوَثْنِيُّونَ مِنْ يَهُودِ الشُّتَاتِ وَنَصَارَى بُولَسَ، رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا وَحَكَمَ بِكُفْرِ قَائِلِيهَا، وَبَيَّنَّ مَصِيرَهُمْ، وَحَدَّدَ مَا لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ هُمْ مَاتُوا، وَلَمْ يَرْجِعُوا عَنْ مَقَالَتِهِمُ الشَّنِيعَةَ.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٨﴾ ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝﴾ [مريم: ٨٨-٩٥].

القائلون بهذه المقالة الشَّنِيعَةَ هم من أهل الكتاب من يهود و نصارى. قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَالَتْهُمْ اللَّهُ أَنْفٌ يُؤَفَّكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة: ٣٠].

فَاتَّخَذَ اللَّهُ لِلْوَالِدِ -بِزَعْمِهِمُ الْبَاطِلِ- تَمَّ عَنْ طَرِيقِ امْتِزَاجِ النَّاسُوتِ بِاللَّاهُوتِ، نَاسُوتِ مَرْيَمَ وَلَاهُوتِ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَذَا مُحَضَّرٌ افْتِرَاءً مِنَ النَّاحِيَةِ الْعَقْلِيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّاسُوتَ وَاللَّاهُوتَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَزِجَا امْتِزَاجًا يَشْكَلَانِ مَعَهُ عُنْصُرًا وَاحِدًا. وَالرَّحْمَنُ

الَّذِي جَاءَ ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، هُوَ الْمَنْعَمُ بِالْمَنْعَمِ
الابتدائية الابتلائية، أي: هو المنعم بكلّ هذا الوجود، وما فيه
من سماواتٍ وأرضين، وما بينهما وما فيهما من خلّاتق، ابتداءً
غير مراعى فيه استحقاقاً ولا غيره، من حيث هو المنعم.

وقدرة الرَّحْمَنِ عَلَى هَذَا الْإِنْعَامِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَفْتَقِرُ إِلَى
وَلَدٍ أَوْ مَعِينٍ يَعِينُهُ عَلَى إِنْعَامِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨]. ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا
[مريم: ٨٩] أَي: شَيْئًا ثَقِيلًا شَدِيدَ الْإِنْكَارِ لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ مَنْطُوقًا وَلَا
مَفْهُومًا. وَهُوَ (العجب والأمر الفظيع العظيم الداهية^(١)).

فلو جاز أن يكون للرَّحْمَنِ وَلَدٌ لَكَانَ الرَّحْمَنُ غَيْرَ وَاجِبِ
الوجود الَّذِي يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ. وَلَوْ كَانَ يَنْفَصِلُ عَنْهُ وَلَدٌ لَكَانَ
مَرْكَبًا، وَلَوْ كَانَ مَرْكَبًا لَكَانَ جَائِزَ الْعَدَمِ، وَهُوَ مُحَالٌ.

فَادِّعَاءُ انْفِصَالِ الْوَلَدِ عَنِ الرَّحْمَنِ -سُبْحَانَهُ- أَمْرٌ مَنْأَفٍ
لَوْ جُوبِ الْوُجُودِ عَقْلًا، فَكَيْفَ يَقْبَلُهُ وَجُودَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ الدَّالَّةَ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنَ وَاجِبَ الْوُجُودِ، وَهُوَ أَمْرٌ قَائِمٌ

(١) راجع لسان العرب لابن منظور مادة (أدد).

قطعاً؟. ولو لم يكن واجب الوجود حقيقة قائمة واقعة لما أمكن أن توجد السَّمَاوَات والأَرْض والجبال والكون بأمره، ولكنّه وجد فدلّ ذلك على أنّ الرحمن واجب الوجود وهو المطلوب. ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِزْرُ الْجِبَالِ هَذَا ﴾ [مريم: ٩٠-٩٢].

أي: من أجل أن دعوا للرحمن ولداً من دون مستند عقلي ولا نقلي، فإنّ السماوات تقرب من أن تنفطر على الرغم من حبكها المتقن من هذه الدعوة المفرغة من كل برهان أو سلطان. والأرض على صلابتها ودحيها توشك أن تنشق وتبتلع من عليها. والجبال الراسخات العاليات ذات الصّلابة العالية توشك من عظم فداحة هذه الدعوة الباطلة أن تخرّ قمتها إلى قاعها مهدودة مفتتة الأجزاء. كلُّ ذلك يوشك أن يكون لولا أنّ دعواهم باطلة منافية للإنعام بوجود تلك الأصناف من المخلوقات.

فالسَّمَاء جعلها الرحمن للإنسان سقفاً مرفوعاً، وجعل الأرض مقرّاً موزوناً، يمشي في مناكبها، ويأكل من رزق الله عليها، وجعل الجبال الشامخات على الأرض لتحفظ توازنها؛ لئلا تحيد بمن عليها أو تنهار.

وما جاء في الآية الكريمة تهويلٌ للدَّعوى المستلزمة عدم الاعتراف بهذه الإنعامات، إذ لو كانت هذه الدَّعوى حقًّا لما وجد شيء من ذلك، ولما وجد الرَّحمن المنعم بكلِّ هذه الإنعامات وغيرها، ولما وجدت هذه الإنعامات نفسها. ولكن وجودها حقيقة واقعة، فهذه الدَّعوى غير مقبولة لا في السَّماء ولا في الأرض؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] فالابتغاء مطاوعٌ (بغى) الشَّيء فانبغى الشَّيء.

فالرَّحمن المنعم بهذه النِّعم كلِّها وغيرها لا ينبغي له الولد، ولا ينبغي ولدًا. أي: لا يصحُّ، ولا يستقيم أن يكون له ولد؛ لأنَّه منافٍ لطلبه العقلي وطلبه الحاجي.

أمَّا العقلي فإنَّه منافٍ لواجب الوجود، وأمَّا الحاجي فإنَّه منافٍ لقدرته على تحقيق كلِّ ما يريد.

وإذا ثبت ذلك فكلُّ ما في السَّماءات والأرض بل الوجود وما فيه عبيدٌ لله تعالى كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣] بما فيه عيسى والأرض، فإذا كان عقلاء هذا الوجود لا يأتون الرَّحمن يوم القيامة إلا عبيدًا، فكلُّ ما سواهم أولى بهذا الحكم ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [١٤] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٤-٩٥].

فلا يغيب منهم أحدٌ ولا يمتنع منهم أحدٌ بقوةٍ ولا بسُلطان،
فالكلُّ قادمٌ إلى ربِّه يومَ الحشرِ الأكبرِ بمفرده يقدمه عمله، فإمَّا
شقيٌّ وإمَّا سعيدٌ.

إنَّ أصحابَ هذه المقالة البعيدة كلَّ البعد عن كلِّ حقٍّ
وحقيقةٍ فضح الله أمرهم عندما قال: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْرُ ابْنُ
اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يُوَفَّكَوْا
﴿٣٠﴾ أَنْكُذُوا أَجْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا
أَن يُمَيَّنَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ
وَيُضَدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا
يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُجْحَمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُقُوا
مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ ﴿ [التوبة: ٣٠-٣٥].

فعزيز الذي جمع التَّوراة بعد خروج اليهود من سبي بابل،
واعتبروه ابناً لله من أجل ذلك وقع في جمعه للتَّوراة تحريفٌ

وتبديلاً عظيمًا أخرج توراة موسى عن أصلها ما دفع علماء يهود من بعده إلى تصحيح ما وقع فيه من أخطاءٍ بحذفٍ أو إضافةٍ ووضعوا ذلك التصحيح في كتاب أسموه (التلمود) الذي لم يسلم هو الآخر من تحريف وتبديل دفع من جاء بعد ذلك من علماء يهود إلى تصحيحه، في كتاب أسموه (المدارش) ثم بعد مجيء القرآن الكريم بين الحق من الباطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦].

وأما قول النصراني المسيح ابن الله فمن حيث النسل، كقول العرب في الجاهلية: الملائكة بنات الله.

وكل من اليهود والنصارى القائلين بهذه المقالة يشبهون قول البراهمة من اليهود القائلين بتثليث الإله، ويشبهون أيضاً قول البوذيين في بوذا القائلين: إن (بوذا) كائنٌ لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من شرور^(١). فهم قد ورثوا عنهم الكفر الصراح، وقد انطوت أنفسهم على أشنع النعوت، وأزداها لله تعالى. فقد طردهم الله من رحمته التي وسعت كل شيء بسبب إفكهم وقتلهم الأنبياء.

(١) راجع كتاب مقارنة الأديان «أديان الهند الكبرى» لأحمد شلبي، ط ٢، سنة ١٩٦٦ م، مكتبة النهضة المصرية، ص ١٦٨.

ثم أوضح تعالى أنَّ الَّذِي أورد أولئك اليهود والنصارى المهالك إنما هم الأحرار والرهبان - العلماء منهم - الَّذِينَ زَيَّنُوا لَهُم الباطل، وَقَلَّبُوا لَهُم الأمور، فَأَحَلُّوا لَهُم الحرام فاستحلُّوه، وحرَّموا عليهم الحلال فحرَّموه.

روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليبٌ من ذهب، فقال: «ما هذا يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن» وسمعتَه يقرأ سورة (براءة) ﴿ أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١] ثمَّ قال: «أما إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه»^(١).

ومن جملة ما حرَّف الرهبان وهو أخطره، أن أوهموا أتباعهم بربوبية عيسى ابن مريم وألوهيته، فكان أن عبَد من دون الله أو جُعِلَ ندًّا لله. وهو بريءٌ ممَّا يقولون، ويفعلون والله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ.

وحقيقة الأمر وجوهره أنَّ جميع من خلق الله، وما يخلق مأمورون من ربِّهم ووليِّ نعمتهم وخالقهم بعبادته وحده

(١) انظر جامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ من سورة التَّوبَة.

لا إله معبودٌ بحقٍ سواه وهو منزّه عن كلّ شرك المشركين .
وأولئك المشركون من أحرار ورهبانٍ وأتباعهما قد استهدفوا
من شركهم وافتراءاتهم على الله إطفاء نوره الَّذي جاء به كلّ
الأنبياء والرُّسل، والَّذي يتمثّل في توحيد الله وأتباع شرعه .

ووسيلتهم في ذلك الإطفاء أفواههم . والفم أداة القول .

والإخبار بالقول له نسبةٌ كلامية، وإنَّ الحقائق في الخارج
لها نسبةٌ واقعيةٌ . فإذا نطق الفم بخبرٍ نسبته الكلامية كنسبته
الواقعية يكون إخباراً حقيقياً يترجم عن الشّيء الواقعي إيجاباً
أو سلباً .

أمّا لو لم تكن نسبةٌ واقعيةٌ فإنّه يكون مجرد نسبةٍ كلاميةٍ لا
حقيقة لها .

وكلامهم بأفواههم لإبطال الهدى الَّذي جاء به الأنبياء
المهتدون لا حقيقة له بل هو مجرد كلامٍ بالأفواه لا يترجم عن
حقيقة واقعية: ﴿وَيَأْتِ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾
[التوبة: ٣٢] من الإباء وهو الامتناع . وإتمام النور هو تبليغ النَّاس
رسالات ربّهم بواسطة الرُّسل في عصورٍ مختلفةٍ . والتعبير
بالأفواه، فيه تهكُّمٌ بالمشركين، وإثباتٌ لعجزهم . والنَّار

لها ضياءٌ وبريقٌ، فإذا خمدت شعلتها زال ضياؤها وبريقها وتوهَّجها. وبالضياء والبريق تظهر حقائق الأشياء حولها، وإذا طفئت اخفت الأشياء بحقيقتها.

فلذلك عبَّر عن إبطال حقائق الهدى -الذي هو أشبه بالنور- بالإطفاء، وأوضح سبحانه وتعالى أن أغلبية الأحرار من اليهود والرهبان من النصارى إنما شأنهم أكل أموال الناس بالباطل والبهتان عن طريق الزيف والخداع المتمثل في أكلهم الربا وفي رسوم الأديرة والكنائس للحصول على بركة القسيس، والحصول على صكوك الغفران التي تدخل صاحبها -كما يزعمون- الجنة على ما كان وما سيكون من عمله. كل ذلك باسم الدين الذي لم ينزل به من سلطان، وإنما عملهم هذا لكسب الأموال وأكلها بالباطل.

وإذا ما أراد الله بأحدهم خيراً، وشرح صدره للإسلام الحق، فإنهم يحاولون صدّه عن ذلك خوفاً من انتشار الحق بين رعاياهم؛ لئلا تبطل رئاستهم، وينقطع مورد رزقهم الحرام. ولكن الله قد تكفل بإظهار هداة ودينه بالحق على سائر الأديان على الرغم من أنف كل جاحدٍ واعتراض كل كارهٍ مشركٍ.

ولقد عملوا على جمع تلك الأموال وتكديسها في أماكن خاصة وصرّفها على الملذّات والشّهوات وإشاعة الباطل من معتقداتهم، ومنعوا مستحقّيها من فقراء ومساكين، وهم بذلك قد غفلوا في عملهم هذا عن حقيقة مرّة وواقع أليمٍ ينتظرهم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُودُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

قال القرطبي في تفسيره: (والكيّ في الوجه أشهر وأشنع؛ وفي الجنب والظهر ألم وأوجع؛ فلذلك خصّها بالذكر من بين سائر الأعضاء).

وقال علماء الظاهر: إنّما خصّ هذه الأعضاء؛ لأنّ الغني إذا رأى الفقير زوى ما بين عينه وقبض وجهه، وإذا سأله أعرض عنه، وإذا زاده في السُّؤال وأكثر عليه ولاه ظهره. فرتب الله العقوبة على حال المعصية^(١).

وأما الذين قالوا: إنّ الله ثالث ثلاثة، فقد جمعوا بين الكفر والشُّرك بالله معاً.

(١) راجع كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي عند تفسير سورة التّوبة، آية ٣٥.

قال تعالى: ﴿يَتَّهَلَّ الْكُتُبِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ [النساء: ١٧١-١٧٣].

لقد خاطب الله في هذه الآيات مشركي النصراري الذين تجاوزوا الحد في نبيهم عيسى ابن مريم، فأطروه إطرأء أخرجهم عن حقيقته، وجاوز به عن قدره فقالوا: إنه إله أو ابن إله، وقد ضلوا بذلك عن الحق. فما المسيح عيسى ابن مريم إلا رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، عبد أنعم الله عليه وجعله مثلاً لبني إسرائيل. جاءهم بالإنجيل كتاباً من عند الله فيه هدى ونور.

وما عدا ذلك من المعتقدات في عيسى ابن مريم فهو باطل ومحض افتراء.

والإطراء من الصِّفات المذمومة الَّتِي تنهى عنها الشَّرائع؛
لما لها من وقع سيئ في النُّفوس، وما تجرُّه على ضعفاء
العقول من ملابسات وأوهام. فهذا نبيُّ الإسلام ﷺ ينهى أمته
عن الإطراء فيه قائلاً: «لاتطروني كما أطرت النَّصارى عيسى ابن
مريم، فإنَّما أنا عبدالله ورسوله»^(١).

وعندما قال له أصحابه ذات يوم: يا سيِّدنا وخيرنا وابن خيرنا
قال لهم: «يا أيُّها النَّاس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشَّيطان، أنا
محمَّد، عبدالله ورسوله، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق مترلتي الَّتِي أنزلني
الله عزَّ وجلَّ»^(٢).

والمسيح ابن مريم عليه السلام حجَّة الله على عباده، أبدعه من غير
أب وأنطقه في غير أوانه، وأحيا الموتى على يديه. ويشبهه في
أصل خلقه أباه آدم عليهما السَّلام قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ
اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وإنَّ كلمة (من) في قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ليست
للتَّبعية، كما يدَّعي بعض النَّصارى الَّذِينَ استدلُّوا بالآية على

(١) راجع مسند الإمام أحمد بن حنبل شرح أحمد محمَّد شاكر، ط ٤، دار المعارف بمصر
رقم (١٢٥٧٨) وإسناده صحيح. وانظر أيضاً صحيح البخاري، كتاب حديث الأنبياء،
باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾.

(٢) رواه النَّسائي عن أنسٍ بسندٍ جيِّد، في اليوم واللَّيلة. انظر تحفة الأشراف ١/ ١٣٠.

أَنَّ الْمَسِيحَ جِزْءٌ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَمَنْ ثُمَّ فَهُوَ إِلَهٌ. بَلْ هِيَ لِابْتِدَاءِ
الْغَايَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرْنَاكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجمانية: ١٣].

روى البخاري عن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من شهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ عيسى
عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حقُّ والنار
حقُّ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(١).

ونهى الله النَّصَارَى عن القول: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةٍ. فقد صَنَّفَ
طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى (الأب والابن وروح القدس) إلهً واحداً ذو
أقانيم ثلاثة تُشَبَّه في الإنسان اليد الواحدة تتفرَّع عنها الأصابع.
وهذا بلا شكُّ قولٌ باطلٌ وتشبيهُ مع الفارق، اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ
الشَّيْطَانَ، فَأَغْوَاهُمْ وَأَغْوَى بِهِمْ، وَأَضَلَّهُمْ وَأَضَلَّ بِهِمْ، فإيمانهم
مع قولهم بالتثليث شركٌ محضٌ لا يغفره الله إذا مات عليه صاحبه.

وعلى الرغم من قولهم هذا وفداحته، فإنَّ الله دلَّهم إلى
ما يصلح فساد قلوبهم، ويجعلهم في النَّهْيَةِ يَنَالُونَ رِضَاهُ

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ لَا تَتَلَوُا فِي
دِينِكُمْ﴾ [النساء: 171] الآية.

ومغفرته، وهو أن ينتهوا عما يقولون ويعتقدون في نبيهم ﷺ، وأن يُنزلوه مترلته التي أنزله الله إياها. وأن يترهوا الله عن أن يكون له ولد؛ لأنَّ كلَّ ما في السَّمَاوَاتِ من ملائكةٍ وغيرهم وكلَّ ما في الأرض من مخلوقاتٍ وكائناتٍ إنما هي تحت إمرته وتصرفه ومشيتته، وهو الكفيل عليها يتولاها برعايته، ويحفظها بحفظه. وهو كما وصف نفسه عزَّ وجلَّ: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنۡى يَكُوۡنُ لَهٗ وِلۡدٌ وَّلَمْ تَكُنۡ لَّهٗ صَٰحِبَةً وَّخَلَقَ كُلَّ شَیْءٍ وَّهُوَ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيۡمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

ثمَّ أنتم أيها النَّصَارَى، أليس لكم في نبيكم الذي تدعون أتباعه أسوةً حسنةً؟ فهو لن يأنف، ولن يمتنع عن أن يكون عبداً لله خالصاً في عبوديته كما هي حقيقته، كأبي مخلوقٍ آخر. والملائكة المقربون لن يستنكفوا عن أن يكونوا عبيداً لله؛ لأنَّهم كما وصفهم الله بقوله: ﴿لَنۡ يَسۡتَنۡكِفَ الْمَسِيۡحُ اَنۡ يَكُوۡنَ عَبۡدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلٰٓئِكَةُ الْمُقَرَّبُوۡنَ وَمَنۡ يَسۡتَنۡكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِيۡهِ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَيَسۡخِطۡهُمۡ اِلَيَّ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

وكلُّ من يستنكف عن عبادة الله والخضوع لعبوديته تعالى، فإنَّ الله يحاسبه على ذلك يوم الجزاء ﴿يَوْمَ لَا يَنۡفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُوۡنَ﴾ [الشعراء: ٨٨]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمۡ اَدۡعُوۡنِيۡ اَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ اِنَّ الَّذِيۡنَ يَسۡتَكۡبِرُوۡنَ عَنۡ عِبَادَتِيۡ سَيَدۡخُلُوۡنَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيۡنَ﴾ [غافر: ٦٠].

فلو أن هؤلاء النصارى حذوا حذو نبيهم ﷺ في القول والعمل، لنجوا، ولكانوا على الصراط المستقيم. ولكنهم بغلوهم في نبيهم أماتوا دينهم، وحكموا على أنفسهم بما يعملون ويقولون بالكفر الذي عقوبته الخلود في النار.

وصدق الله حيث يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَرَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ [المائدة: ٦٥-٦٦].

وأما الفئة التي تقول: إن المسيح ﷺ ذو طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، فهو إله حقيقي وبشر حقيقي في آن واحد؛ فإنهم يدخلون في زمرة القائلين: (وَلَدَ اللَّهُ) وقد حكم الله بكفر الجميع.

وأما القائلون: إنه وأمه إلهان من دون الله، فقد أخزاهم الله ببيان حقيقة ذلك بواسطة نبيه المسيح عيسى ابن مريم ﷺ نفسه عند سؤاله إياه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ

إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّالِحِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

[المائدة: ١١٦-١٢٠].

محاورة عظيمة، في مشهد يومٍ عظيم، إذ الأبصار شاخصة، والقلوب واجفة والمُلك يومئذ لله الواحد القهار: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩].

يسأل الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم سؤالاً استفهامياً تقريرياً - وهو أعلم بحقيقة أمره - وإنما توبيخ وتبكيته للقائلين بهذه المقالة الدنيوية والفرية العظيمة. يسأله ما إذا كان قد أمر الناس من بني إسرائيل أو غيرهم أن يؤلَّهُوه من دون الله أو يؤلَّهُوا أمه، ويصرفوا إليهما، ولو بعض جزء من العبادة التي لا تكون إلا لله وحده.

فيلهمه الله الجواب الكامل في السَّاعة الحاسمة والوقت المناسب.

روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (يُلَقَّى عيسى حجته، فلقيه الله في قوله ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ، فلقيه: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ...﴾ [المائدة: ١١٦] الآية^(١). أي: أنزهك عن هذه المقالة الدينية التي لا تليق ولا يحقُّ لي قولها في حقك.

وقد علمت -سبحانك- بعلمك الشامل المحيط بكلِّ دقائق الأمور وجلائلها، إن كنت قد قلتها أو صدر عني من القول ما يشبهها، فأنت تعلم ما تنطوي عليه الأنفس وما يخالجهما من أحاسيس ومشاعر، ولا أحد يعلم ما في نفسك، فأنت علام الغيوب تعلم غيب السموات والأرض وما فيهنَّ وما بينهنَّ، فسبحانك من إلهٍ عظيمٍ.

وكانَّ سائلاً يسأل: إذا ما الذي قلت لهم؟

فكان جواب عيسى ابن مريم عليه السلام لربه حينذاك: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧]. أي: ما أبلغتهم، ولا طلبت منهم

(١) رواه الترمذي باب من سورة المائدة (ح/٥٠٥٦) حديث حسن صحيح.

إلا ما أمرتني به بواسطة الوحي عنك: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾
 [المائدة: ١١٧]. أي: اخضعوا، وأطيعوا الله وحده الَّذِي رَبَّانِي
 وَرَبَّكُمْ وَرَبِّي جميع الخلائق بجزيل نعمه الظاهرة والباطنة،
 واصرفوا العبادة لله وحده لا شريك له.

وكنت عليهم في الحياة الدنيا شاهداً على ما يقولون
 ويعتقدون، فلمَّا استوفيت مدَّة حياتي على الأرض ورفعتني
 إليك، لم أعد أعلم ما صنعوا بعدي فانقطعت تلك الشَّهادة
 عني، وأصبحت أنت وحدك الرَّقِيب عليهم في كلِّ أعمالهم
 ما ظهر منها وما بطن، وأنت على كل شيء في الوجود مطلعٌ
 اطلاع مشاهدٍ له عالمٌ بأدقِّ أسرارِهِ، من قبل ومن بعد.

والكلُّ تحت مشيئتِك وإرادتِك خاضعة لك رقابهم مذعنون
 معترفون بذنوبهم، تقيم فيه عدلك، تعذِّب من يستحقُّ العذاب
 منهم، وإن تغفر لهم وتتجاوز عن سيئاتهم وما ارتكبه من جرم
 في حقِّك، فإنك تغفر الذُّنوب جميعاً، وأنت العزيز الَّذِي لَا
 ينال جانبه، والحكيم الَّذِي يضع الأمور في نصابها.

ولقد صدق عيسى ابن مريم ربَّه، فنفعه صدقه في يومٍ
 ﴿يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] عند ربِّهم وينالون مرضاته،

﴿لَمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]. هذا وعدٌ من الله الذي له ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] مُلْكًا حَقِيقِيًّا مُطْلَقًا لَا يشاركه فيه أحدٌ، ولا يقاومه أو ينازعه عليه أحدٌ.

وليس للمسيح ابن مريم عليه السلام وصفٌ من الأوصاف يمكن أن يتَّصف به فوق بشريته إلا وصف النبوة والرَّسالة فهو بشرٌ ممَّن خلق الله أنعم عليه بأن جعله نبيًّا ذو رسالةٍ إلى بني إسرائيل يدعوهم بدعوة الرُّسل جميعاً: أن اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً. وأمه كسائر النساء في صفتها البشرية، فهي ممَّن خلق الله، كرمها بنبوة عبده ونبيِّه عيسى عليهما السَّلام، طهرها من كلِّ الآثام، اشتهرت بملازمة الصِّدق في جميع أقوالها، وصدقت بما جاء به ابنها من عند ربِّه وأتبعته.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلِعِبَاءَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٧٥].

ولقد كنى عن بشرية المسيح وأمه بصفةٍ ملازمةٍ لكلِّ مخلوقٍ من البشر لا تترك في نفس المؤمن أي صدى من شكٍّ

أو تردّد، ووضعت المسيح وأمه عليهما السّلام في الإطار الحقيقي الذي يجب أن يظهر فيه.

وتلك الصّفة هي حاجته الماسّة للطّعام الذي يقيم أوده، ويحفظ له الحياة. ولّما كان الجسم بعد تناول الطّعام يمتصّ حاجته منه، فإنّ الفضلات تبقى في الأمعاء مما يشكّل خطراً على الحياة إن لم يتخلّص منها الإنسان، ليحافظ على جسمه صحيحاً معافىً.

فبذلك انتفت صفة الألوهية عنهما. فهما كسائر البشر، وعيسى كسائر الأنبياء والمرسلين الذين قال الله عنهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝﴾ [الفرقان: ٢٠].

الخطاب في الآية لنبيّنا الكريم عليه وعلى إخوته من الأنبياء والرّسل أفضل الصّلاة والسّلام. فالذي يكون في حاجة إلى غيره لحفظ حياته وجلب رزقه وجميع شؤون معيشته، لا يكون بحالٍ من الأحوال إلهاً بحقّ ولا يستحقّ أن يُعبَد. فهو لا يملك لنفسه حولاً ولا قوّةً، فكيف يملكها لعبيده.



الْبَيْتُ الْخَامِسُ

تأثر بعض النصارى بالإسلام

بعد أن رفع الله عيسى ابن مريم إليه وكفَّ عنه بني إسرائيل من أن يقتلوه أو يصلبوه، خلفه في دعوته تلاميذه الَّذِينَ تفرَّقوا في كثير من بقاع العالم، وصحب ذلك تعدُّد البشائر التي أُطلق عليها بعد ذلك اسم الأناجيل، ولَّما كان كلُّ بشير قد أُلِّف إنجيله من ذاكرته فإن تبايناً كبيراً واختلافات كثيرة وقعت بين الأناجيل، وتسبب ذلك في جعل النصارى يصبحون فرقا وأحزاباً وصل الخلاف بينهم إلى أن يلعن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم بعضاً.

أمَّا عن الإنجيل الأصلي الذي أنزله الله على عبده ونبِيِّه عيسى ابن مريم عليه السلام فلا أثر له بين النصارى منذ رفع عيسى عليه السلام ما حمل أكثر حواريه على الاجتهاد في تذكره والتطاول عليه زوراً بتحريفٍ أو تبديلٍ، وذلك أدَّى إلى مسخ النصرية الحقة، وطمس معالمها.

وبعد ستة قرون من مولد المسيح عليه السلام، أشرق
الإسلام بنوره على الأرض، وقفى محمد عليه السلام عيسى ابن
مريم نبياً ورسولاً، لا إلى بني إسرائيل ولا إلى العرب
خاصة، بل إلى كلِّ النَّاسِ في جميع بقاع الأرض.
قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

وأنزل الله معه القرآن الَّذِي وصفه تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ هَذَا
الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩] معجزة خالدة على مرِّ العصور، تحدى الله
بها فصحاء العرب حينذاك وبعدئذ. بل تحدى الإنس والجنَّ
أن يأتوا بمثله. ولقد دعا خاتم الأنبياء عليه السلام إلى توحيد الله في
العبادة بأنواعها، وفي أسمائه وصفاته أوّل ما دعا. فكان من
الطَّبِيعِي أن يتولَّى عليه الصلاة والسلام دعوة وإرشاد كل من
خالف مبدأ التَّوْحِيدِ، وقال بتعدُّد الآلهة أو اعتقد وجود وسطاء
بين الله وخالقه لا يشفعون لهم بزعمهم عند الله حتَّى يعبدوهم،
ويقدِّموا لهم فروض الولاء والطَّاعة العمياء. فكلُّ هذه وغيرها
معتقدات فاسدةٌ حاربتها الأسلام كما حاربتها الأديان من قبله
بلا هوادةٍ على لسانِ أنبيائهم عليهم السلام.

وقد التقى الرسول ﷺ وفوداً من المشركين في مكة وفي المدينة من العرب والعجم، يدعوهم إلى الإسلام بعد أن يبين لهم محاسنه وعاقبة المؤمنين. فإن هم أبوا فرض عليهم الجزية إن كانوا من أهل الكتاب، فإن هم أبوا قاتلهم.

من تلك الوفود وفد من النصارى، كالوفد الذي قدم من الحبشة يضم سبعين قسيساً بعثهم النجاشي ملكها ليستطلعوا له حقيقة الإسلام الذي أشرق نوره في جزيرة العرب. التقاهم الرسول ﷺ وتلا عليهم من القرآن الكريم سورة ﴿يس﴾ والقرآن الحكيم ﴿حتى ختمها، فجعلوا يبكون، وأعلنوا إسلامهم، فأنزل الله في شأنهم قرآناً يتلى إلى اليوم: ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَمَنَابِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّكَ كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُم أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٣-٥٥].

قال محمد بن إسحاق بعد أن ذكر مجيء وفد النجاشي إلى رسول الله ﷺ قال: «فلما قاموا من مجلس الرسول اعترضهم أبو جهل ابن هشام في نفر من قريش، فقال لهم: خيبكم الله من ركب بعثكم أهل دينكم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم حتى

فارقتم دينكم وصدقتموه. فقالوا لهم: سلام عليكم لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً^(١).

فهؤلاء قد أشربوا الإيمان في قلوبهم، وعرفوا الحق ممّا سمعوه من القرآن الذي خالط معناه بشاشة قلوبهم.

وقبل ذلك كانت هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة بعد أن لاقى المسلمون من مشركي مكة ما لا قوا من عنتٍ ومشقةٍ، هاجروا إلى الحبشة بعد أن أذن لهم الرسول ﷺ بذلك مؤكّداً لهم وجود ملك لا يُظلم عنده أحدٌ - ويعني به النجاشي ملك الحبشة من قبَل الرومان - حتى يجعل الله لهم فرجاً ممّا هم فيه. وخرجوا إلى أرض الحبشة عن طريق البحر الأحمر في سفينةٍ آجروها، وذلك سنة خمسٍ من النبوة المباركة، فكانت هجرتهم أول هجرةٍ في الإسلام.

مكث المسلمون في الحبشة ما يزيد على ثلاثة أشهرٍ، نزلت في خلالها على الرسول ﷺ آياتٌ من سورة النجم، فقرأها وكان يسمعه بعض المشركين، فسجد وسجد المسلمون معه وسجد المشركون. وشاع خبرٌ أن المشركين قد صافوا

(١) راجع سيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السّقا، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

محمدًا. فبلغ ذلك من في الحبشة من المسلمين، وبلغهم أن مهادنة بين الطرفين قد تمت، فرأوا الرجوع إلى مكة، وقد بلغوها فعلاً، فوجدوا أن الوضع القائم فيها غير ما بلغهم، فعاد بعضهم إلى الحبشة مرة أخرى، ودخل من دخل منهم في جوار أحد المشركين.

واشتدَّ أذى قريشٍ للمسلمين، فقرروا الهجرة مرة ثانية إلى الحبشة بمشورة من الرسول ﷺ فهاجر في هذه المرة خلق كثير يزيد على الثمانين بين نساء ورجال من بينهم جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول، فلما رأت قريش أن المسلمين في الحبشة قد أمنوا واطمأنوا بها، وعبدوا الله لا يؤذيهم أحدٌ، قرروا إرسال وفد عنهم إلى النجاشي يحاوره في استرجاع من عنده من المسلمين، فاختاروا لذلك عمرو بن العاص، وعمارة ابن الوليد بن المغيرة، وزودوهما بهدايا من الأدم للنجاشي وبطارقته. فعندما بلغا الحبشة التقيا النجاشي، فأفهماه بأنهما موفدان من أهل، وذوي المسلمين الذين عنده في محاولة لاسترجاعهم إلى وطنهم؛ لأنهم سفهاء لا يدركون معنى ما قدموا عليه. فامتنع النجاشي عن تسليمهما ما أرادا قبل أن يتحدث إلى المسلمين، ويسمع حجتهم.

فبعث النجاشي إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن دينهم الذي فارقوا فيه قومهم، ولم يدخلوا في دينه، ولا في دين أحد من هذه الملل؟.

فتولى الكلام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونُسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرفه ونعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّدَه ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة فصدّقناه وآمنا به واتّبعناه على ما جاء به من الله، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ الله لنا. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردّونا إلى عبادة غير الله وأن نستحلّ من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيّها الملك.

فطلب منه النَّجاشي أن يقرأ عليه شيئاً ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ
فقرأ عليه جعفر صدر سورة مريم. فبكى النَّجاشي، حتى ابتلت
لحيته، وبكى أساقفته. فقال النَّجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به عيسى
ليخرج من مشكاة واحدة، فرفض أن يسلمهم إلى الموفدين.

غير أنَّ عمرو بن العاص أعاد الكرَّة مرَّةً أخرى في اليوم
المقبل، وأراد أن يوقع بين النَّجاشي والمسلمين، فأظهر للنَّجاشي
أنَّ المسلمين يقولون في عيسى قولاً عظيماً: إنَّهم يقولون: إنَّه عبدٌ.
فسأل النَّجاشي جعفرًا، فقال:

نقول فيه كما قال رسولنا هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى
مريم العذراء البتول وروحٌ منه. فضرب النَّجاشي بيده إلى الأرض،
فأخذ منها عوداً، ثمَّ قال: واللَّه ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود.
فرفض أن يسلمهم وأخبرهم بأنَّهم آمنون في بلاده. فعاد
الوفد إلى قريشٍ خائباً.

وبعد يومٍ بدرٍ وهلاكٍ كثيرٍ من وجوه المشركين فيه قرَّر الباقون
أن يتنقموا من المسلمين بمن في الحبشة من المهاجرين يقتلونهم.
فأرسلوا عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة إلى
النَّجاشي، وأرسلوا معهما هدايا وتحفًا. فلمَّا بلغ ذلك رسول

الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتابٍ يوصيه فيه على المسلمين.

أمّا عمرو بن العاص فقد طلب من النجاشي أن يسلمه عمرو بن أمية ليقتله، فغضب لذلك النجاشي، قائلاً له: (تسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى ابن مريم لتقتله؟).

فسأله عمرو بن العاص إن كان يشهد أن محمداً رسول الله؟ فقال النجاشي: نعم، أشهد بذلك عند الله، فأطعني يا عمرو، واتبعه، فوالله إنه لعلی الحق.

فقال عمرو بن العاص للنجاشي: أتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم. فمدّ يده، فبايعته على الإسلام^(١).

وفي شهر ربيع سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله ﷺ إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام. وكتب إليه أن يزوجه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت مهاجرة مع زوجها عبدالله بن جحش، فتنصّر هناك ومات نصرانياً.

(١) راجع السيرة الحلبية لعلی بن برهان الدين الحلبي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ج، ص ٢٠٠.

وكتب إليه أيضاً أن يبعث من بقي من أصحابه. فلما قرأ الكتاب أسلم، وقال: لو قدرت أن آتية لأتيته. وزوجه أم حبيبة، وأصدقها عنه أربعمئة دينار، وجعل بقية أصحابه في سفيتين، فقدموا على رسول الله ﷺ بخير، وقد فتحها (١).

وقد كتم النجاشي إسلامه عن قومه مدة حياته، ولولا ما ورد من أحاديث في الصحيحين وغيرهما تثبت إسلامه لما اشتهر ذلك عنه.

روي في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى وصف بهم، وكبر أربع تكبيرات (٢).

وروى البخاري عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ، حين مات النجاشي: (مات اليوم رجل صالح، فقوموا، فصلُّوا على أخيكم أضحمة) (٣).

(١) راجع مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب. تحقيق محمد حامد الفقي، سنة ١٣٧٥ هـ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب التكبير على الجنائز أربعاً (ح/١٣٣٣). ومسلم في كتاب الجنائز باب في التكبير على الجنائز (ح/٢٢٠١) كلاهما عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب موت النجاشي.

الوفود من النصارى:

قال ابن إسحاق (لما فتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت. ضربت إليه وفود العرب من كلِّ وجه^(١))

وتُعرف السَّنة التَّاسعة من البعثة النَّبوية بين كِتَاب السَّير بسنة الوفود؛ لكثرة ما وفد على الرسول ﷺ في المدينة من الوفود فيها. وسأتعرَّض لذكر وفود النصارى دون غيرهم إن شاء الله.

أول تلك الوفود: وفد نصارى نجران، دخلوا عليه ﷺ في مسجده في المدينة بعد العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلُّون فيه، فأراد النَّاس منعهم فقال الرسول ﷺ: (دعوهم). فاستقبلوا المشرق فصلُّوا صلاتهم. وكانوا ستين ركباً، منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرفهم.

من هؤلاء ثلاثة نفرٍ يؤول إليهم أمرهم: (العاقب) أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه: عبدالمسيح.

(١) راجع سيرة ابن هشام ج٤، ص٢٠٥، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص١٣٨) ط٣، ١٣٨٩هـ، دار الإرشاد، بيروت.

والسيد صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه: (الأيهم) و(أبو حارثة بن علقمة) أخو بكر بن وائل، قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه، وكان يعرف أمر النبي ﷺ وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة. فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا، فقال ﷺ: «إن أنكرتم ما أقول فهلّم أباهلكم».

وفي البخاري من حديث حذيفة بن اليمان جاء السيد والعاقب صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه يعني: يياهلاه. فقال أحدهم لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعناه - يعني باهلناه - لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا أبداً. ثم قال: إننا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً. فقال: (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين) فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ. فقال: «قم يا أبا عبيدة ابن الجراح» فلمّا قام قال الرسول: «هذا أمين هذه الأمة»^(١).

وفي رواية البيهقي أنه ﷺ كتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام: «فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب».

(١) انظر صحيح البخاري كتاب المغازي باب قصة أهل نجران.



وفي رواية يونس بن بكير أنه صالحهم على ألفي حُلَّة. ألف حُلَّة في رجب وألف حُلَّة في صفر ومع كل حُلَّة أوقية من الفضة. وذكر ابن سعد أن السَّيد والعاقب رجعا بعد ذلك، وأسلما^(١).

المباهلة^(٢):

قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقِصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٤].

(١) راجع المواهب اللدنية، ط ٢ دار المعرفة، بيروت لبنان ج ٤، ص ٤١، وانظر دلائل النبوة للبيهقي (٣٨٥ / ٥) ط ١٤٠٥، ١ هـ، تحقيق د. عبدالمعطي قلجعي دار الكتب العلمية بيروت. وانظر طبقات ابن سعد (٣٥٧ / ١) وفد نجران.

(٢) قال في اللسان، مادة (بهل) المباهلة: الملاعنة، يقال باهلت فلاناً لاعنته، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منّا.

يخبر الله تعالى في هذه الآيات العظيمة أن شأن المسيح ابن مريم عند خَلْقِهِ كشأن آدم عند خلقه، فكلاهما وُجد وجوداً خارجاً عن العادة المألوفة وهما في ذلك نظيران. ولَمَّا كان خلق آدم أغرب من خلق المسيح الذي كانت عناصره جمادية تحوّلت بعد النَّفْخِ إلى خلايا حيّة، بينما المسيح ولد من كائنٍ حيٍّ إلا أنه دون تلقيح من ذكر كما هو معتاد بين بني البشر، بل بنفخ جبريل في درع مريم.

أقول: ولَمَّا كان خلق الأوّل أغرب من خلق الثاني شبّه الله الغريب بالأغرب؛ لأنّ الأغرب مشتملٌ على الغريب وزيادة. فالغريب في الإمكان أولى.

وهذا هو الحقُّ في شأن حقيقة وجود المسيح ﷺ، فلا تكن يا محمد، من الذين لم يقطعوا قولاً في حقيقته.

والخطاب للرسول ﷺ والمراد به أمّته لطفاً بهم لينزعوا وينزجروا عمّا يورث الامتراء في المسيح ﷺ وغيره.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ [آل عمران: ٥٩] يا محمد أي: جادلِكَ وخاصمك في المسيح: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٥٩] فيه عن الله بأنّه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم

وروح منه ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ [آل عمران: ٥٩] أيها الممتمرون المخاصمون
المجادلون، إلى طريقة نحكم فيها ربَّ العزّة، ربنا جميعاً، بعد
أن يدعو كلُّ منّا أبناءه ونساءه ونفسه، ثم نبتهل: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩] الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ،
وينسبون إليه الولد - زوراً وبهتاناً- والشريك، تعالى الله عما
يقولون علواً كبيراً: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٠] قصص
المسيح ابن مريم وحقيقة خلقه. والحال والشأن أنه ما من إليه
بحقِّ إلا الله الواحد القهار العزيز الحكيم.

فإن تولّوا عنك يا محمد وامتنعوا عن أن يباهلوك ورغبوا
بدينهم عن دينك، ففوض الأمر إلى الله مولى الجميع، فإنه
عليم بالمفسدين في الأرض، وسينال كلُّ جزاءه العادل.

﴿قَدْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ﴾ من يهود ونصارى إذا أردتم أن تسلكوا
سبيل النجاة فـ ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]
أي: إلى كلمة عدل تجمع بيننا على الحقِّ الذي جاء به النبيون
جميعهم، وهي كلمة التوحيد التي مضمونها قصر العبادة على
الله وحده دون سواه من بشرٍ أو وثنٍ: ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾
[آل عمران: ٦٤] من الأنبياء مطلقاً في استحقاق العبادة أو أي جزء

منها: ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤] بأن يشرع بعضنا لبعض غير ما شرع الله من أحكام جاءت على لسان أنبيائه ورسوله، فيخضع بعضنا لبعض دون أن يخضع لشرع الله.

فاليهود عملوا بما شرع لهم حاخاماتهم غير ما في التَّوراة التي جاء بها موسى عليه السلام. والنصارى عملوا بما شرع لهم بطرس وبولس وغيرهما ممَّن حل عليه روح القدس بزعمهم، فأحلَّوا لهم شرب الخمر وأكل الخنزير وفوق كل ذلك أوهموهم بالوهية المسيح عليه السلام، فصرفوا بعض أنواع العبادة إليه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [آل عمران: ٦٤] وأعرضوا عن قبول ذلك: ﴿فَقُولُواْ أَشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] شهادة إنصافٍ واعترافٍ بآنا على الدين الحق، وقد لزمتهم الحجَّة فهم معاندون مكابرون.

إسلام عدي بن حاتم:

روى الإمام أحمد بسنده عن عدي بن حاتم قال: (جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا بعقرب، فأخذوا عمَّتي وناساً، فلما أتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فصنُّوا له. قالت: يا رسول الله، بان الوافد، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمنَّ عليَّ من الله عليك.

فقال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: الذي فرّ من الله ورسوله، قالت: فمنّ عليّ.

قال عدي: فأتتني، فقالت: لقد فعلت فعلةً ما كان أبوك يفعلها. وقالت: إيتيه راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه.

قال: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان، فذكر قريهم منه، فعرفت أنّه ليس مُلكُ كسرى ولا قيصر.

فقال له: يا عدي بن حاتم، ما أفرك؟ أفرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل من إله إلا الله، ما أفرك؟ أفرك أن يقال الله أكبر؟ فهل شيء هو أكبر من الله عزّ وجلّ؟

فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر، وقال: إنّ المغضوب عليهم اليهود وإنّ الضّالين النّصارى^(١)، وفي رواية قال لي رسول الله ﷺ ما معناه: يا عدي بن حاتم، أسلم تسلم، قالها ثلاثاً، فقلت إنّي على دين. قال: أنا أعلم بدينك منك. فقلت:

(١) انظر مسند الإمام أحمد (٤/٣٧٨). راجع كتاب السّيرة النبوية، لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، عام ١٣٩٥ هـ، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الجزء الرابع ص ١٢٧.

أنت أعلم بديني مني؟ قال: نعم. أأست من الرُّكوسية^(١)؟
 أأست من القوم الذين لهم دين؟ فقلت: بلى، فقال: ألم تكن
 تسير في قومك بالمربع^(٢)؟ قلت: بلى. قال: فإنَّ ذلك لم يكن
 يحلُّ في دينك. فقلت: أجل والله، وعرفت أنَّه نبيُّ مرسلٌ يعلم
 ما يُجْهَل^(٣).



(١) الرُّكوسية: دين بين النُّصرانية والصَّابئة.
 (٢) المربع: أخذ ربع الغنيمة كما هو شأن الأشراف في الجاهلية، أبطلها الإسلام.
 (٣) راجع السَّيرة الحلبيَّة، لعلِّي برهان الدين الحلبي، ج ٣، ص ٢٦٦. وأخرجه الإمام أحمد
 في مسنده (٣٧٨/٤) مطولاً مع اختلاف في بعض ألفاظه.

الباب الثالث

موازنة بين ما جاء في القرآن الكريم وبين ما جاء
في الأناجيل الأربعة حول تاريخ حياة المسيح عليه السلام

وفية خمسة مباحث:

- المبحث الأول: ولادة مريم وكفالة زكريا لها.
- المبحث الثاني: مولد المسيح عليه السلام ونشأته.
- المبحث الثالث: موقف اليهود من النصارى اليوم.
- المبحث الرابع: تطور عقيدة النصارى.
- المبحث الخامس: محاولة الاتصال ببعض النصارى
في العالم.





تمهيد

إنَّ القرآنَ وقد ثبت تواتره بجميع آياته وسوره أوحى الله به إلى النبي محمد ﷺ بواسطة حبريل عليه السلام منجمًا تامًا غير منقوص وتعيّنت إضافته ونسبته إلى الله في كلِّ حرفٍ من حروفه، صحّةً لا تقبل أيَّ شكٍّ ولا يتطرّق إليها أيُّ احتمالٍ عند كلِّ عاقلٍ منصفٍ، على أنه المصدر الحقيقي الثابت لجميع الديانات السماوية الصّحيحة.

والأناجيل الرسمية لدى النصارى قد حام حولها وحول كتابها الكثير من الشُّبهات والشُّكوك يكفي منها أنّها اختيرت من بين مجموعةٍ كبيرةٍ من الأناجيل والبشائر من دون إبداء الأسباب المقنعة التي بموجبها أبعدت تلك، واعترف بهذه؟.

ولقد كان لهوى الإمبراطور الروماني (قسطنطين) أبلغ الأثر في التّرجيح والأختيار بعد أن ضلّ عن المسيحية الحقّة وقد كان حديث عهدٍ بالوثنية الغبية، فاستهواه منطق الشُّرك والتّجسيد الذي رآه فيما عرض عليه من نصوص ووثائق مزيفة على أنّها الأصل في الديانة النّصرانية. فمال بثقله نحو الرّأي

القائل بالوهية المسيح، وقال بتعدد الآلهة في صور أقانيم ثلاثة (الأب والابن وروح القدس) وقال بأزلية المسيح.

فالأمر لا يعدو كونه خيانة من القساوسة والرهبان الذين وضعوا تلك القواعد والأسس، وغباءً وشرّاً أريد بقسطنطين.

فالأنجيل الرّسمية وغيرها إذاً لا تقوى على مناظرة القرآن الكريم الذي هو تنزيلٌ من عزيزٍ حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكفّل الله بحفظه...

فمن الإنصاف أن نُحكّم القرآن في غيره من كتب النصارى وغيرها، فنقرُّ ما أقرّه، وننفي ما نفاه، ونتوقّف عمّا سكت عنه.

وقد ثبت أن الأنجيل التي هي مجموعة بشارات كُتب أوّل واحدٍ منها بعد رفع المسيح ﷺ بثماني سنوات في قول بعض النصارى^(١)، وبخمس وثلاثين سنة في قول أكثر المحقّقين، كتبت جميعها عن طريق الذاكرة.



(١) راجع حواشى المجلّد الثالث من الكتاب المقدّس إنجيل متى. المطبعة الكاثوليكية، بيروت، عام ١٩٦٤م.



الْبَحْثُ الْأَوَّلُ

ولادة مريم وكفالة زكريا لها

لم تتطرق الأناجيل الأربعة الرسمية لدى النصارى اليوم إلى أي ذكرٍ عن ولادة مريم، بل نلاحظ أن الحديث عنها يبدأ عند بشارة الملاك لها بعيسى ابنها. فأماً ولادتها، وما سبق ذلك من دعاء ونذرٍ من أمها على أن توقف مولودها على خدمة البيت المقدس، وما ترتب على ولادتها بعد ذلك بنتاً خلافاً لما كانت تتوقعه امرأة عمران، وما تبع ذلك من توسُّلٍ منها إلى الله أن يقبلها بدل الولد. ثم ما كان من رؤساء بيت المقدس -الهيكل- حيال مريم ومن يكفلها، وكيف اتَّفَقوا فيما بينهم على إجراء القرعة عليها، حتى فاز بها في النهاية زوج خالتها زكريا عليه السلام.

كُلُّ هذه النقاط وغيرها عن مريم وأمها ضربت عنها الأناجيل الرسمية صفحاً، بينما نجد في بعض الأناجيل التي يزعم النصارى أنها منحولة، بعض حديثٍ عن ولادة مريم

ونذر أمها لها، كإنجيل (يعقوب بن زبدي). ما يدلُّ على أنَّ ما ذكر في الأناجيل الرسمية إنما هو منتقى من مصادر شتى قد خضع للمصلحة الشخصية والهوى.

ونجد في القرآن الشُّمول والإحاطة لجميع تلك النقاط وغيرها فيما يتعلَّق بمريم ومولودها. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُرِزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٧].

وعن كفالة زكريا عليه السلام مريم يقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ [آل عمران: ٤٤].

فزكريا عليه السلام تمت له كفالة مريم عن طريق القرعة، فنشأت في كنفه نشأةً سالحةً لم يمسه أحدٌ بسوءٍ، ولم تتصل بأحدٍ سوى زوج خالتها نبي الله زكريا الذي أقامه الله على

كفالتها يرعى مصالحها، ويؤمن عيشتها. وهذه الطريقة في العيش والنشأة تجعل مريم ابنة عمران في منأى عن كل قول جارح أو هووى غاشم في النفوس. وما علاقة يوسف النجار بها - كما يزعم النصارى - إلا دسيسة من دسائس اليهود لتلطخ سمعة مريم أم عيسى عليهما السلام.

وليثبتوا قولهم باستحالة مولد إنسان من أنثى بلا ذكر، وليلبسوا على الناس دينهم: ﴿وَكُفِّرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦] ولعل من أهم الأسباب وأوضحها لإغفال كتب اليهود والنصارى ذكر شيء عن حديث عيسى ابن مريم في مهده بعد ولادته، وهو ما حدث له من معجزة في مهده عندما نطق دفاعاً عن شرف أمه، فكان أول ما قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] فهو اعتراف صحيح من عيسى عليه السلام بعبوديته لله. وهم قد زعموا أنه ابن الله، بل إله.

فلو أثبتو ذلك في كتبهم لكان حجة عليهم، وتكذيباً لما زعموه. ولا يستطيعون تكذيبه أو تحريفه؛ لأن حادثة الكلام في المهد ليست من الأمور المعتادة، فستناقلها الألسن، وتسري بها الركبان.

طلب زكريا الولد ومولد يحيى عليهما السلام:

جاء في إنجيل (لوقا) الفصل الأوّل حديثٌ عن زكريا عليه السلام بأنّه كاهنٌ من كهنة اليهود، عاش في أيام (هيروودس) ملك اليهود. وزوجته من بنات هارون، اسمها (اليصابات) بارّين مُنفَّذين لوصايا الرّبِّ، لم يرزقه ذريّة؛ لأنّ اليصابات عقيم لا تلد وزكريا شيخٌ تقدّمت به السنُّ. وقد اعتاد الكهنة على أن يقترعوا بينهم ليقوم من تصيبه القرعة بتبخير هيكل الرّبِّ.

فوقعت القرعة على زكريا ذات مرّة، فدخل الهيكل فترأى له ملاك الرّبِّ هناك فخاف واضطرب فهدأ الملاك من روعه، وبشّره بأنّ طلبه قد استجيب، وأنّ امرأته ستلد له ابناً يسمّيه (يوحنا) يفرح به كثيراً، وستكون له منزلةٌ عاليةٌ عند الله، لا يشرب الخمر ولا مسكراً، ويهدي الله به كثيراً من بني إسرائيل.

فطلب زكريا من الملاك آيةً لوقوع ذلك. فأكد له الملاك بأنّه جبرائيل مرسلٌ من الله، وأنّه جاءه من الله مبشّراً بذلك؛ وأن زكريا سيظلُّ صامتاً لا يقوى على الكلام إلى يوم مولد يوحنا، عقوبة له على شكّه في كلام الملاك وطلبه آيةً لذلك. وقد تعجّب الشعب من إبطائه في الهيكل، ولمّا خرج إليهم

كان يشير إليهم بالإشارة، فعلموا أنه رأى في الهيكل رؤيا. وبعد انتهاء مدة خدمته في الهيكل عاد إلى بيته والتقى زوجته اليصابات التي حبلت بعد تلك الأيام منه.

وأضت بعد ذلك خمسة أشهرٍ مختبئة في بيتها، وفي شهرها السادس جاءت إليها مريم ابنة عمران التي ما أن سلمت عليها حتى ارتكض الجنين في بطن اليصابات. وبعد ثلاثة أشهر تم زمان حمل اليصابات فولدت ابناً. اختتن في اليوم الثامن من عمره، وأسماه أبوه يوحنا عن طريق لوح كتب فيه ذلك. وعندها انطلق لسان زكريا عليه السلام، وأصبح يتكلم.

هذا فحوى ما جاء في الإنجيل (لوقا) عن زكريا ومولد يحيى عليهما السلام.

وأما ما جاء في القرآن الكريم في هذا الصدد فهو على النحو الآتي:

بعد أن رأى زكريا عليه السلام ما منَّ الله به على مريم ابنة عمران التي هو كافلها من كراماتٍ، وما أحاطها به من كريم عنايته ﴿كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْعَرْبَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، توجه إلى ربه يسأله

الولد بعد أن يئس منه وفق حقائق البشر وقوانينه. قال تعالى:

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ. قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنادته الْمَلَأَيْكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءآيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ [آل عمران: ٣٨-٤١].

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءآيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴾ [آل عمران: ٤١] وفي سورة مريم جاء ذكر زكريا عليه السلام وبشارته بصورة أخرى قال تعالى:

﴿ كَهَيْعَتِ ﴿١﴾ ذَكَرْ حَمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءآيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ١-١١].

ففي آيات سورة مريم وصفٌ معبرٌ عن الحالة التي بلغها
 زكريا عليه السلام من تقدُّم في السنّ ظهر واضحاً في خفوت صوته عند
 دعائه ربّه، وفيما أصاب عظمه من وهنٍ، وفي لون شعر رأسه
 الذي تحوّل إلى اللون الأبيض علامة الكبر.

وعند الموازنة بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في القرآن
 العظيم عن زكريا عليه السلام نلاحظ ما يأتي:

وصف الإنجيل زكريا عليه السلام بأنه كاهنٌ من كهنة اليهود يبخر في
 الهيكل. والكاهن: الذي يدعى علم الغيب، ويتولّى -عند اليهود-
 الإشراف على القرايين التي تُقدّم للهيكل. بينما زكريا عليه السلام في
 القرآن نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده،
 وينهاهم عن الشُّرك، ذكره الله في زمرة الأنبياء عند قوله تعالى:
 ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

والإنجيل لم يذكر سبب طلب زكريا عليه السلام للولد، بل اكتفى
 بالقول: إن طلبه قد أُجيب، وبشّره الملاك بأنّ امرأته ستلد له ابناً.
 ونجد في القرآن أن زكريا عليه السلام عندما طلب من ربّه الولد
 ذكر لذلك أسباباً منها: تقدُّمه في السنّ ورغبته في أن يكون له

وريتُّ من أهله يرث الدَّعوة إلى الله من بعده؛ ليضمن بذلك استمرارية الدَّعوة إلى الله في قومه.

فهذه غايةٌ نبيلةٌ تليقُ بنبيٍّ من أنبياء الله، وليست مجرد تحقيق شهوة البنوة.

ويبدو في الإنجيل أنَّ شخصية يحيى عليه السلام قد طغت على شخصية زكريا والده، فقد نصَّ على أنَّ يحيى مترلته عالية عند الله، وأنَّ الله يهدي به كثيراً من بني إسرائيل. وفي ذلك إنكارٌ مغلَّفٌ لنبوة زكريا عليه السلام، ومحاولة ربط حياة يحيى بحياة المسيح عليهما السَّلام ربطاً يظهر معه التَّمازج المطلق بينهما، فتطغى شخصية المسيح. وليس هذا شأن القرآن، فقد أفرد لكلٍّ من زكريا ويحيى عليهما السَّلام حديثاً صادقاً يليق بهما، نبين كريمين ومدحهما بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وورد في الإنجيل أن الخرس الذي أصاب زكريا عليه السلام إنما هو عقوبة له؛ لأنَّه شكَّ في كلام الملاك، وطلب إثباتاً على صحَّة ما بشره به.

ونصّ الإنجيل أيضاً على أنّ زكريا عليه السلام بقي أخرس لا يقوى على الكلام إلى أن ولد له يحيى عليه السلام، وجاءوا به إليه ليسمّيه، فكتب في لوحٍ رغبته في أن يسمّى يوحنا، بعد ذلك عادت إليه قدرته الأولى على الكلام.

وليس الأمر كذلك في القرآن، بل هو يختلف تماماً. فلم يكن زكريا عليه السلام أخطأ في حقِّ أحدٍ حتى يستحقَّ عقوبة الخرس، ولم يكن زكريا النبيّ ذا إيمان مهزوز بقدرة الله المطلقة في أن يرزقه ابناً، وهو في مثل سنّه تلك، وفي مثل ظروف زوجه، بل أراد من سؤال آيةٍ على ذلك أن يحدّد على وجه الدقة وقت حدوث ذلك الحبل من زوجه؛ ليستريح من عناء الانتظار. فجعل الله آية حدوث ذلك من زوجه هو أن يُصاب بعدم القدرة على الكلام مع السّلامة التّامة لمراكز الكلام لديه، وذلك مدّة ثلاثة أيام بلياليها، وليس كما جاء في الإنجيل أنّ مدّة الخرس امتدّت إلى أكثر من تسعة أشهر؛ لأنّه بدأ في عدم القدرة على الكلام منذ أن بُشّر باستجابة طلبه، إلى أن طُلب منه أن يُسمّي ابنه. وهي مدّة طويلة عطلت زكريا عليه السلام عن الدّعوة والإفتاء والإرشاد إلى الله باعتبار أنه نبي من أنبياء الله، ولكن الذي

جاء في الإنجيل عنه يشير إلى أنّهم لم يعتبروه نبياً بل كاهناً من كهنة اليهود يعمل على تبخير الهيكل، ليس له احتكاكٌ مباشرٌ ولا متواصل مع النَّاس، بل يقوم على خدمة الهيكل والإشراف على القرايين التي تقدّم إليه. وفي ذلك مساسٌ، كما لا يخفى بشخصية النبي زكريا عليه السلام.

وورد في الإنجيل أنّ لقاء تمّ بين زوج زكريا عليه السلام اليصابات وبين مريم ابنة عمران قبل أن تلد الأولى يحيى بثلاثة أشهر، وبعد أن بُشّرت مريم بالمسيح عليه السلام، وعندما التقت المرأتان وسمعت اليصابات سلام مريم عليها شعرت بجنينها يرتكض في بطنها، وفسّرت ذلك - بزعمهم - أنّه من الابتهاج، وعبرت عن فرحتها بذلك قائلةً: (من أين لي هذا أن تأتي أمُّ ربي إلي) ^(١).

وواضح من النصّ أنّ مريم عندما أرادت القيام بالزيارة انتقلت من الناصرة في الجليل، حيث تسكن، وحيث تلقت بشارة الملاك، إلى مدينة يهوذا في الجليل، حيث تسكن اليصابات مع زوجها زكريا.

(١) إنجيل لوقا: ٤٣/١.

بينما نجد أن القرآن الكريم لم يذكر قصّة اللّقاء هذه ولا قصّة ارتكاض الجنين في بطن أمّه من الابتهاج أو غيره.

بل الذي أكّده القرآن الكريم هو أن مريم عليها السّلام قد نشأت تحت كفالة زكريا منذ أن جاءت بها أمّها إلى الهيكل، وفاز بها عن طريق قرعة. فهي لم تغادر المحراب الذي أقامه لها في الهيكل إلا في فترة حيضها والاختسال منه، وذلك بعد أن بلغت مبلغ النساء. وعند قضاء حاجتها. وكانت لا تلتقي مدّة إقامتها بالهيكل إلا زكريا عليه السلام بدليل أنّه قد تعجّب من أمرها عندما رأى عندها رزقا لم يأت به، وسألها عن مصدره قائلاً:

﴿يَمْرِمُ أَنْ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[آل عمران: ٣٧] فزكريا عليه السّلم ومريم لم يفترقا إلى أن بُشرت مريم بابنها عيسى عليه السلام. وما زوج زكريا إلا خالتها، تلتقي بها كلّما زارت زكريا قادمةً من الهيكل، ولا يعدو كون المطرّحين في منطقةٍ من حيٍّ واحدٍ.

وأما قول الیصابات (من أين لي هذا أن تأتي أمّ ربّي إلي) فهو قولٌ أقل ما يقال عنه: إنّهُ تكلّفٌ في القول والاعتقاد. ثمّ كيف علمت بوجود ربها في بطن أمّه؟ وكيف فسّرت ارتكاض

جنينها في بطنها أنه من الابتهاج بقاء مريم؟ أمن الجنين الذي في بطنها؟ أم أخبرها زكريا بذلك؟ ولماذا لم يحضر زكريا عليه السلام بنفسه ليلتقي الرب الجنين؟!.

ونجد في القرآن الكريم وصفاً ليحيى عليه السلام بأنه: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾ [آل عمران: ٣٩] وكلمة الله هو عيسى ابن مريم، وتصديق يحيى على اعتبار ما سيكون من شأنه وشأن عيسى عليه السلام مستقبلاً. فكما هو معروف، فإنَّ عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام كانا متعاصرين.

ونحن نقول: إنَّ بين كلمة (أن تأتي أمُّ ربِّي إلي) وبين كلمة (مصدقاً بكلمة من الله) بوناً شاسعاً في المعنى العام الذي يشير إليه اختلاف خلق المسيح ابن مريم في البدء عن كل البشر، إلا أنَّ كلمة اليصابات - كما يزعمون - سابقة لأوانها، إذ لم يولد عيسى بعد ولا أخبر بأنَّه ابن الله أو أنَّه إله من إله - كما يعتقد بعض النصارى - ويحيى لم يولد بعد، فكيف جاءت اليصابات بهذه الكلمة؟ أليست هذه كلمة أشبه ما تكون بالوضع عليها في ذلك الوقت واستمرَّت إلى يومنا هذا؟.

أما قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩] فالتصديق لا يكون إلا بعد الولادة وبعد النمو إلى بلوغ الرشد، حيث يكون تكامل العقل ومعرفة البرهان، فيؤمن يحيى عليه السلام - كما وقع منه - أن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأنه لم يأت عن طريق الأسباب والمسببات بتزوج أمه من رجل، بل جاء بكلمة من الله: ﴿كُنْ﴾ [آل عمران: ٤٧] جنيناً في رحم أمه مريم حين نفخ ملك الوحي جبريل فيها، فكان.

وقد يكون من المعقول جداً أن مجيء يحيى كان توطئةً لمجيء عيسى ابن مريم عليه السلام؛ لما بينهما من تقاربٍ وشبه في ظروف حياتهما من قبل ومن بعد.

فيحيى من عقيم لا تلد ومُسِنَّين، وعيسى ابن مريم من أنثى بلا ذكر، وكان مجيء يحيى من عقيم أقل غرابة من مجيء عيسى من عذراء لم يمسسها بشر.

ولما كان مجيء يحيى قريباً إلى تصديق العقول مع ما يصاحب ذلك من غرابة، كان سابقاً لمجيء ابن مريم عليهما السلام وتوطئة له.

بشارة مريم:

يقول (لوقا) في إنجيله الأوّل ما معناه:

في الشّهر السّادس - من حمل اليصابات ليوحنا- أرسل الله جبرائيل إلى مدينة النّاصرة في الجليل إلى مريم العذراء الّتي كانت مخطوبةً في ذلك الوقت إلى يوسف من بيت داود. ولما سلّم عليها الملاك اضطربت، وأوجست منه خيفةً، فهدأ من روعها، وبشّرها بأنّها ستحبل، وستلد ابناً تسميه يسوع، وأنّه سيكون عظيماً وابن العليّ يدعى.

وسمّاه يوحنا في إنجيله (حمل الله الّذي يرفع خطيئة العالم)^(١). وسيورثه الإله عرش أبيه داود، ويكون ملكاً على آل يعقوب إلى الأبد. ولمّا تساءلت مريم عن كيفية إتمام ذلك، وهي لا تعرف رجلاً، أجابها الملاك بأن روح القدس يحلُّ عليها، وقوّة العليّ تظللّها، وأن القدوس المولود منها يدعى ابن الله.

و ضرب لها مثلاً على عدم استحالة ذلك على الله، حبل اليصابات العاقر في شيخوختها^(٢).

(١) إنجيل يوحنا: ٢٩/١.

(٢) إنجيل لوقا: ١/٢٦-٥٦.

وعن الموضوع نفسه تحدث القرآن الكريم حديثاً شاملاً
كاملاً، قال تعالى:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِلٍ مُّنتَهَىٰ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ١٦-٢١].

وفي موضع آخر من القرآن قال الله تعالى:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٧].

هذا ما جاء عن بشارة مريم ابنة عمران في الإنجيل والقرآن،
وعند الموازنة بينهما نلاحظ ما يأتي:

ذكر الإنجيل أن مريم كانت مخطوبة قبل ان تحبل بعيسى عليه السلام
إلى يوسف من آل داود ولقبه النَّجَّار؛ لأنه كان يمتهن حرفة
النَّجَّارَة، وأن مريم تابعة ليوسف في كل أمورها أتباع الزوجة
لزوجها، إلا أنه - كما قال (متى) في إنجيله - (لم يمسه حتى

ولدت ابنها البكر وسمّاه يسوع^(١). وإلا فهي تتبعه، حيث ذهب وتقيم معه حيث أقام.

وكان قد وجدها حُبلى عندما تَمَّت خطبته عليها، وهمّ بتركها سرّاً؛ لئلا يفتضح أمرها، لولا أنّه رأى في الحلم ملاك الربّ يخبره بأنّ حملها الذي في بطنها هو من الرُّوح القدس.

ولم يتطرّق الإنجيل إلى ذكر أهل مريم، وكيف كان موقفهم حيال ظروف حملها الغامض؟ وكيف كان موقفها هي أمام هذا الظّرف العصيب مع قومها؟ بل يبدو من حديث الإنجيل أنّ مسألة حمل مريم وولادتها مرتا مروراً عابراً لم يستنكرهما أحدٌ من القوم، ربما كان ذلك لما توهموه من وجود علاقة شبه شرعية بين مريم ويوسف النّجار جعلت للموقف تبريراً عند القوم، على الرغم من أنّها لم تكن مبنية على عقد زواجٍ صحيح، وإنّما كانت خطبةً. وفي ذلك كما لا يخفى ما يُشين سمعة مريم، ويجعلها موضع شكٍّ للجميع، ويلبسها العار، ويحطُّ من مكانتها بوصفها أمّاً لنبي من أنبياء الله، وهي التي امتدحها الله في كتابه العزيز القرآن، وامتدح عفتها بقوله تعالى:

(١) إنجيل متى: ١.

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ ﴾ [التحریم: ۱۲].

ومريم في القرآن العظيم بعيدة عن كل شبهة أو ريبة، فالله قد كفلها زكريا عليه السلام نبياً من أنبيائه عليهم السلام، مثل أعلى في قومه للتقوى والصلاح منذ طفولتها، وقد كانت هي مثال المرأة الصالحة، وكما أمرها ربها قائتة له وساجدة وراكعة، قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ۴۲-۴۳].

هذه مريم في الإطار القرآني مصونة عن عبث العابثين وبعيدة عن كل مظنة، وهذا هو الحق الذي لا ريب فيه من رب العالمين. وجاء في الإنجيل أن عيسى ابن مريم يدعى ابن الله العلي. بينما القرآن الكريم وصفه بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

يقول صاحب كتاب (المسيحية نشأتها وتطورها) ما نصه:

(...والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي: أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه: إنه



ابن الله... كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى. فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنَّها اللُّغة التي استخدمها القديس (بولس) كما استخدمها مؤلَّف الإنجيل (يوحنا) وقد وجدنا فيها معاني عميقة، وعلى قدر كافٍ من الوضوح بالنسبة إليهما^(١).

ويقول مُعرَّب الكتاب تعليقاً على ذلك في الحاشية ما يأتي:
والكلمة العبرية (عبد) كثيراً ما تُترجم إلى اليونانية بكلمة تعني (خادماً) و(طفلاً) على حدِّ سواء. وتطوَّر كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم لفكري اليوناني^(٢).

وجاء في الإنجيل عن عيسى ابن مريم أَنَّهُ مَلِكٌ على آل يعقوب، ورَّثه الله على عرش أبيه داود.

(١) راجع كتاب المسيحية نشأتها وتطوُّرها تأليف شارل جنيبير (رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس) تعريب الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر. منشورات المكتبة العصرية صيدا - بيروت - ص ٣٩.

(٢) المرجع نفسه.



وجاء في إنجيل (متى) (وفيما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح، ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. فقال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربّه، حيث يقول: قال الربُّ لربِّي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدمك؟. فإن كان داود يدعوه ربّاً فكيف يكون هو ابنه^(١)؟.

واضح من نصّ (متى) أنّ المسيح ﷺ ينفي القول: إنّ ابن داود، وكما أراد كاتب الإنجيل فهو يدّعي أنّه ربُّ لداود.

وفي الحوار الذي جرى بين (بيلاطس) وبين المسيح ﷺ عندما سأله إن كان هو ملك اليهود؟ أجاب قائلاً: (أنت قلت)^(٢). يظهر منه أنّ المسيح لم يعترف بكونه ملكاً ذا سلطة زمنية على اليهود.

قال صاحب كتاب (حياة يسوع) ما نصّه:

سأل (بيلاطس) يسوع: أمذنب أنت، أم غير مذنب، أنت ملك اليهود؟

(١) إنجيل متى: ٢٢/٤٢-٤٥.

(٢) إنجيل لوقا: ٢٣.

أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ هل تسأل عن دعواي المَلَكِيَّةِ في عرفك أنت أم تشير إلى تقارير اليهود عن ادّعائي بأنّي المسيا؟

فيجيب (بيلاطس) ألعليّ أنا يهودي أمتك ورؤساء الكهنة أسلمك إلي، ماذا فعلت أنت ملك؟.

أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا.

ولكن (بيلاطس) يطلب جواباً صريحاً، فيقول: مملكتي، أفأنت إذاً ملك؟

أجاب يسوع: نعم، أنا ملك، ملك المجاهدين السّاعين وراء الحقّ، وكل من هو من الحقّ يسمع صوتي^(١).

من هذه المحاوراة التي نسبها صاحب كتاب (حياة يسوع) إلى المسيح ﷺ، يظهر لنا أنّ النّصارى يؤوّلون مُلك المسيح على أنّه مُلكٌ روحي ذو سلطّةٍ دينية، فمن المستبعد أن يكون

(١) راجع كتاب حياة يسوع لبترسون سميث تعريب حبيب سعيد، ص ٣١٥.

العرش الذي سيورثه الإله - بزعمهم - للمسيح هو عرش داود الملك والنبي ﷺ؛ لأنَّ داود وسليمان قد مارسا الملك ممارسةً فعلية وقد تمتَّعا بجانب كونهما نبيَّين رسولين بالسلطة الزمنية.

وإنَّما أراد اليهود من القول: إنَّ المسيح ﷺ ملك ذو سلطة زمنية، أن يوقعوا بينه وبين (هيرودس) الملك، ويوغروا صدره، ليقضي عليه وعلى دعوته التي أقلقَت اليهود كثيراً، وجعلتهم من بزوغ فجرها لا يفتؤون يكيدون له ولدعوته، وهم يعلمون أنَّ (هيرودس) يكره المسيح منذ اللَّحظة التي سمع بمولده إذ إنَّ الكهنة قد أخبروه قبل مولد المسيح بأنَّ نبياً من بني إسرائيل سيقضي على ملكك، فعندما أخبره المجوس بعد ذلك بأنَّ نجم يسوع ظهر في المشرق، ممَّا يدلُّ على مولده فعلاً، اضطرب؛ لأنَّه كان يخشى على نفسه وعلى ملكه منه.

فما كان منه إلا أن تحقَّق من المجوس صحَّة مقالتهم، وطلب منهم الذهاب إلى بيت لحم؛ ليتحقَّقوا من وجود الصَّبي فيخبروه، ولكنَّهم بعد أن تحقَّقوا من ذلك خذلوه؛ لأنَّه أوحى إليهم في المنام أن (هيرودس) ينوي قتل الصَّبي، فلم يعودوا إليه كما وعدوا.

وعندما علم (هيرودس) بذلك وتحقق من مولد المسيح أمر بقتل كل صبي في بيت لحم لم يتجاوز سنتين من عمره؛ لأنَّ هذه الفترة هي التي مرَّت بين لقائه بالمجوس وبين علمه بخذلانهم له^(١).

(وهيرودس) أيضاً هو الذي قتل يحيى بن زكريا عليهما السَّلام، فعندما سمع بعيسى ودعوته ظنَّ أنَّ يحيى قد قام من الأموات^(٢).

(فهيرودس) إذاً يتمنى هلاك المسيح الْمَسِيحُ النَّبِيُّ، فاستغلَّ اليهود هذا الجانب في مَلِكِهِمْ عندما أرادوا أن يتخلصوا من المسيح وعودته.

وفي محاولة من محاولاتهم الإيقاع به عند قيصر الإمبراطور الروماني، الذي يُعدُّ (هيرودس) الملك تحت سلطته، سأله ذات مرَّة عن جواز إعطاء الجزية لقيصر؟. فأجابهم بقوله: (أوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله)^(٣).

فأشار بذلك إلى أنَّ قيصر يمثل السُّلطة الزَّمنية في نطاق سلطانه، وما يُشرِّع من قوانين وأنظمة. وأمَّا الجوانب الروحية

(١) إنجيل متى: ٢.

(٢) إنجيل متى: ١٤.

(٣) إنجيل متى: ١٦/٢٢.

وما يتعلّق بها من أمور الدّين فإنّ المحافظة عليها والقيام بأدائها كما يجب إنّما يكون ابتغاء مرضاة الله، ووفق ما جاء عنه. وفي قول المسيح هذا دليل على أنّه كان يتجنّب ما استطاع الخوض في أمور السُّلطة الزّمنية؛ ليحمي نفسه من كيد أعدائه.

يحيى العليّة:

تسمّيه الأناجيل (يوحنا المعمدان) أي: الذي يقوم بمهمّة التّعميد، وهي الغسل بماء نهر الأردن لكلّ مولود في اليهودية، للتّوبة من الخطايا، والتّطهير من الذُّنوب على ما سيكون منه، وللرّاشدين على ما كان منهم. حتّى إنّ عيسى ابن مريم نفسه جاء إليه من الجليل إلى الاردن؛ ليتعمد منه^(١).

وكان (يوحنا) - كما جاء في الإنجيل - يسكن البرية، ويأكل الجراد، ويلبس وبر الإبل، ويتمنطق بالجلود، اتّخذ له بالقرب من نهر الأردن مكاناً يأتيه اليهود فيه؛ ليتعمدوا منه معترفين بخطاياهم^(٢).

(١) إنجيل متى: ٣/١٣.

(٢) إنجيل متى: ٣/٦.

وفي معرض تبشيره بالمسيح يقرّر أنّ المسيح عليه السلام أقوى منه وأنه - أي يحيى - عليه السلام لا يستحقُّ أن يحمل حذاءه^(١). وفي موضعٍ آخر أنه لا يستحقُّ أن يحلَّ سير حذائه^(٢).

ويقول صاحب الإنجيل الرَّابِع عن يوحنا المعمدان: إنَّه لم يكن هو النُّور بل كان ليشهد للنُّور^(٣). وجاء في إنجيل (متى) عن المسيح قوله عن يحيى عليهما السَّلام:

إنَّه نبيٌّ، بل أفضل من نبيٍّ، وإنَّه ملاك أرسله الله أمام المسيح يهيمُ طريقه وسيسبِّقه في مجيئه الثَّاني عند انقضاء العالم، كما سبقه في المجيء الأوَّل^(٤).

وأما القرآن الكريم فقد وضع يحيى عليه السلام في موضعه الملائم بين الأنبياء والرُّسل عليهم السَّلام، وامتدحه في طباعه وصفاته. قال تعالى: ﴿يَبْحِثُ خُدَّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَيِّنُّهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۝١٣ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤﴾ [مريم: ١٢-١٥].

(١) إنجيل متى: ١١/٣.

(٢) إنجيل يوحنا: ٢٧/١.

(٣) إنجيل يوحنا: ٨/١.

(٤) إنجيل متى: ٩/١١.

وقال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩].

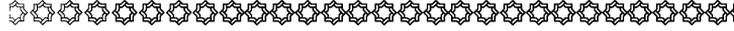
وقال تعالى: ﴿وَرَكْرَكِيَّ وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

وعند الموازنة بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في القرآن الكريم نلاحظ ما يأتي:

لقد ركزت الأناجيل على يحيى عليه السلام بصفة أنه بشيرٌ قد سبق المسيح مجيئه، يبشّر به اليهود. ثم هو بعد ذلك يقوم بمهمة التعميد بماء نهر الأردن بوصفه عملاً أساسياً له، إنهم يدعونه في أناجيلهم (يوحنا المعمدان) ولا يكاد يعرف بينهم إلا بهذا الاسم.

والتعميد موجودٌ عند اليهود قبل المسيحية، ويُعدُّ شعيرةً من شعائر النصارى الدّينية اليوم، ولكل معتنقٍ للدّين المسيحي.

(ويعتقدون أنّها تمحو الخطيئة الأصلية في الإنسان وتمنحه ولادةً روحيةً جديدةً. وإن كان راشداً، فإنّ التعميد يحوله جميع الخطايا التي اقترفها مدّة حياته قبل اعتماده، وتُدخِله في



حظيرة الكنيسة، فيصبح ابناً لله بالتبني، وأخاً للمسيح، وعضواً
عاملاً في جسده السري...^(١).

بينما نجد في القرآن الكريم أن يحيى عليه السلام نبيٌّ من الأنبياء
ورسولٌ إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك
ماسواه، وتطبيق ما جاء في توراة موسى عليه السلام من شرائع وأحكام.
وقد صدق بعيسى كلمة الله وأتبعه، ولم يشرع المسيح - كما
جاء في كتب النصارى - في دعوته إلا بعد أن أودع يحيى عليه السلام
سجن (هيرودس) ملك اليهود الذي قتله بعد ذلك^(٢).

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن القرآن الكريم قد أشار إلى
عدم مشروعية التعميد، كما ذهب إليه غير واحد من العلماء
في تأويل قوله تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

قال الطبري: يعني تعالى ذكره بالصَّبْغَةِ صبْغَةُ الإسلام؛
وذلك إنَّ النصارى إذا أرادت أن تُنصِّرَ أطفالها جعلتهم في

(١) راجع كتاب يسوع المسيح، للأب بولس إلياس اليسوعي، ط ٢، منشورات المطبعة
الكاثوليكية - بيروت، ص ٣٠٤.

(٢) إنجيل متى: ٤.



ماء لها تزعم أنَّ ذلك لهم تقديسٌ بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام وإنَّه صبغة لهم في النصرانية^(١)، ويقولون: هذا طهور مكان الختان، وسَمِّي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان كظهور الصَّبغ على الثوب^(٢).



(١) انظر: تفسير الطبري، (ج ٣، ص ١١٧). تحقيق محمود محمد شاكر.
(٢) تفسير القرطبي. الطبعة الثانية (ج ٢، ص ١١٤).

المبحث الثاني

مولد المسيح عليه السلام ونشأته:

يقول لوقا في إنجيله، الفصل الأوّل والثاني ما معناه:

بعد أن تلقت مريم البشارة من الملاك جبرائيل، وقامت بزيارة نسيبتها اليصابات زوج زكريا، عادت بعد ثلاثة أشهر من الزيارة إلى بيتها في الجليل. ثمّ بعد تلك الأيام صدر أمر (أغسطس قيصر) بإجراء إحصاء عام للسكان في الإمبراطورية، وترتّب على ذلك وجوب التحاق كلّ مواطنٍ بموطنه الأصلي.

وحيث إنّ مريم في عرف المجتمع اليهودي امرأة ليوسف النّجار، ويوسف من بيت لحم اليهودية، فإنّهما ذهبا إلى هناك ليكتتبا. وكانت مريم حُبلى. وفي بيت لحم ولدت ابنها يسوع. واختتن في اليوم الثامن من ميلاده.

وبحسب ناموس موسى، ذهبا به بعد التّطهير إلى أورشليم ليقدماه للرّب، بوصفه المولود البكر. وقرّبا باسمه قربانا للهيكل بهذه المناسبة. عادا بعده بالصّبي إلى النّاصرة في الجليل.



وعندما بلغ الثانية عشرة من عمره حضر عيد الفصح اليهودي مع أمّه وزوجها في أورشليم (لأنّه في هذه السنّ كيهودي يُعتبر ابن الناموس ويتحمّل تكاليف الدين، وله حضور الأعياد والمحافل)^(١).

وفي العودة من أورشليم إلى الناصرة في الجليل تخلف عنهما في الهيكل، فيوسف يظنّه مع أمه ومريم تظنه مع يوسف. ومن الطريق بعد أن اكتشفا أمر تغيبه، عادا ثانية إلى أورشليم يبحثان عنه، ولم يجداه إلا بعد ثلاثة أيام كان خلالها في الهيكل يسمع ويسأل المعلمين. ثمّ بعد ذلك بزمنٍ يصل إلى بضع عشرة سنةً قضاها المسيح نجّاراً بعد موت زوج أمّه، ذهب إلى يوحنا المعمدان في الأردن؛ ليعتمد منه.

ثمّ بعد المعمودية تعرّض لتجربةٍ مع إبليس اللّعين، استغرقت أربعين يوماً، كان المسيح فيها صائماً. انتهت برفضه الباتّ لكلّ اقتراحٍ قدّمه إبليس (فسلم من تلك القوات الشّيطانية الهائلة التي حاولت تجربته، وتضليله، والحيدة به عن خطّ

(١) راجع كتاب مع المسيح في الأناجيل الأربعة، لفتحي عثمان، ط ٢، الدّار القومية للطباعة والنشر، ص ٢٨.



سيره. وتلك التجربة كانت أزمة خطيرة شديدة في حياة يسوع،
أزمة روحية هائلة^(١).

ثم بعد أن بلغ الثلاثين من عمره علم أن يحيى قد أودعه
(هيرودس) الملك اليهودي السجن، بسبب اعتراضه عليه
بعد صحة زواجه من امرأة أخيه، وهي لم تزل في عصمة
الأول. عندها بدأ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام دعوته مستقلاً.

هذا ما جاء في الإنجيل عن ميلاد المسيح ونشأته، فماذا
نجد في القرآن الكريم؟.

قال تعالى بعد أن قصّ علينا بشارة الملائكة لمريم من
ربّها، وما تبع ذلك من محاوراة بين مريم والملك ﴿فَحَمَلَتْهُ
فَأَنْبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ
قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَدِيًّا ﴿٢٣﴾ فَوَدَّعَهَا مِنْ مَحْنَبِهَا إِلَّا نَحْنُ بِكَ نَحْنُكَ
سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ الْجِذْعَ النَّخْلَةَ فَنَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي
عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا
﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذُ هَرُونَ
مَكَانَ أَبِيكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ لَكِ بَعِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ

(١) راجع كتاب حياة يسوع تأليف بترسون سميث ص ٥٥.

في الْمَهْدِ صَبِيئًا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيئًا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿مريم: ٢٢-٣٣﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

هذا ما جاء عن مولد المسيح ﷺ ونشأته في كل من الإنجيل والقرآن الكريم، وعند الإمعان في النصين نلاحظ الفوارق الآتية:

لقد تطرَّق الإنجيل إلى بعض التفاصيل عن مولد ونشأة المسيح ﷺ بشيء من السلبية، فقد اهتم بالحديث عن الزمان والمكان الذي نشأ فيه، وذكر بعض مراحل حياته كأبي طفلٍ يهوديٍّ آخر يقوم ذووه بتنشئته نشأة دينية يهودية. فذكر ذهابه مع أهله إلى أورشليم، حيث الهيكل ليقدماه للرب، ويقدمًا باسمه قربانًا. ثم هو يذهب بعد أن بلغ الثانية عشرة من عمره إلى أورشليم مرّة أخرى؛ لحضور عيد الفصح اليهودي. واعتبر الإنجيل تخلُّفه في الهيكل بعد ذلك يسمع ويسأل المعلمين

معجزةً له تدلُّ على نبوغه المبكّر. وهو بذلك يشير إلى تأثر المسيح في صغره بكهنة اليهود، وأنهم كانوا يُسمعونَه من التعاليم ما كان له الأثر في مستقبل حياته.

ذكر الإنجيل ذلك كله، وأغفل الحديث عن معجزة حمله، ومعجزة حديثه وهو في المهد صبيّاً، وقوله: إنّه عبدالله، آتاه الإنجيل كتاباً سماوياً فيه هدى ونور لبني إسرائيل، وأوصاه بالصلاة والزكاة مدّة حياته على الأرض، ومبشراً بنبيّ يأتي من بعده اسمه أحمد.

ومن الغريب أنّ بعض الأناجيل التي يعتبرها النصارى بعد مؤتمر (نيقية) أناجيل منحوّلة، نجدها تحدّثت عن مولد المسيح ونشأته عليه السلام بما يوافق في الجملة ما جاء في القرآن الكريم، كإنجيل (برنابا). ما يُشعر بأنّ الأساس الذي اعتمد لاختيار الأناجيل الأربعة من بين ما يقرب من تسعة عشر إنجيلاً كان يرتكز على الهوى، وممزوجاً بكيد اليهود، وما يضمرونه من عدااء سافرٍ ضدّ كلّ شريعةٍ لا توافق هواهم وطباعهم الشّريرة.

وجاء في الإنجيل العبارة الآتية: (وأنت سيجوز سيفٌ في نفسك...) (١).

هذه العبارة قالها سمعون اليهودي لمريم ابنة عمران عندما ذهبت بالمسيح إلى الهيكل في أورشليم لتقدمه للرب. وقد علّق عليها صاحب الحواشي بقوله:

(سيجوز سيف في نفسك، من شدة ما يُصيّبك من الحزن والألم، حين يُصلب ابنك وإلهك بين يديك) (٢).

في القول دليلٌ على المدى البعيد الذي ذهب إليه كثيرٌ من الشراح النصارى الذين تأثروا بالقول بألوهية المسيح الذي قال به بعض من اعتنق النصرانية من اليهود ليفسدها، ويلبس على الناس دينهم، إنه مدى اتّسم بالخبث وسوء الطّوية، ودليلٌ على ما أصاب كتب النصارى بما فيها الأناجيل من تحريفٍ.

فالقول: إن المسيح ﷺ إلهٌ لوالدته مريم أو غيرها قولٌ فاسدٌ وادّعاءٌ باطلٌ، وعاملٌ قويٌّ أفقد الدعوة إلى النصرانية كثيراً من معتنقيها أو المعجبين بها.

(١) إنجيل لوقا: ٢٥/٢.

(٢) راجع حواشي على المجلّد الثالث من الكتاب المقدّس من إنجيل القديس لوقا: ٢٥/٢.

فالإله هو المتأله على قلوب عباده، قال أبو الهيثم: (ولا يكون إلهاً حتى يكون معبوداً، وحتى يكون لعباده خالقاً ورازقاً ومدبراً، وعليه مقتدرأ، فمن لم يكن كذلك فليس بإله، وإن عبد ظلماً بل هو مخلوق ومتعبد^(١)). والمسيح عليه السلام ليس خالقاً ولا رازقاً ولا مدبراً لأحدٍ في شؤون الحياة الدنيا ولا الآخرة إنما هو بشرٌ ممّن خلق الله، فضله الله على غيره بالنبوة والرّسالة في قومه.

وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

والمسيح عليه السلام بشهادة نصوصٍ كثيرةٍ من الأناجيل تعتريه حالاتٌ قويّةٌ من الضّعف، ومن التّعب، ومن اليأس، ومن الخوف، وقد كان يلجأ إلى الله في دعائه عند الملمات دائماً.

ولا أتردّد في القول: إنّ اعتبار المسيح ابن مريم إلهاً أو ابن الله إنّما انبثق عن فكرٍ يهوديٍّ متأثّرٍ بالأساطير اليونانية والمجوسية. ولا دخل مطلقاً له في رسالة عيسى ابن مريم عليه السلام من ربّه.

(١) راجع لسان العرب لابن منظور، مادة (أله).

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِيرَةٌ كَثِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ وِلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١].

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَاهُ لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١-٩٢].

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وجاء في الإنجيل أن المسيح عليه السلام تعرَّض بعد التعميد إلى تجربة من إبليس اللعين استغرقت أربعين يوماً وليلة، لم يذق خلالها طعاماً، ولا شرباً. وهذا أمر لم يذكره القرآن الكريم عن عيسى ابن مريم عليه السلام، ويبعد أن يكون أمراً له من الصّدق نصيباً؛ لأنّه أمرٌ متكلّف، وليس في مقدور الإنسان بوصفه بشراً أن يفعلهُ، وعيسى ابن مريم إنسانٌ من البشر يأكل الطّعام ويشرب الماء ويكلُّ ويتعب.

وعلى فرض صحّة هذه المقالة، فإنّ فيها ما يدلّ على عبودية المسيح، ويبطل القول بتعدّد الآلهة أو تجزئتها.

يقول صاحب كتاب يسوع معلقاً على هذه الحادثة: (إنّها لم تكن مجرد حادثٍ، بل كانت أزمةً شديدةً في حياة يسوع) ويقول: عليه أن يشرع كإنسان في مصارعة وهزم قوّات ملكوت الشّر) ويقول عن التجربة إنّها: (وصفٌ مجازيٌّ فقط يصف صراعاً داخلياً في النّفس). ثمّ يتساءل قائلاً: (كيف يمكن أن يجربّ الرّب يسوع بأية تجربة وهو بلا خطيئة)؟.. فيفترض عندئذٍ أنّ تجربة المسيح لم تكن إلا (عراكاً ظاهرياً فقط خلواً من أيّ صراعٍ حقيقيٍّ أو خطرٍ فعليٍّ) ويقول: (ومع ذلك كلّه فإنّنا في توقيرنّا للسّيد المسيح نأبى كلّ الإباء أن نظنّ بأنّه أحسّ ولو مجرد الإحساس بتجربة ما^(١)).

معجزات المسيح عليه السلام:

المعجزة أمر خارقٌ للعادة، وفوق طاقة البشر، يجريه الله جل وعلا على يدي أنبيائه ورسله بوصفه برهاناً قاطعاً على صدق ما يدّعونه عن ربّهم. وهي مقرونة بالتّحدّي.

(١) راجع كتاب حياة يسوع تأليف بيترسون سميث، تعريب حبيب سعيد، ص ٥٥.

ولقد كان لكلِّ نبيٍّ من الأنبياء ما يلائم عصره وقومه من خوارق العادات وتذليل العقبات من أمورٍ حسيّة تخالف السنن الكونية، وتخرج عن النواميس الطّبيعية، وتكون من قبيل ما استحکم في زمانهم، وغلب على خاصّتهم، وعظم في نقوس عامّتهم، ذلك لما جُبلت عليه الأنفس البشرية من كثرة الجدل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

ولما كان الإنسان بطبيعته ميالاً إلى حبِّ الأشياء التي يعرفها، وينشأ فيها ولها تأثيرٌ عليه وهو عدوٌّ لدودٌ لما يجهله، فإنه من الصّعب جعله يتحوّل من لونٍ إلى لونٍ، ومن طريقةٍ إلى أخرى، خاصة ما يتعلّق بالأمر العقديّة التي عقد قلبه عليها. ومن ذلك كانت مهمّة الأنبياء والرّسل، ومن ثمّ الدّعاة جميعاً من أصعب وأشقّ الأمور بالنّسبة إلى القلّة القليلة من البشر الذين تحمّلوا ويتحمّلون أعباءها، مع الكثرة الكاثرة من النّاس وخاصة العوام منهم.

فكان أن أمدّ الله أنبياءه ورسله بمعجزاتٍ أجزاها على أيديهم يحسُّ بها كلُّ من شاهدها، وتكون مدعاةً لتصديقهم، وعوناً لهم على المضي في رسالتهم ولتقوم الحجّة على النّاس.

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

ولقد ورد في كل الأناجيل الرسمية للنصارى والقرآن الكريم ذكراً لتلك المعجزات التي أجراها الله جلّ وعلا على يد نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام.

يقول (يوحنا) في إنجيله: إِنَّ الْمَسِيحَ تَمَكَّنَ مِنْ تَحْوِيلِ الْمَاءِ خَمْرًا مِنْ دُونَ أَيِّ إِضَافَةٍ عَلَيْهِ ^(١).

لم يرد مثل هذا القول في القرآن الكريم بلا شك. فالخمر أمُّ الخبائث، وقد قال الله تعالى واصفاً إياها في كتابه العزيز: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

والمسيح ابن مريم عليه السلام رسول من الله ذو فطرة سليمة، وعقل راجح، فلا يتأتى منه صنع الخمر، ولا سقايتها، ولا إقرار تعاطيها كشرعية جاء بها من الله، أو جاء بها غيره من الرسل

(١) إنجيل يوحنا: ١/٢-١٠.

الَّذِينَ سَبَقُوهُ، فَالْخَمْرُ كَمَا يَعْرِفُهَا الْإِنْسَانُ تَوَثَّرَ فِي عَقْلِهِ وَتَفَقَدَهُ
 جِزْءًا كَبِيرًا مِنَ الْإِتْرَانِ وَحَسَنَ التَّصَرُّفِ. وَلَقَدْ ظَلَمَ النَّصَارَى
 أَنْفُسَهُمْ عِنْدَمَا اعْتَقَدُوا -بِمَكِيدَةٍ مِنَ الْيَهُودِ- أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ
 نَبِيَّهُمْ قَدْ أَبَاحَهَا لَهُمْ، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَكْثَرَ عِنْدَمَا اعْتَبَرُوا الْخَمْرَ
 عِنَصْرًا أَسَاسِيًّا فِي إِحْدَى شِعَائِهِمُ الدِّينِيَّةِ، وَهِيَ شَعِيرَةُ الْعِشَاءِ
 الرَّبَّانِيِّ أَوْ الْقُرْبَانِ الْأَقْدَسِ الَّذِي يُطْلَقُونَ عَلَيْهِ (الْأَفْخَارِسْتِيَا).

جاء في إنجيل (متى) قوله: (وفيما يأكلون أخذ يسوع
 خبزاً، وبارك وكسّر وأعطى تلاميذه، وقال: خذوا كلوا هذا
 هو جسدي) (١). ثم أخذ كأساً فيها خمرٌ وأعطاهم إيّاها قائلاً:
 (اشربوا من هذا كلُّكم ؛ لأنَّ هذا هو دمي للعهد الجديد الَّذي
 يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا) (٢).

فأَيُّ رَمِزٍ هَذَا؟ وَأَيُّ عَقِيدَةٍ فَاسِدَةٍ هَذِهِ!!؟

ونجد في إنجيل لوقا وصفاً ليحيى بن زكريا عليهما السَّلَام
 أَنَّهُ لَا يَشْرَبُ خَمْرًا وَلَا مَسْكَرًا (٣). واعتُبرت هذه مزية له، وهو

(١) إنجيل متى: ٢٦/٢٦ وإنجيل لوقا: ١٩/٢٢ ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنتس:
 ٢٣/١١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إنجيل لوقا: ١٥/١.



الَّذِي جَاءَ مَبْشُرًا بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فهل نقول: إِنَّ شَرْبَ الْخَمْرِ
هُوَ مِنْ شَرِيعَةِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ دُونَ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ؟
الجواب: لا.

ولكن نقول: إِنَّ تَحْرِيفًا عَظِيمًا وَقَعَ لِإِنْجِيلِ عَيْسَى وَمِنْ
قَبْلِهِ تَوْرَاةِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَامَ بِهِ الْيَهُودُ تَحْقِيقًا لِرَغْبَاتِهِمْ
الدُّنْيَوِيَّةَ، وَإِشْبَاعًا لَشَهْوَاتِهِمْ الْحَيَوَانِيَّةَ، وَإِفْسَادًا لَشَرَائِعِ اللَّهِ.

قال الله تعالى عنهم: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ
وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَدَعْنَا لَيْثًا بِالْسِّنِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ
أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

فهذه الآية، وإن كانت عن اليهود الذين عاصروا النبيَّ
محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أنها تصف الطَّبِيعَةَ الْيَهُودِيَّةَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَمَكَانٍ،
وتفصح حقيقتهم.

وجاء في الإنجيل أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَهَرَ الْبَحْرَ، عِنْدَمَا
اضْطَرَبَ اضْطِرَابًا عَظِيمًا، حَتَّى غَمَرَتْ الْأَمْوَاجُ السَّفِينَةَ، بِسَبَبِ
الرِّيَّاحِ، فَحَدَّثَ هَدَوًّ عَظِيمًا ^(١).

(١) إنجيل متى: ٨/٢٣-٢٦.

وجاء في الإنجيل أيضاً أنَّ المسيح ﷺ مشى على البحر، قال:
(وعند الهجعة الرابعة من الليل مضى إليهم ماشياً على البحر^(١)).
والمشي المقصود هو مشيه على قدميه على سطح الماء.

هذه الحوادث المعجزات وغيرها كإعادة السَّمع، وإعادة النُّطق، وإعادة العقل للمجنون، لم يرد لها ذكرٌ في القرآن الكريم. إنما المعجزات التي ذكرها القرآن لعيسى ابن مريم ﷺ هي معجزاتٌ حسّية عظيمة.

أولاهما: حملة ﷺ في بطن أمّه العذراء، فقد تمّ من دون أيّ اتّصال جنسيٍّ من بشرٍ لأمّه، بل بنفخة من روح الله نفخها جبريل في جيبها. فكان هو في طريقة خلقه، وأمّه في طريقة حملها به آية عظيمة للناس أخبر الله عنها بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

والنصارى لا يعبؤون كثيراً بموضوع حمل المسيح ﷺ في بطن أمّه؛ لأنّه يعدّونه أمراً عادياً، ومريم بنظرهم قرينة ليوسف النجار، فلا مجال للقول عندهم: إن حملها للمسيح ﷺ كان آيةً من الله، بحسب معتقدهم الباطل.

(١) إنجيل متى: ٢٥/١٤.

غير أن قسّيسيّهم ورهبانهم عندما اجتمعوا في مجمع
(نيقية) تداركوا الموضوع، فوضعوا في قانون الإيمان، الذي
تمخّص عن المؤتمر، العبارة الآتية:

(ولد بالروح القدس من مريم العذراء...) لأنّهم في ذلك
المجمع قالوا بألوهية المسيح، فتعاضموا القول: إنّ (إلههم)
مولودٌ عن رجلٍ من بينهم لا تكون له صفة الألوهية.

وكما يقول صاحب كتاب حياة يسوع: (ألوهية المسيح
وميلاده من عذراء قد تمشياً معاً جنباً إلى جنبٍ، وجرى الناس
إمّا على قبولهما أو رفضهما معاً)^(١).

ثانيها: كلامه عليه السلام، وهو صبيٌّ في المهد، وقد كان إيذاناً لقومه
حينذاك لتتبع مراحل حياته، ولفت النظر إليه منذ طفولته، مع
ما كان في ذلك الكلام من تبرئة لوالدته ممّا ألصّقه بها اليهود
من افتراءات شنيعة.

هذه المعجزة العظيمة لم تذكرها الأناجيل الأربعة الرّسمية
لدى النّصارى اليوم، وذكرها القرآن الكريم في أكثر من موضعٍ

(١) راجع كتاب حياة يسوع تأليف بيترسون سميث، تعريب حبيب سعيد، ط ٢، ص ٢٩.

منه، قال تعالى: ﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَاتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ٢٧-٣٣].

وذكر هذه المعجزة العظيمة أيضاً إنجيل (الطفولة)، وهو من الأناجيل التي لم يعترف بصحتها النصاري في مجمع (نيقية) وأطلقوا عليها اسم: الأناجيل المنحولة.

يقول إنجيل (الطفولة) على لسان المسيح، وهو يخاطب أمه حين ولادته: (أنا يسوع... الكلمة الذي ولدته... أرسلني الله لخلاص العالم^(١)). وكما سبق، فإن اعترافهم بكلامه في المهد وقوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] سيظل دعواهم بألوهيته، وسينتشر عند العامة والخاصة؛ لكونه أمراً غير معتاد أن يتكلم الصبي في مهده. فلا يستطيعون تحريفه أو تكذيبه.

(١) راجع كتاب القرآن والكتاب لأستاذ الحداد، القسم الثاني، أطوار الدعوة القرآنية. ص ٤٦٥.



ثالثها: معجزة خلق الطير من الطين، والنفخ فيه، فيصبح طيراً بإذن الله يطير بجناحيه يراه القاصي والداني، ويتفكر فيه بوصفه معجزة كل من شاهدها أو سمع عنها، فمن أراد الله به خيراً، آمن برسالة عيسى ابن مريم وأتبعه، ومن كان غير ذلك، فإنه أعرض عنها، وقاومها، ووصفها بأنها سحرٌ.

ورد ذكر هذه المعجزة في القرآن في موضعين منه. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ولِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١١٠].

ونلمس من الأناجيل الأربعة الرسمية أنها لم تتطرق إلى ذكر شيء عن هذه المعجزة الباهرة الدامغة. إلا ما ذكره صاحب كتاب (القرآن والكتاب) من أن إنجيل (متى) المنحول قد ذكر هذه المعجزة في الفصل الثامن والعشرين منه^(١).

(١) راجع كتاب القرآن والكتاب القسم الثاني، أطوار الدعوة القرآنية للأستاذ حدّاد ص ٩٥٣.

رابعها: إبراء الأكمه والأبرص، والكمه والبصر من الادواء التي أعيت الطب والأطباء إلى اليوم، استطاع المسيح عليه السلام في عصره أن يبرئهما بإذن الله، لتكون له آية على قومه الذين برعوا في الطب حينذاك، وحنة عليهم.

وقد ورد في الإنجيل ذكر معجزة إبراء الأعمى^(١). ولم يرد ذكر لإبرائه الأكمه، ومعروف ما بين الأكمه والأعمى من فرق. فالأكمه من ولد ولا بصر له أصلاً، بينما الأعمى من فقد بصره بعد مولده في الغالب نتيجة مرض أصابه، فأجهزة البصر لديه موجودة، غير أنها مصابة بعطل طارئ أفقدها القدرة على العمل، وقد توصل الطب الحديث إلى محاولة علاج الأعمى بنقل قرنية سليمة من إنسان سليم مكان المصابة، أو بترقيعها.

ومن ذلك وغيره نرى أن معجزات المسيح ابن مريم عليها السلام من خلال القرآن ذات دلالات قوية، واضحة ودامغة، لا تلتبس إلا على من في قلبه مرض.

خامسها: إحياء الموتى بإذن الله، فهي معجزة فاقت كل المعجزات التي جاء بها المسيح عن ربه؛ لكونهما صفة ملازمة

(١) إنجيل متى: ٢٢/١٢.

لله وحده لا يقدر عليها أحدٌ سواه. وما جريانها على يد مخلوق من مخلوقاته إلا دليل صدق دعوى ذلك المخلوق فيما يقول عن ربّه، وبرهانٌ ساطعٌ على مطلق مشيئة الله فيما يريد ويفعل، لا رادٌ لما قضى، ولا مانع لما أعطى، فهو وحده الَّذي يملك تلك القدرة وغيرها من القدرات الخاصّة به عزّ وجلّ.

ولقد كان لمعجزة إحياء الموتى بإذن الله أبلغ الأثر في زعزعة النفوس الضّعيفة والقلوب المريضة من يهود ونصارى، فذهبوا إلى الاعتقاد بالوهية المسيح عليه السلام، فنجدهم قد أكثروا الحديث عن إحياء المسيح ابن مريم للموتى، وذهبوا مذاهب شتى في تخريجها في أنجيلهم^(١). ونسبوا فعله عليه السلام إلى قدراته الخاصة، وقوّته الذاتيّة، لدرجة أنّهم اعتقدوا في نهاية المطاف أنّ هذه القدرة الفريدة قد ورّثها المسيح عليه السلام لأحد تلاميذه. ففي أعمال الرُّسل ادَّعوا أنّ (بطرس) أحيّا فتاة كانت قد ماتت في مرضها^(٢).

ولقد ورد ذكر هذه المعجزة العظيمة في القرآن الكريم ذكراً موجزاً وافياً لم يخض في التفسيرات التي لا طائل من

(١) إنجيل متى: ١٨/٩.

(٢) أعمال الرسل: ٣٦/٩.

تحتها، وبينَّ تعالى أنَّ فعل المسيح عليه السَّلام كان بإذن الله ومشيتته، وما المسيح إلا سببٌ أجرى الله على يديه هذه المعجزة وغيرها؛ ليصدِّقه قومه بما جاءهم به عن ربِّه.

سادسها: الإخبار بالمغيَّبات، فقد كان ﷺ كما أخبر القرآن الكريم، يخبر قومه بما يأكلونه وبما يدَّخرونه في بيوتهم^(١).

ونجد في الإنجيل ذكراً لهذه المعجزة في أكثر من موضعٍ منها، ورَكَزَت جميعها على إخباره بما سيقع له نفسه من صلبٍ وقتلٍ على يد اليهود، كما يزعمون^(٢).

سابعها: المائدة، وهي معجزة من معجزات المسيح ابن مريم ﷺ، لم يرد لها ذكرٌ في الأناجيل الأربعة الرَّسْمية، وإنَّما الَّذي ذكرته الأناجيل هو تكثيره ﷺ للطعام، جاء في الإنجيل: (أنَّ المسيح جعل من خمس أرغفة خبز وسمكتين طعاماً يكفي خمسة آلاف رجل سوى النِّساء والصِّبيان، وأنَّهم رفعوا ما فَضِّلَ من الكِسْرِ اثنتي عشرة قُفَّةً مملوءةً^(٣)).

(١) سورة آل عمران: ٤٩.

(٢) إنجيل يوحنا: ١/١٣.

(٣) إنجيل متى: ١٤/١٥-٢١، ١٥/٣٢، وإنجيل مرقس: ٦/٣٠.

ويزعم (يوحنا) في إنجيله إِنَّ المسيح ﷺ يقول عن نفسه: إِنَّهُ (خبز الحياة مَنْ يُقْبَلُ إِلَيْهِ فَلَنْ يَجُوعَ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ فَلَنْ يَعْطَشُ أَبَدًا^(١)).

ويقول: إِنَّهُ (الخبز الحي الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخَبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ، وَالْخَبْزُ الَّذِي سَيُعْطِيهِ هُوَ جَسَدُهُ لِحَيَاةِ الْعَالِ^(٢)).

وجاء في أعمال الرُّسُل: أَنَّ (بطرس) عندما كان يصَلِّي جاعاً، وأراد أن يأكل، وعندما أراد أن يهيئَ له طعاماً شعر بشيء يجذبه، فرأى السَّمَاءَ مفتوحة، ووعاء هابطاً كأنه سماط عظيم، معقود من أطرافه الأربعة، ومدلى على الأرض، وكان فيه من كل ذات الأربع، ودبابات الأرض، وطيور السَّمَاءِ، وإذا بصوت يقول: قم يا بطرس، اذبح وكل. فقال بطرس: حاشاي يارب، فَإِنِّي لَمْ أَكَلْ قَطْ نَجْساً أَوْ دَنْساً. فخاطبه الصوت ثانية: ما طَهَّرَهُ اللهُ لَا تَنْجِسْهُ أَنْتِ. وحدث هذا ثلاث مرَّات، ثمَّ رفع الوعاء إِلَى السَّمَاءِ^(٣)).

(١) إنجيل يوحنا: ٦/٣٢-٥٢.

(٢) إنجيل يوحنا: ٦/٣٢-٥٢.

(٣) أعمال الرُّسُل: ١٠/٩-١٦.

هذا من أوضح ما جاء في الأناجيل عن مسألة الطعام وتكثيره، وقد رأى بعض المسلمين أنها (هي مسألة المائدة السماوية، ومعنى كونها سماوية أن الله تعالى بارك في الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة)^(١).

وهذا الرأي باطل، لأنه يخالف صريح القرآن الكريم الذي أورد قصه المائدة على النحو الآتي:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ أَتَقُونَ اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نَزِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥].

وقد ربط البعض بين ما جاء في إنجيل (يوحنا) من أن المسيح عليه السلام قد اعتبر نفسه هو الخبز الذي نزل من السماء وبين قصة المائدة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، واعتبرهما مسألة واحدة، تُعرف في الإنجيل (بسرّ القربان) وتعرف

(١) راجع كتاب قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار، ط ٢، الناشر مكتبة وهبه ص ٤١٢.



بالقرآن بقصة المائدة (وادّعى بأنّ القرآن أورد الخبر بأسلوب قصّة المائدة الهابطة في رؤيا على بطرس زعيم الحواريين)^(١).

وهذا قول باطل أيضاً؛ لمخالفته صريح القرآن الكريم، ولأنّ المائدة التي طلبها الحواريون هي من الأمور الحسّية التي تشاهد بالعين المجرّدة، وليست أمراً معنويّاً؛ وأنّ ما جاء في أعمال الرُّسل إنّما يتعلّق ببطرس أحد التلاميذ، وليس بعيسى نفسه، وفي هذا وحده ما يردُّ القول بالربط بين القولين؛ لأنّه أسقط من موضوع المناقشة أحد أركانه.

وخلاصة القول في ذلك هو أنّ الأناجيل الرّسمية لدى النّصارى اليوم لم تتطرق إلى موضوع قصّة المائدة، ولم تذكرها بوصفها معجزة من معجزات المسيح عليه السلام.

نهاية المسيح عليه السلام:

إنّ هذه المرحلة الدّقيقة من سيرة حياة المسيح عليه السلام تُعدّ من أكثر المراحل أهميّةً في سيرته. ولقد كثر حولها الحديث عند المسلمين والنّصارى على السّواء.

(١) راجع كتاب القرآن والكتاب للأستاذ الحدّاد القسم الثّاني أطوار الدّعوة القرآنية، ص ٩٤٨.

فالمسلمون كما مرَّ معنا اختلفوا حول نهاية المسيح عليه السلام على الأرض كيف كانت؟.

فمن قائلٍ: إنَّه مات، ودفن في الأرض، وصعدت روحه إلى السَّماء. ومنهم من قال: بل رفعه الله إليه حيًّا بجسمه وروحه معاً، وسينزل آخر الزَّمان قبل قيام السَّاعة، ويقتل المسيح الدَّجال، ثم يموت ويدفن، ثمَّ يُبعث مع الخلائق يوم القيامة. وذهب البعض الآخر إلى غير ذلك.

وسبب اختلافهم هذا إنَّما مرَّده إلى فهمهم الآيات التي وردت في القرآن الكريم بشأن المسيح عليه السلام ونهايته على الأرض.

أمَّا النَّصارى فقد نسجوا حول المسيح عليه السلام وحول نهايته على الأرض، روايات شتى استمدُّوا أكثرها من خيالاتهم وتصوُّراتهم لم ينزل الله بها من سلطانٍ.

فقد أورد الإنجيل حول نهاية المسيح أحاديث شتى. فالنصارى يعتقدون أنه بسبب خطيئة آدم عليه السلام، استحقَّ سخط الله عليه، ويعتقدون أنَّ آدم مسؤول عن كلِّ مَنْ تحدَّر منه،

مسئولية ربّ العائلة عن أفراد عائلته. ويعتقدون أنّ عصيانه ربّه تسبّب في القطيعة بينهما وبأنّ آدم يحنُّ إلى ما فقدته من نعيم، ولكنه لا يملك وسيلة للتكفير؛ لأنّه مخلوقٌ حقيرٌ؟! وعندما أراد الله أن يتدارك الإنسان البائس، أرسل ابنه الوحيد إلى نجدته. هو المسيح الذي أخذ يقدّم نفسه وسيطاً بين الله والنّاس، ولهذا تجسّد وتألّم ومات. ولولا المعصية والخطيئة، لما كان من موجب لموته^(١).

وجاء في نبوءة أشعيا قوله: (... جُرِحَ لأجل معاصينا، وسُحِقَ لأجل آثامنا كلنا ضللنا كالغنم، كل واحد مال إلى طريقة، فألقى الرب عليه إثم كلنا جُرِحَ لأجل معاصينا وسُحِقَ لأجل آثامنا فتأديب سلامنا عليه وبشدخه شُفينا، كلنا ضللنا كالغنم، كل واحد مال إلى طريقة فألقى الربُّ عليه إثم كلنا. قدم وهو خاضع ولم يفتح فاه كشاة سيقت إلى الذبح وكَحَمَلٍ صامت أمام الذين يجزونّه، ولم يفتح فاه من الضيق والقضاء أخذ ومن يصف مولده إنه قد انقطع من أرض الأحياء ولأجل

(١) راجع كتاب يسوع المسيح للأب بولس إلياس اليسوعي ص ٩٨ (بتصرف). وكلمة (مخلوق حقير) ويعني بها آدم عليه السلام، هي كلمة مبتدلة في حق نبي كريم يُعدّ أباً للبشر، وهذا أمر لا يقرّه المسلمون، ويكفر من تعمّد قوله عالماً بمعناه.

معصية شعبي أصابته الضرة فمُنِحَ المنافقين بقبره والأغنياء بموته لأنه لم يصنع جَوْرًا ولم يوجد في فمه مكرًا والرب رضي أن يُسْحَقَ بالعاهات، فإذا جعل نفسه ذبيحة إثم يرى ذرية وتطول أيامه ومرضاة الرب تنجح على يده^(١). هذه رسالة المسيح ابن مريم كما يعتقد النَّصَارَى، وهذا هو المسيح ﷺ كما يراه المسيحيون؟! وهي بحق صورة مشوّهة لنبيٍّ من أولي لعزم كَرَّمه الله برسالته وجعله وأمه آيةً للعالمين.

ويوجد هناك اتِّفَاقٌ شبه تام بين المسلمين والنَّصَارَى على أن اليهود هم ألدُّ أعداء المسيح ﷺ ومن ثمَّ أعداء دينه وتعاليمه التي جاء بها. وأنهم هم الذين كادوا له المكائد ودبَّروا له الحيل حتَّى يوقعوا بينه وبين السُّلطة الزَّمنية حينذاك، وقد نجحوا في النِّهاية. فقد جاء في رواية الإنجيل أنَّ (يهوذا الإسخريوطي) - وهو من أصلٍ يهودي - تتلمذ على يد المسيح، هو الذي دلَّ اليهود على المسيح ﷺ حتَّى قبضوا عليه وساقوه إلى الحاكم الذي قام بمحاكمته، ومن ثمَّ ترك أمره إلى الشَّعب اليهودي فطالبوا بصلبه، فكان لهم ما أرادوا أن هزؤوه، وضربوه، وبصقوا

(١) راجع نبوءة أشعيا العهد العتيق: ٤/٥٣.

عليه^(١). وكانوا يتَّهمونه بأنَّه يفسد عليهم الأمة اليهودية، ويمنع من أداء الجزية لقيصر ويدَّعي أنَّه هو المسيح الملك، وأنَّه يهيج الشَّعب بتعاليمه ضدَّ الدَّولة، ثمَّ بعد أن أسلمه (بيلاطس) إليهم انطلقوا به إلى المكان المسمَّى الجمجمة، وصلبوه هناك^(٢).

ثمَّ بعد أن أمضى في القبر ثلاثة أيام ميتاً قام من قبره، والتقى تلاميذه، وبقي على الأرض أربعين يوماً صعد بعدها إلى السَّماء^(٣).

أمَّا عن نهاية المسيح عليه السَّلام، كما أوردها القرآن الكريم فهي كما يأتي:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤].

فألقي جُلَّ وعلا شبه المسيح عليه السلام على آخر، ورفع الله عيسى ابن مريم إليه لم يُصَبْ بأيِّ أذى وقُتِل الشَّبيه، وُصِّلَبَ فظن اليهود، وأوهموا أن الذي قُتِل وُصِّلَب إنما هو عيسى ابن مريم. وقد أخبر الله تعالى عن حقيقة الأمر بقوله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا

(١) إنجيل لوقا: ٢٢.

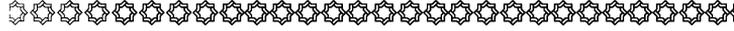
(٢) إنجيل لوقا: ٢٣/١-٣٣.

(٣) إنجيل متى: ٢٨، وإنجيل مرقس: ٢٠، ٢١.

الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَالُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْلَفُوا فِيهِ لَغِيٌّ شَكٌّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَالُوهُ يَقِينًا ﴿ [النساء: ١٥٧].

فالمسيح ابن مريم بصريح القرآن الكريم لم يمت مقتولاً، ولم يكن مصلوباً، بل هو حيٌّ بجسمه وروحه معاً رفعه الله إليه.

وما اختلاف النصارى حول حقيقة نهاية المسيح عليه السلام إلا وهم أوقعهم فيه اليهود كما مرَّ معنا، جعلهم يتخبَّطون في معتقدات فاسدة باطلة. والذي تولَّى كِبْرَهُ منهم (بولس) اليهودي، الذي اعتنق النصرانية ليفسدها بعد أن كلَّت يداه من تعذيب النصارى في محاولة لفتنتهم وصدِّهم عن دينهم بالقوَّة، فلما يئس من استخدام العنف وسيلةً إلى ذلك لجأ إلى الحيلة، وهو من هو في الدهاء والذكاء (وقد تميَّز بصفات كانت من أسباب نجاحه، وهي: الرُّوح الحماسية الوثابة، والمنطق البين المتدرَّب على المناقشة، ثمَّ التَّفكير العملي الحي، والعزيمة التي لا تقهر والتي تفرض رسالة صاحبها وآراءه فرضاً. فعبقرية (بولس) في التَّفكير الديني لا جدال فيها، غير أن آراء ومدركات هذا التفكير لديه تألَّفت من مصادر مختلفة، فهي مزيج من دعوى الاثنا عشر الأساسية، ومن الأفكار اليهودية، ثمَّ من المفاهيم



المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية ومن الأساطير الدّينية
الشرقية^(١).

ولقد كان لمسلك (بولس) في النّصرانية أبعد الأثر في كثير
من النّصارى، وخاصّة الذين اعتنقوا النّصرانية على يديه أو تأثير
من تعاليمه. وصدق الله العظيم، إذ يقول في محكم التّنزيل:
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ
قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].



(١) كتاب المسيحية نشأتها وتطورها تأليف شارل جنيبير، تعريب الدكتور عبدالحليم
محمود، ص ٧٠ (بتصرّف).





الْحِجَّةُ الثَّلَاثُ

موقف اليهود من النصر على اليهود

إن كتب اليهود تؤكّد أنهم ينتظرون (مسيحاً) يأتي، ويُطلقون عليه لقب (المسيا) ويصوّرونه ملكاً يجعل لهم السلطان المطلق على الأرض، ويجعل جنسهم هو الأعظم بين أجناس البشر.

ولمّا ظهر عيسى ابن مريم عليه السلام بين ظهرائهم، وعُرف بالمسيح، وادّعى النبوة فيهم مدّعماً بما أجراه الله على يديه من معجزات حسّية ذات دلالات قويّة على صدق ما يدّعيه عن ربّه، ولم يقل: إنّه ملكٌ ذو سُلطةٍ مُطلقةٍ على الأرض، ولم يُظهر من القوّة، والجبروت والطغيان ما يُرضيهم، بل كان عكس ذلك تماماً.

أخذ يدعوهم بدعوة الأنبياء والرّسل من قبله ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وبالزهد في الدّنيا، والبساطة في المعيشة والمأوى، وإلى حسن الخلق، والتسامح مع الآخرين.



فاعتبروه دجالاً، وكذبوه، وثاروا عليه، وتأمروا على قتله. فهو في نظرهم مشعوذ أظهر عدم الرضا والقبول لكثير من تصرفاتهم وأفعالهم، وأعلن فسادها، وكالب عليهم الناس. فقرروا التخلص منه بأي وسيلة.

والمتبّع لأنجيل النصارى ورسائل قديسيهم يلمس بوضوح بين ثناياها صنوفاً من الكيد النابع عن الحقد والكراهية من اليهود للنصارى، المتفرّع عن كراهيتهم للمسيح نفسه حتى الموت.

ولا أدري كيف يقبل النصارى اليوم أن يتعاملوا مع اليهود، وتربطهم بهم علاقات تجارية وسياسية وثقافية على أعلى المستويات، وقد أصبح للنصارى دولٌ قويّةٌ تحميهم وتدعو بدعوتهم؟ أهو جبنٌ من النصارى؟ أم هو دهاءٌ من اليهود الذين عرفوا كيف يجعلون النصارى وغيرهم من شعوب العالم ينغمسون في الحياة المادية، حتى طغت على النواحي الدينية والإنسانية ومن ثم أصبحوا لا يكثرثون لما يصيب دينهم من تصدّع وانحلال، طالما أنّهم يجدون من الشّهوات والملذّات ما يشبع غرائزهم؟.

إننا نحتار في التوفيق بين ما نقرؤه في بعض الفقرات الواردة في أناجيل النَّصَّاري، وكيف تصف العداء العظيم بين الفئتين: النَّصرانية واليهودية، وبين الواقع الَّذي ينمُّ عن الصِّفاء والانسجام المتمثِّل الآن بين اليهود والنَّصَّاري في دول العالم. هل افتري النَّصَّاري في كتبهم على اليهود فيما ادَّعوا عليهم؟ أم أنَّ لليهود قوَّة ذاتية لم تزل تهيمن على النَّصَّاري منذ أن بدأ عيسى عليه السلام بدعوته؟.

فالنَّصَّاري لم يحاولوا منع اليهود من صلب المسيح وقتله - كما يزعمون - بل كانوا وجلين مُستخفين، حتَّى إنَّ القديس (بطرس) وهو أحد التلاميذ المقربين إلى المسيح كما جاء في كتبهم، أنكر معرفته للمسيح أصلاً، عندما ساق اليهود المسيح إلى المحاكمة أمام الوالي، ثلاث مرَّات متتاليات^(١).

وفيما بين عامي ١٩٦٢م - ١٩٦٤م عقد بالفاتكان مؤتمر للمجلس المسكوني، تضمَّن البيان الصَّادر عنه مشروع وثيقة تقدَّم بها الكاردينال (أغسطس بيا) من أصل ألماني، تنزِع إلى تبرئة اليهود من دم المسيح، وتحميل البشرية جمعاء هذه

(١) إنجيل متى: ٢٦/٦٩-٧٤.

المسؤولية. وقال: إِنَّ مَسْئُولِيَّةَ (موت المسيح) تقع على النوع الإنساني الواقع تحت الخطيئة. وأكد في المجمع أن البابا يوحنا الثالث والعشرين هو صاحب الاقتراح، غير أن البابا المذكور هَلَكَ قبل أن يقدمه للمجلس.

وَوَدِدْتُ لو أسأل عن معنى هذه الفقرات التي جاءت في إنجيل (متى):

«فقال لهم (بلاطيس) -أَيُّ للشَّعب اليهودي- فماذا أصنع يسوع الذي يقال له المسيح؟ فقالوا كلهم: ليُصَلَّب. فقال لهم الوالي: فأَيُّ شَرِّ صَنَعٍ؟ فازدادوا صياحاً، وقالوا: ليُصَلَّب. فلما رأى (بلاطيس) -وهو من أصل روماني- أَنَّهُ لا ينتفع شيئاً، ولكن يزداد البلبال، أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجمع، قائلاً: إِنِّي بريءٌ من دم هذا الصِّديق، أبصروا أنتم. فأجاب الشَّعب -اليهودي- قائلين: دمه علينا وعلى بنينا^(١)».

الفقرات صريحة بأنَّ سبب القتل وتفيذه -كما يزعمون- وَتَحْمُلُ تَبِعَةَ ذلك، تقع جميعها على اليهود الذين باشروا الصَّلب والقتل، وعلى بنينهم من بعدهم، كما أعلنوا ذلك أمام

(١) إنجيل متى: ٢٧ / ٢٢ - ٢٥.

الوالي، ولأنَّ محاولة قتل المسيح وصلبه تَمَّت بدافع دينيٍّ من اليهود^(١)، فيكون كلُّ من يدين باليهودية إلى يوم القيامة يرى أنَّ ما قام به آباؤه من اليهود الأوائل إنما هو صوابٌ ودفاع عن الدِّين من رجلٍ (مضللِّ ساحرٍ، مشعوذٍ وشرِّير) كما جاء في التلمود.

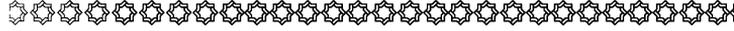
وما المحاولات التي تُبذل اليوم ومنذ زمنٍ بعيدٍ، لتبرئة اليهود من دم المسيح إلا لدوافع سياسة محضة، ودليل على تغلغل نفوذ اليهود في العالم، وتقلُّص نفوذ النَّصارى بوصفها أمة مؤمنة بنبيِّها ودينها في العالم، وذلك بسبب إنصراف أغلب رعاياها عنها، وانغماسهم في الماديات.

ومن المبررات التي يحاول اليهود اليوم إبرازها للعالم هي أنَّ اليهود المعاصرين لا ذنب لهم فيما فعله الأولون من اليهود؛ لأنَّهم لم يباشروا بالفعل، ولم يشهدوا المكيدة؟!!

وهو تبريرٌ يتَّسم بالخبث والمغالطة. ونقول للنَّصارى الواقعين تحت تأثير اليهود اليوم مادياً ومعنوياً، كيف تُحمَّلون

(١) جاء في إنجيل يوحنا: ٦/١٦-٧ ما نصُّه:

(فلما رآه رؤساء الكهنة والخدم صرخوا قائلين: اصلبه، اصلبه. فقال لهم بيلاطيس: خذوه أنتم واصلبوه، فإني لا أجد فيه علة. أجاب اليهود: إن لنا ناموساً، وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت؛ لأنه جعل نفسه ابن الله).



البشرية جمعاء خطيئة آدم، وما من آدمي حينذاك كان معه في الجنة؟ ثم ما ذنب عيسى ابن المريم عليه السلام بوصفه واحداً من البشر في أن يتحمّل عن البشرية رفع خطيئتها، وما صاحب ذلك من ألم الصّلب والقتل، كما تقولون وهو لم يكن مع أبيه آدم، عندما ارتكب الخطيئة، كما هو معروفٌ بداهةً؟





الْبَحْثُ الْإِسْلَامِيُّ

تَطَوُّرُ عَقِيدَةِ النَّصَارَى

لقد تفرَّق النَّصَارَى بعد المسيح عليه السلام قلباً وقالباً، فالتلاميذ - كما مرَّ معنا - ذهب كلُّ منهم إلى ناحية من الأرض يدعو إلى ما يؤمن به من اتجاه وفكرةٍ عُلِقَتْ في ذهنه ممَّا سمعه عن المسيح عليه السلام، فكان له أتباعٌ وتلاميذ، فنسج لهم تعاليم المسيح نسجاً من ذاكرته، فأودعها كتاباً أسماه (إنجيل ربنا يسوع) ومن التَّسمية يظهر الغرض منها، ويتبيَّن ما أصاب النَّصرانية من تحريفٍ وتبديلٍ. ونتج عن تشتُّت التَّلاميذ في الأرض تعدُّد الآراء والمعتقدات حول المسيح ابن مريم عليها السلام ورسالته في الحياة، وأصبح - في غفلة من العقل السَّليم - كلُّ يدَّعي صواب رأيه، وصواب قوله.

يقول الجاحظ، وهو من هو في الذكاء والفتنة:

(ولو جهدت بكلِّ جهدك، وجمعت كلَّ عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه، حتَّى تعرف حدَّ النَّصرانية،



وخاصة قولهم في الألوهية، وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصرانياً نستورياً فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولاً. ثم لو خلوت بأخيه لأُمَّه وأبيه، وهو نستوري مثله، فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية، لذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان^(١).

ولقد اشتهر من فرق النصارى قديماً ثلاث فرق هي: النسطورية، اليعقوبية، الملكانية. وكلُّ فرقةٍ من هذه الفرق الثلاث تُنسب إلى الرَّجل الَّذي نادى بمبدئها أو دعا إليه، ويكون في الغالب مخالفاً في دعوته ما كان سائداً من الآراء والمعتقدات حول حقيقة المسيح.

فالنسطورية: نسبةً إلى (نسطور) الَّذي كان من بطاركة القسطنطينية، قال: إنَّ مريم وُلِدَتُ الإنسان فقط، فهو بذلك يُنكر ألوهية المسيح. فانعقد بسببه مجمع (أفسس) سنة ٤٣١ م وقرّر لعنه وطردّه، وأعاد المجتمعون القول: إنَّ مريم العذراء وُلِدَتُ الإنسان الإله.

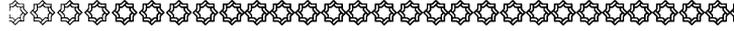
(١) راجع كتاب ثلاث رسائل للجاحظ. تحقيق فنكل. ص ٢٢.

والنسطوريون يسمّون (الكلدان) يسكنون فيما بين النهرين،
وفي الهند، وفي بلاد العجم.

واليعقوبية: نسبةً إلى يعقوب البراذعي، يقولون: إن المسيح
ذو طبيعةٍ واحدة، قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان،
وتكوّن من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت
والنّاسوت. وهذا المذهب كان قد أعلنه بطريرك الإسكندرية
في منتصف القرن الخامس الميلادي، وما يعقوب البراذعي إلا
داعية نشط أعاد القول بهذا المذهب، وجعل له شيعة مرتبة،
وذلك في القرن السادس للميلاد.

وانعقد بسبب هذه المقالة مجمع (خليكدونية) سنة ٤٥١ م
الذي تقرّر فيه أنّ المسيح ذو طبيعتين.

والملكانية: نسبةً إلى أحد ملوك الرّوم الذي اعتنق النّصرانية،
وقال بمقالة (يوحنا مارون) الذي تنسب إليه المارونية. وهي
أنّ المسيح ذو طبيعتين، ولكن إرادته ومشيتته واحدة. فانعقد
بسببه مجمع (القسطنطينية) سنة ٦٨٠ م الذي قرّر أنّ للمسيح
طبيعتين ومشيتين.



ومن الآراء والمعتقدات الأخرى لدى النصارى حول حقيقة المسيح ما يأتي:

قول البربرانية (الريميتين): إنَّ المسيح وأمه إلهان من دون الله.

وقول سابليوس: إنَّ المسيح من الأب بمتربة شعلة نارٍ انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية عنها.

وقول البيان: لم تحبل مريم بالمسيح تسعة أشهر، وإنَّما مرَّ في بطنها كما يمرُّ الماء في الميزاب؛ لأنَّ الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث الولد من ساعتها.

وقول بولس الشمشاطي من بطاركة أنطاكية، ويعرف أشياعه (وبالبولينقانيين): إنَّ المسيح إنسانٌ خلق من اللاهوت كواحد منَّا في جوهره، وأنَّ ابتداء الابن من مريم وأنَّه اضْطُفِي ليكون مُخْلِصاً للجوهر الإنسي، صحبتة النعمة الإلهية، وحلَّت فيه بالمحبَّة والمشية، ولذلك سمِّي ابن الله.

والله جوهر قديمٌ واحدٌ، وأقنومٌ واحدٌ، ويسمُّونه بثلاثة أسماء، لا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس.



قول مرقيون: إِنَّ الآلهة ثلاثة: صالحٌ وطالحٌ وعدلٌ بينهما.

قول بولس اليهودي: إِنَّ المسيح إله.

قول أريوس: الأب وحده الله، والابن مخلوقٌ مصنوعٌ، وقد كان الأب إذ لم يكن الإبن. فقد أقرَّ بوحدانية الله منكرًا ما جاء في الأناجيل من ألوهية المسيح.

وقد كان لرأي (أريوس) صدىً كبير بين صفوف النَّصارى حينذاك. فأنعقد بسببه مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥م الذي يُعدُّ أكبر وأخطر المجامع التي عُقدت من قبله ومن بعده على الإطلاق. فقد أقرَّ أعضاؤه فيه مبدأ الشُّرك بوصفه أساسًا في الدِّين النَّصراني عندما قالوا بألوهية المسيح، وبأنه جوهر الله، وأنه قديمٌ، لا يعتريه تغييرٌ ولا تحويلٌ.

ويُحرِّمُون القول بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، وأنه وجد من جوهر الأب، أو أنه خُلِق، أو أنه قابلٌ للتَّغيير، أو يعتريه ظلُّ دوران. وقد حكم المجتمعون على (أريوس) باللَّعن والطُّرد. وانتصر الملك قسطنطين لهذا المبدأ الباطل؛ لكونه حديث

عهد بالوثنية، وتمشياً مع الظروف السّياسة السّائدة حينذاك. فأزره وأيد القائلين به بأن منحهم خاتمه، وسيفه تعبيرا عن إطلاق أيديهم في الرّعية، ففرضوا هذا المبدأ الباطل على جميع النّصارى الخاضعين لسلطان الرومان. إلا أنّ دعوة (أريوس) بقيت يدعو بها الموحّدون في الخفاء.

وقد حدث نتيجة اضطراب هذه الآراء والمعتقدات حول حقيقة المسيح عليه السلام وتعدّدها انشقاق في النّصرانية بوصفها ديناً، ما أدّى إلى وجود كنيسة للنّصارى: الأولى شرقية مركزها قسطنطينية بتركيا وتسمّى الأرثوذكسية، يرأسها بطريرك، لها في كلّ بلدٍ شرقيّ كنيسةٌ يرأسها بطريرك مستقل يخضع لبطريرك القسطنطينية خضوعاً أدبيّاً. يؤمنون بأنّ الرّوح القدس من الأب وحده.

والثّانية غربيّة مركزها روما بإيطاليا، وتسمّى الكنيسة الكاثوليكية الرّومية، يرأسها البابا، وهو بطريرك يدّعي السّيادة على جميع الكنائس في العالم.

يقولون: إنّ الرّوح القدس منبثق من الأب والابن معاً.

وقد وقعت حروبٌ بين أنصار الكنيستين، فغزا الغربيون الشرقيين، وهو ما يُعرف بالحروب الصليبية سنة ١٢٠٤م. انتصر الغربيون فيها، فأوقعوا بالشرقيين مذابح عظيمة، واستولوا على أماكنهم حتى تمكن المسلمون من صدّهم عن بلاد الشام. وكسبت الكنيسة الغربية من انتصارات مؤيديها قوّة ذاتية، وأصبح لها نفوذ على نصارى أوروبا وبعض نصارى آسيا وأمريكا، فاشتدّ ضغطها على المسيحيين، وحاربت كلّ فكرٍ علميٍّ يبحث في العلوم الكونية بما يخالف رأيها، واعتبرت صاحبه كافراً يستحقُّ الحرق، وقد أنشأت لذلك محاكم للتفتيش يمثل أمامها كلّ من يتهم بأنه يقول برأيٍ يخالف ما تؤمن به الكنيسة. فتعرّض كثيرون من النصارى إلى التعذيب البشع حتى الموت. ولقد امتدّ نفوذ الكنيسة حتى بلغ الملوك والأمراء، فليس لأيّ ملكٍ سلطانٌ على البابا، وللبابا سلطانٌ على كلّ ملكٍ؛ لكونه مسيحياً، والبابا خليفة المسيح على الأرض، ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه.

ولقد اختصّت الكنيسة نفسها بحقّ فهم الكتب المقدّسة (الأنجيل) وتفسيرها، وحرّم ذلك من قبلها على الغير، مهما

كان راجح العقل ثاقب البصيرة. وإذا ما التبس على النصراني أمرٌ من أمور دينه فعليه أن يشكَّ في عقله ولا يشكَّ في قول البابا.

ومن ذلك مسألة استحالة الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه، فيما يسمَّى عندهم (بالعشاء الرباني) فمن أكل وشرب فقد جعل المسيح في جسمه بلحمه ودمه؟!.

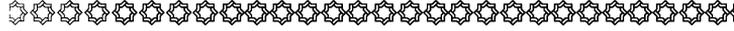
ولعلَّ مسألة امتلاك الكنيسة حقَّ الغفران لرعاياها من أكثر الأمور نفورًا منها. فقد ابتدعت الكنيسة في روما صكوكًا أسَمتها (صكوك الغفران)^(١) تباع لمن يدفع قيمتها فيصبح في حلٍّ من جميع ذنوبه ما كان منها وما سيكون.

وقد نتج عن هاتين المسألتين وغيرهما في القرن السادس عشر ما يعرف بعصر النهضة أو الإصلاح الديني، إذ برز بين رجال الدين المسيحي وغيرهم من المسيحيين من يندد بتلك الأفكار وبذلك التحكُّم التعسفي، ويدعو إلى وضع حدٍّ لسلطة البابوات.

(١) جاء في كتاب محاضرات في النصرانية لمحمد أبو زهرة. ط ٣ ص ١٨٤. صورة من صكِّ الغفران، نقتبس منها ما يأتي: «... وإنَّ بالسُّلطان الرَّسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطَّائلات التي استوجبتها، وأيضًا من جميع الإفراط ولخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفضيعة... وأردُّك ثانية إلى الطَّهارة والبرِّ اللذين كانا لك عند معموديتك... وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيِّرة حتَّى تأتي ساعتك الأخيرة...».

واشتهر من بين أولئك الذين يدعون إلى الإصلاح (مارتن لوثر) من أصل ألماني (وكلفن) من أصل سويسري، اللذان عرف أتباعهما فيما بعد (بالبروتستانت) أي: المحتجون. وأنشؤوا كنائس خاصة بهم انتشرت في أوروبا وأمريكا، وتمتّع كل كنيسة باستقلال ذاتي عن البابا، وتختلف عن بعضها في عقيدتها اختلافًا جذريًا لا يشارك بعضهم بعضًا في أداء الطقوس الدينية، وأسموها الكنائس الإنجيلية، أي: التي تسير وفق ما جاء في الأناجيل، دون الخضوع لأي رأي من أي إنسان يخالف ما جاء في الأناجيل، حتى إن كان قرارًا من مجمع مسكوني.

ومن أشهر تلك الكنائس (البروتستانتية): الكنيسة (اللوثرية) ومركزها ألمانيا الغربية، ولها فروعٌ في أكثر أنحاء العالم الغربي المسيحي، وبعض دول الشرق كاليابان والفلبين. وهي لا تلتزم بالنظام الكهنوتي بين رجال الكنيسة. والكنيسة (الإنجيلكانية) ومركزها مدينة (كنتبري) في مقاطعة (كنت) بإنجلترا. وهي لا تلتزم بالنظام الكهنوتي بين رجال الكنيسة المتسلسل عن تلاميذ عيسى. ولها فروعٌ في جميع الدول التي استعمرتها بريطانيا.



أمّا الأغلبية العظمى من المسيحيين اليوم، وخاصة الشباب، فقد تركوا النصرانية ولا يدينون بأيّ دينٍ آخر، وأصبحوا يعيشون في فراغٍ روحيٍّ كبيرٍ، يشعرون به كلّما وجدوا وقتاً للفراغ من الحياة المادية الصّاخبة الخالية تماماً من الرّوحانيات التي تملأ في العادة خلايا النّفس، وتبثُّ فيها نوعاً من الأمل الذي يكون بمثابة قوّة دفعٍ في الإنسان إلى ما هو أحسن. فكثيراً ما تلجأ الغالبية منهم عند تعرّضهم لأذى مصيبةٍ أو فشلٍ إلى الانتحار للتخلّص من الحياة التي يحيونها، وما ذلك إلا نتيجة لقلّة الإيمان، والرّكون إليه في نفوس أكثرهم.

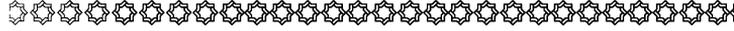
ولقد تعرّض المجتمع المسيحي في أوروبا وأمريكا وغيرهما من دول العالم إلى نوعٍ من الانحلال الخلقي، كتعاطي المخدّرات على نطاقٍ واسعٍ بين الشّباب من الجنسين، وإقرار مبدأ الإباحة الجنسية بين الرّجل والمرأة بشكلٍ مفضوحٍ مبتذلٍ تتحاشاه أدنى المجتمعات البدائية ثقافة، وما ذلك إلا هروباً من الواقع الذي يحيونه المليء بالمتناقضات في الأقوال والأفعال من رجال الدّين المسيحي وما يبثونه من أفكارٍ ومعتقداتٍ تنفر منها العقول المثقّفة وكلُّ من لديه أدنى تفكيرٍ.



الاتصال ببعض النصارى في العالم

عندما شرعت في بحثي، وبدأت في جمع مصادره، وجدت في أثناء قراءاتي للكاتب التي تتحدث عن الأديان عموماً والدين المسيحي خاصة، أن أكثر تلك المصادر تدور في حديثها حول الأمور العقديّة، التي هي في الحقيقة أصل الخلاف ونقطة النزاع بين المسيحيين والأديان الأخرى، بل بين المسيحيين أنفسهم، وركيزة كل بحث في الأديان.

ولما كان أكثر كتّاب المصادر التي وقعت بين يديّ هم من المسلمين، القدامى والمُحدّثين، رأيت أن أوجد شبه اتّصالٍ مباشر بيني وبين بعض النصارى في العالم اليوم المهتمّين بعلوم النصرانية، والذين يعتبرون أمام الآخرين متمسّكين بمبادئها ويعملون بما جاء في شرائعها، ليكون قولهم حجة عليهم. فأخذت في إعداد بعض الأسئلة التي تتعلّق بالأمور العقديّة، والنّواحي التّاريخية للنّصارى والنّصرانية، وعملت



على أن تكون صياغتها بأسلوبٍ منطقي يتمشى ومفهوم العقل،
وحاولت بقدر الإمكان أن أبتعد عن إظهار أي نوع من أنواع
التعصب، وإنما المحاولة ترمي إلى الوصول إلى الحق.

وبعد إعداد تلك الأسئلة التي بلغت في مجموعها ثمانية
وعشرين سؤالاً، قمت بتكليف بعض الأصدقاء بترجمتها إلى
اللغة الإنجليزية، حتى يتيسر لمن لا يعرف اللغة العربية قراءتها
والوقوف على معانيها.

وكنت أرمي من وراء ما صنعت إلى الوقوف عن كثبٍ
على آراء ومعتقدات النصارى المحدثين في دينهم، وعن مدى
تعلقهم به، وفهمه.

وبعد مددٍ متفاوتة من الوقت بدأت أتسلم الردود على
أسئلتني. ولاحظت في الرسائل التي وصلتني أن أكثرهم اكتفى
في رده على الأسئلة برسالة شكر واهتمام، وحث مبطن إلى
الرجوع إلى الأناجيل والرسائل.

وهناك من أرفق برسالته الشكر مجموعة كتبٍ عن النصرانية،
لا يخرج الحديث فيها عمّا جاء في الإنجيل أو الرسائل، وهي

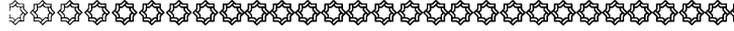


من الكتب الدّعائية التي تقوم مراكز النصرانية في العالم بتوزيعها مجاناً بواسطة المبشرين. فلم أجد كبير فائدة فيها، فهي لن تمكّني من الوقوف على عقلية النصراني المعاصر.

وهناك من بعث برودٍ موضوعية موجزة على كلّ سؤال من أسئلتني، وهو الأمر الذي كنت أرجوه من الجميع.

وفيما يأتي نصُّ الأسئلة المذكورة:

- ١- من هو السيّد المسيح على حقيقته؟.
- ٢- هل يمكن إثبات سندٍ متّصلٍ للديانة المسيحية؟.
- ٣- هل استطاعت الديانة المسيحية (بوصفها نظاماً وتعاليم من عند الله) أن تأخذ نصيبها في الوجود في عهد سيدنا عيسى ابن مريم أو بعده؟.
- ٤- هل الأناجيل التي كتبت في عهود الاضطهاد المستمر للنصارى تحمل صفة الكتاب المنزل من عند الله؟.
- ٥- هل يمكن لكتّاب الأناجيل في ظلّ هذا الاضطهاد الديني أن يتحلّوا بصفة الحيطة العلمية التي ينادي بها علماء الغرب في العصر الحديث؟.



٦- ما مدى الثقة التي يعطيها التاريخ لما كتب في هذه العهود من الأناجيل؟.

٧- ما الذي يُخرج تاريخ المسيح من الأسطورة إلى الحقيقة التاريخية؟.

٨- ما الذي يثبت أن الأناجيل الأربعة تمثل في مجموعها إنجيل عيسى الحقيقي؟.

٩- كيف قطع بأنّ الذي بين أيدينا هو إنجيل متى الرسول؟.

١٠- ما معنى أنّ الله لا غيره هو المسيح ابن مريم؟.

١١- على أيّ أساس اعتمد قانون الإيمان، وعلى أيّ شيء ينص؟.

١٢- ما نتائج مؤتمر (نيقية)؟ ومتى عقد؟ وما أسباب انعقاده؟.

١٣- من بولس الرسول؟ وما تاريخ حياته؟.

١٤- كم كان عدد الأناجيل قبل أن يتم اختيار الأربعة؟ وعلى أي أساس تم الاختيار؟.

١٥- ما حقيقة روح القدس؟ وكيف يمكن أن يكون ثالث ثلاثة؟ ولمن الغلبة؟.



١٦- ما قصة صلب المسيح مفصلة، وهل قاوم الصلب، وكيف أنه لم يحتط لنفسه قبل أن يصلب؟ وهل الذي صلب وعذب الناسوت أم اللاهوت؟ وكم مكث على الأرض قبل أن يصعد إلى السماء؟.

١٧- هل كانت بنوة عيسى خارجة عن إرادة الله أم داخلية فيها؟.

١٨- ما حاجة الرب لأن يكون له ابن وقد أحاط بكل شيء؟.

١٩- كيف ينزل واجب الوجود الذي خلق العالم ودبره في رحم أنثى، ويتجسد فيه غلاماً يولد، كيف يتصور ذلك عن طريق المنطق والمعقول؟.

٢٠- كيف يكون الله أباً لعيسى وقد ولدته أمه من غير أب؟.

٢١- هل تستحقُّ مريم أن تُعبد؟ وهل هي زوجة الله؟.

٢٢- ما قصة المائدة التي طلبها عيسى من الله، وهل نزلت، وما سبب ذلك الطلب؟.

٢٣- ما الآيات التي أجراها الله على يد عيسى، وما عددها، وما مدى تأثيرها؟.

٢٤- هل يقول المسيحيون بموت عيسى قبل يوم القيامة؟.

٢٥- أين إنجيل المسيح الأصلي، وإذا كان قد اندثر فما هو الكتاب المقدس في المسيحية؟.

٢٦- هل كانت رسالة عيسى خاصّة أم عامة؟ إذا كانت خاصة، فما الحاجة للجهود المادية والمعنوية التي تبذل لمحاولة تنصير الآخرين؟ وإذا كانت عامة فما الدليل على ذلك؟.

٢٧- كيف ينظر المسيحيون إلى المؤمنين بديانات أخرى، كالإسلام مثلاً. وكيف ينظرون للأنبياء والرسل الذين أتوا قبل المسيح وبعده؟.

٢٨- هل تنسخ الأديان بعضها بعضاً، وهل يؤمن المسيحيون بذلك؟ هذه هي الأسئلة التي وجهت إلى بعض النصارى، وكما ذكرت فقد تلقيت إجاباتٍ عدّة مختلفةً من جهاتٍ مختلفة من العالم.

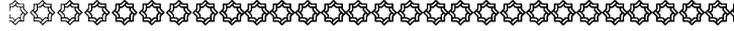
وسأذكر فيما يأتي موجزاً مختصراً عن الإجابتين الموضوعيتين اللتين تلقيتهما إلى الآن. الأولى تمثّل وجهة النظر الكاثوليكية، والثانية تمثّل وجهة النظر البروتستنتية. وهما من أكبر الطوائف المسيحية اليوم.

فألتني تمثّل وجهة نظر الكاثوليكية كانت من الكاردينال أسقف بوسطن الكبير بالولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ ١١ / ١٢ / ١٩٧٦ م. حيث أجاب عن السؤال الأول بقوله: إنَّ المسيح هو الأقنوم الثاني من الثالوث، صار بشراً. وإن الإله واحدٌ ذو أقانيم ثلاثة. وإنَّ المسيح ولد من أمٍ بشرية، وله طبيعتان كاملتان: الطَّبيعة الأولى إلهية، والطَّبيعة الثانية بشرية، فهو إلهٌ حقيقي، وبشرٌ حقيقي. وهو ابن الله أرسله ليكون فداءً للبشرية عما ارتكبه من خطايا، ولقد رضي بتلك الوفاة بارادته وحرّيته، معبراً عن طاعته ورضوخه لإرادة أبيه السماوي، وبحكم محبته للبشر. وهو الوسيط بين الله والإنسان، وفدى الجنس البشري كافة.

وعن السؤال نفسه، فقد وردت الإجابة الثانية من المعهد البروتستنتي لعلم اللاهوت في باريس بفرنسا بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٧٧ م:

يعرف المسيح بيسوع الناصري، وهو آخر الرُّسل المنتظر منذ أيام إبراهيم.

أمّا عن السؤال الثاني فقد أجاب الكاثوليك: بأنّه لا يمكن إثبات سندٍ متصلٍ لرواة الأناجيل. وإنَّ كاتب الإنجيل الأوّل



(متى) مجهول. وإنَّ صلة يوحنا بإنجيله غامضة. والرَّسائل التي تعزى إلى القديس بولس تعدُّ من عمله هو. وإنَّ كاتب الرِّسالة الموجَّهة إلى اليهود مجهولٌ، وإنَّ الرِّسالة الثَّانية التي تعزى للقديس بطرس كتبت باسم مستعارٍ.

وأما البروتستانت فقد أكَّدوا أنَّ كتاب الأناجيل قد شهدوا الأحداث التي تدلُّ على قدرة المسيح الإلهية.

أمَّا عن السُّؤال الثَّالث: فقد اعتذر الكاثوليك عن الإجابة؛ لعدم فهم السُّؤال. أمَّا البروتستانت فقالوا: إنَّ المسيحية وجدت عندما قام المسيحيون بالانفصال عن اليهود الذين كذَّبوا برسالة المسيح وألوهيته.

أما عن السُّؤال الرابع: فقد أجاب الكاثوليك بأن كتب العهد الجديد (الأناجيل) مترلة من عند الله استناداً إلى ما جاء في العهد القديم.

أمَّا البروتستانت فقالوا: إنَّ الأناجيل كتبت بين عامي ٥٠-١١٠ بعد الميلاد.

أمَّا عن السُّؤال الخامس: فقد أجاب الكاثوليك بأنَّ الكنيسة لم يكن لها وجودٌ في أثناء الفترة الأولى من المسيحية. والتلاميذ



كانوا يخضعون للسلطان الروماني، وكانوا متعاونين مع الهيئات الاجتماعية التابعة له. وكانوا عند كتابتهم للأناجيل متمحمسين للمسيح غير محايدين.

(نلاحظ أن الإجابة يكتنفها بعض الغموض).

أما البروتستانت فينكرون وجود اضطهاد وقت كتابة الأناجيل، ويثبتونه عند كتابة الرسائل المعروفة (بأعمال الرسل).
 أمّا السؤال السادس: فقد أجاب الكاثوليك بقولهم: إنَّ الأناجيل التي كتبت في العهود الأولى لها حقيقة تاريخية ذكرها بعض المؤرّخين من النصارى، وقد عثر على نقوشٍ وآثارٍ تؤكد ذلك.

أما البروتستانت فقد نفوا أن يكون هناك تزوير أو تغيير في الأناجيل بسبب الاضطهاد. (ولم يوردوا دليلاً على ذلك).

أمّا السؤال السابع: فقد أجاب عنه الكاثوليك بقولهم: إنَّ الوقائع التاريخية تثبت حقيقة تاريخ المسيح، ويدعمها ما ثبت في كتب اليهود من مخالفة المسيح لهم، وفي الأناجيل نفسها ما يثبت ذلك.

أمّا البروتستانت فقد نفوا أن تكون حياة المسيح نسج خيالٍ أو خرافةٍ سماوية، واعتبروها حدثاً تاريخياً.

أمّا السُّؤال الثامن: فقد أجاب عنه الكاثوليك بأنّ الأناجيل قد كتبت في العقود الثلاثة بعد وفاة المسيح، فهي ذات صلةٍ به إمّا مباشرة أو عن طريق تذكّر الرُّسل، وقد نالت أهمية بسبب ما ألصق بها من أسماء. وعلى الرغم من بعض الاختلافات بينها فقد عبّرت عن رسالة السيد المسيح.

أمّا البروتستانت فقالوا بوجود الأناجيل الأربعة، وما عداها فهو غير ذي قيمةٍ تاريخية.

أمّا السُّؤال التاسع: فقد أجاب عنه الكاثوليك بقولهم: ليس هناك ما يثبت نسبة إنجيل (متى) إلى (متى) الرُّسول حقيقة.

أمّا البروتستانت فقد اكتفوا بتعريف الإنجيل.

أمّا السُّؤال العاشر: فقد أجاب عنه الكاثوليك بقولهم: الإله أقانيم ثلاثة الأب، الإبن، الرُّوح القدس، متفرقة حقيقة، متساوية وتابعة لذات واحدة.

فالأب لم يولد والابن مولود من الأب، والرُّوح القدس منبثق منهما. وصفات الله وأفعاله مشتركة بين الأقانيم الثلاثة،

فهم المنشئون لجميع الأشياء. وقد ولد الأَقنوم الثاني (المسيح) من مريم وله طبيعتان كاملتان: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية.

أمَّا البروتستانت فيعتقدون أن الله جسّد قدرته وإرادته في المسيح ابن مريم.

أمَّا عن السُّؤال الحادي عشر: فقد أجاب عنه الكاثوليك بأن الوحي الإلهي هو الصلوة بين الله والإنسان، وأنه ضروريٌ لهدايته، وقد أستمَرَ إلى وفاة عيسى وتلاميذه.

أمَّا البروتستانت فيؤمنون بأنَّ الإيمان المسيحي يقوم على حب الإنسان، لأخيه الإنسان ويحثُّ على الغفران والتَّسامح.

أمَّا عن السُّؤال الثاني عشر: فقد أجاب عنه الكاثوليك أنَّ من أهمِّ نتائج مؤتمر (نيقية) المنعقد سنة ٣٢٥م شجب بدعة (أريوس) التي تتلخَّص فيما يأتي:

١- أنَّ الأب كان قبل الابن.

٢- ابن الله خلق من لا شيء.

٣- ابن الله مخلوق وليس أزليًّا.



٤- ابن الله المخلوق عرضة للتغيير.

٥- ابن الله ليس مساوياً للأب في الذات الواحدة، وأن تسميته

بـ (الله) على سبيل المجاز فقط، وقد كانت هذه الآراء

هي السبب الرئيس لانعقاد المؤتمر، وقد أكد ألوهية

المسيح وأزليته، وأنه مساوٍ للأب في الذات الواحدة.

وقد أقر المؤتمر قانون الإيمان الذي هو دستور الكنيسة.

أمّا البروتستانت فقد ذكروا سنة انعقاد المؤتمر المذكور،

وأنه تمّ فيه جمع الكنائس حول الاعتراف والإيمان بالثالوث

المقدس أساساً لوجود الأناجيل.

أما عن السؤال الثالث عشر: فقد أحال الكاثوليك إلى ما جاء

في أعمال الرسل^(١).

وذكر البروتستانت أن بولس من الفريسيين أعتق المسيحية،

وطوّر رسالتها، وهلك في روما.

أمّا عن السؤال الرابع عشر: فقد أجاب الكاثوليك بقولهم:

لقد راجت أناجيل كثيرة في القرن الثاني بعد المسيح، أهمّها

(١) راجع ص ١٠ من هذه الرسالة.

(إنجيل توماس). وقد كان اختيار الأناجيل الأربعة من بينها بناء على أن مصدرها الرسل ولكون الكنيسة قبلتها.

أما البروتستانت فيرون أن اختيار الأناجيل الأربعة تمّ لكون كتّابها من الشُّهود العيان الذين عاصروا المسيح.

أمّا عن السُّؤال الخامس عشر: فقد أجاب عنه الكاثوليك بقولهم: الذات الإلهية ثلاثة أقانيم تختلف عن بعضها في الحقيقة، وتتطابق جميعها في الذات الإلهية. الأب لم يولد، والإبن مولد، والروح القدس منبثق عنهما. فكل أقنوم يختلف عن الآخر ويساويه. وكلُّ أقنوم هو الإله الأزلي، ولكن الله واحد. وإنَّ كلَّ أقنوم هو الإله الواحد وهو الإله نفسه. ويستحيل على العقل المخلوق فهم هذا السر. وإن الروح القدس هو الأقنوم الثالث من الثالوث المبارك، نزل على عيسى وكان السبب في إنجابه بمعجزة. وبعث إلى تلاميذ المسيح وأتباعه لهدايتهم، وهو يختلف عن روح الإنسان. وليس هناك تباين بين سلطانه وسلطان الله. ويوصف عمله في العهد الجديد بأنّه عملٌ شخصيٌّ، فهو يتكلّم، ويشهد، ويمتحن، ويقرّر ويناصر، ويشفع، ويوزّع النعم، وقد أرسل من قبل الأب والابن لإتمام عمل التّخليص في أرواح بني آدم.

أمّا البروتستانت فيقولون: إنّ الرُّوح القدس هو الله الَّذي لا يدركه البشر، تجلّى لهم في شخص المسيح، وهو يقود العالم بهذه الروح.

أمّا عن السُّؤال السادس عشر: فقد أحال الكاثوليك على إنجيلي (متى ولوقا^(١)).

أمّا عن البروتستانت فيرون أنّ المسيح قَبْلَ أن يُصلب طاعة لربّه، ولم يكن عاجزاً عن تفادي ذلك، وليس صلبه دليلاً عن عجز أو وحشية، إنما هو تعبير عن الحب الَّذي يَكُنُّه لأبناء البشر، فهو قد سُحق في الصِّراع القائم بين قدسية الإله وخطيئة البشر.

أمّا عن السُّؤال السَّابع عشر: فقد أكَّد فيه الكاثوليك أن نبوة عيسى لم تكن خارجة عن الإرادة والمشية الإلهية.

أمّا البروتستانت فيرون أن القول بولادة المسيح قولٌ وثنيٌّ، ويعدّون المسيح ابناً لله يطيعه بمشيئته.

أمّا عن السُّؤال الثامن عشر: فيؤكِّد الكاثوليك فيه أنّ الله لم يكن في حاجة إلى ولد، وأنّ الأقنوم الثَّاني (المسيح) أزلّيٌّ، ولكنه تجسّد بشراً.

(١) انظر: ص (٥٢، ٥٣) من هذه الرسالة.

أمّا البروتستانت فيرون أنّ المسيح ابن الله، وهو وسيطٌ
بين الله نفسه الذي لا يدركه البشر وبين الإنسان.

أمّا عن السؤال التاسع عشر: فيرى الكاثوليك أنه ليس
مستحيلاً على الله الذي فطر الكون أن ينزل في رحم امرأة من
بني آدم، وأن يأخذ هيئة الولد، فهو على كل شيء قدير.

أمّا البروتستانت فيقولون: يجب أن لا نرى في ولادة
المسيح لغزاً بيولوجياً، وإنما هو إعلان عن نعمة أسبغها الرب
علينا.

أمّا عن السؤال العشرين: فيرى الكاثوليك أنّ الله هو الأب
البشري لطبيعة عيسى البشرية الذي ولد من مريم العذراء بلا
واسطة رجل من البشر.

أمّا البروتستانت فيرون أنّ ولادة المسيح العذرية والقول
بالروح القدس شيئان يعنيان أن المسيح ولد حقيقة من امرأة،
وأنه من صنع الله الكامل.

أمّا عن السؤال الحادي والعشرين: فيرى الكاثوليك أن عيسى
هو الأقموم الثاني من الثالث المبارك، ولد من مريم العذراء

بواسطة سلطان الروح القدس. ولا يقال: إنَّ مريم هي زوجة الله، بل هي زوجة يوسف النجار من الناصرة.

والكنيسة الكاثوليكية تُجَلِّها لما شَرَّفها الله به من الأمومة الإلهية. وإنَّ مقام عيسى معها ثلاثين عاماً تحت سقف واحد إنما هو توقيُّرٌ لها. وهي أمُّ للكاثوليك، وتملك الشفاعة.

أمَّا البروتستانت فيرون أنَّ مريم ليست بامرأة الله، ولكنَّها من المؤمنين به شأنها شأن إبراهيم.

أمَّا السُّؤال الثاني والعشرين: فلم يجب عنه الكاثوليك؛ لعدم فهمهم إياه.

وأجاب البروتستانت بأنَّهم يعتقدون أنَّ هذه الوليمة هي عبارة عن الصُّورة لملكوت السماء الآتي.

أما عن السُّؤال الثالث والعشرين: فإنَّ الكاثوليك لا يعرفون عدد معجزات المسيح تماماً.

ويعرِّفون المعجزة بأنَّها حقيقة محسوسة فوق طاقة البشر، وهي ليست بخرق القوانين الطبيعيَّة، ولكنَّها تدخُّلٌ من الله لإيقاف أنشطة القوانين العادية مؤقتاً.

وقد دَلَّ عيسى بعمل المعجزات على قدرة الله ورحمته ولطفه وعدله، وبرهان لليهود الجاحدين على صدق رسالته.

أمَّا البروتستانت فلا يعدّون المعجزات دليلاً على ألوهية المسيح، إنما هي دلائل النعمة والرحمة التي يظهرها الله للإنسان المتألم.

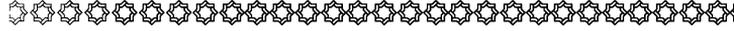
أمَّا السُّؤال الرَّابِع والعشرون: فَإِنَّ الكاثوليك يؤمنون بموت المسيح حقيقة وبقيامه من الأموات وفقاً لطبيعته البشرية، ويشهد بذلك الأناجيل الأربعة^(١).

والبروتستانت يقولون بموته أيضاً.

أمَّا عن السُّؤال الخامس والعشرين: فيؤكد الكاثوليك أنَّ المسيح لم يترك وصية مكتوبة، وأنَّ الكتاب المقدس لدى النَّصارى يتكون من الأناجيل، ورسائل العهد الجديد مع أعمال الرسل.

أمَّا البروتستانت فلا يرون أنَّ الأناجيل كتب مقدسة، إنما هي مجموعة شواهد للمؤمنين.

(١) راجع ص: ٢٥ من هذه الرسالة.



أمّا عن السُّؤال السادس والعشرين: فيقول الكاثوليك: إنّ رسالة عيسى عامة، وذلك اعتماداً على ما جاء في الأناجيل وأعمال الرسل.

ويرى البروتستانت أن رسالة المسيح عامة أيضاً.

أمّا عن السُّؤال السابع والعشرين: فإنّ الكاثوليك على الرغم من اعترافهم بعموم رسالة المسيح، لا يقفون من الدِّانات الأخرى موقف النفي والمناهضة.

أمّا البروتستانت فإنهم يعدّون البشر جميعاً إخوة لهم.

أمّا عن السُّؤال الثامن والعشرين: فيرى الكاثوليك في إجابتهم أنّ الدِّيانة النصرانية لا تُستبدل بأي دينٍ آخر، وأنّها ستظل إلى يوم الدين.

أمّا البروتستانت فيعتبرون أنّ الأديان جميعها تعبير عن الثقافات البشرية، ويجب احترامها. ويعتقدون أن المسيحية أكثر من ديانة، فهي وحي وإلهام.

هذا، وقد وصلني رسائل أخرى من الجهات الآتية:



(١) الكنيسة الأولى ليسوع العالم في بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية. رسالة من نائب مدير لجان النشر في الكنيسة المذكورة بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٩٧٦ م، مصحوبة بكتيب يسمى (حقائق عن العلم المسيحي) يتحدث عن عقائد هذه الطائفة من النصارى. ومن أهمها أن هذه الطائفة من النصارى لا تقول بألوهية المسيح.

(٢) مجمع الكنائس العالمي في جنيف بسويسرا، رسالة من رئيس البرامج الموحدة لإشهار العقيدة، أو (الحوار مع أتباع الديانات الحية والفلاسفة)، بتاريخ ١٩ / ١١ / ١٩٧٦ م. مصحوبة بكتب عن النصرانية.

(٣) الفاتيكان (مقر البابا) من الرئيس المساعد في الفاتيكان للعلاقات الدينية مع المسلمين بتاريخ ١٩ / ١٠ / ١٩٧٦ م، يذكر أن أسئلتني قد اهتمَّ بها البابا نفسه، وقد كلفه بالإجابة عنها. وأرفق بالرسالة عرضاً مقتضباً عن أصول الأناجيل، وعقائد الكنيسة الكاثوليكية، وأكد تقدير وإحترام الكنيسة للدين الإسلامي.

(٤) من أستاذ كرسي الدين بجامعة (دلهاوزي) كندا،
 (و.ك.س. مكلك) يعدني بالإجابة فيما بعد؛ نظراً لضيق
 وقته. ولم أتسلم شيئاً إلى الآن.

وإن كان من تعليقٍ على الإجابات الموضوعية التي
 ذكرتها آنفاً، فإن هذا المختصر للترجمة الحرفية لهما يظهر
 فيه بوضوح تام ما يعتقده أتباع هاتين الطائفتين من النصرارى
 في الله والمسيح، وهو اعتقاد متشابه بين جميع طوائف
 النصرارى تقريباً.

ولا يختلف اثنان بأن هذا الاعتقاد مغاير تماماً لما أقره
 الإسلام من عقيدة المسلمين في الله عز وجل، وفي عيسى
 ابن مريم وأمه، كما مر معنا في ثنايا الرسالة مفصلاً وكما هو
 معروف. ولما كان هذا الاختلاف يتعلق بالأصل الأصيل
 للدين الإسلامي؛ فإنه لا يمكن بحال من الأحوال، وتحت أي
 ظرف من الظروف، إدخال أيّ تعديل أو التساهل في أيّ حرفٍ
 من حروفه، بإسقاط أو تغيير، ومن حاول ذلك متعمداً ومصراً
 يُعدّ كافراً بالدين الإسلامي ككل، وإن كان مسلماً فهو مرتدٌ
 مباحّ الدّم والمال والعرض، بعد استتابته.

إذا كيف يمكن التوفيق بين الشريعتين الإسلامية والنصرانية؟
 أو كيف يمكن على الأقل التنسيق بينهما؟ الجواب: لا يمكن، إذا
 أردنا أن نسير وفق قواعد وشروط الديانتين، إلا إذا جَوَّزنا أن يكون
 زيدٌ حاضراً غائباً معاً في وقت واحد، وهذا مستحيل، إذ الجمع
 بين التقيضين محالٌ. ولا فائدة من محاولة التنسيق بين فروع
 لأصلين متغايرين؛ لأنَّ الموت سيكون من حظ الفرع المنقول
 إلى الأصل المتغاير. فلا بد من تحقيق أحدهما دون الآخر.

فكيف السبيل إلى معرفة الحق من الباطل؟ الجواب:
 الرجوع إلى العقل السليم، والأدلة النقلية الثابتة.

أمَّا العقل فقد دل على بطلان عقيدة القائلين بالوهية
 المسيح وتعدد الآلهة، إذ يستحيل على الله عقلاً أن يرسل
 رسولاً، فيوحي إليه أن الله ثلاثة أقانيم، ثم يرسل رسولاً بعده
 مصدقاً له ويوحي إليه أن الله واحد لا شريك له لم يلد ولم
 يولد، ويفند، ويبطل قول القائلين بتعدد الآلهة، وبأن عيسى ابن
 الله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
 كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ
 تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].



إذا فقد طراً تحريف على رسالة أحد الرسولين ﴿قَدْ مَنَّ
بِرِزْقِكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ
مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

فإذا نظرنا في الأناجيل نجدها قد كتبت بعد رفع المسيح عليه السلام
بوقت طويل: وأنه لم يترك إنجيلاً مكتوباً، فمن نقل الأناجيل
عن المسيح؟

الجواب: ليس هناك نقل ثابتٌ يقينياً كثبوت تواتر القرآن
الكريم، بشهادة بعض النصارى أنفسهم.

والنصارى مختلفون في زمن كتابة الأناجيل، وفي اللغة
التي كتبت بها، وفي شخصية كاتبها. بينما نرى أن القرآن
الكريم قد نقله متواتراً جمع عن جمعٍ يستحيل تواطئهم على
الكذب، وينتهي إلى علمٍ يقين. فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع
منه آلاف من الصحابة القرآن الكريم، ونقلوه إلى التابعين،
وحفظوه في صدورهم، ودونوه من أوله إلى آخر كلمة وآية منه
من فم الرسول نفسه، فكان ثبوته ثبوتاً قطعياً. وهكذا نقل عن
التابعين جيلاً عن جيلٍ إلى أن بلغنا متواتراً، حتى إن القارئ
للقرآن ليخطئ فيردّ عليه العشرات خطأه على الفور؛ لأنّ نسخ

القرآن مُتَيَقَّنَةٌ مَتَّفِقَةٌ، بينما نجد اختلافاً كثيراً في نسخ الأناجيل
بيناً لكل من يقارن بين نسخة وأخرى.

وبشوت صحة القرآن يثبت صدق نبوة محمد ﷺ وعموم
رسالته، إذ القرآن وحي من الله وهو معجزة لا يقدر عليها إنسٌ
ولا جانٌّ، والإيمان بالوحي من الله إلى من يشاء الله من عباده
لا خلاف فيه.

فالرجوع إلى الحق فضيلةٌ، فلو بُذلت محاولات صادقةٌ
في هذا الصدد، وكانت النية خالصةً، مع البعد عن العاطفة
والهوى، وكل ما من شأنه أن يُضعف سلطان العقل أو يشلّه،
كالأمور السياسية مثلاً، لأمكن الوصول إن شاء الله إلى
معرفة الحق.

والمؤيدون لمجرد إجراء حوار بين المسلمين والنصارى،
بحجة التصدي لخطر الإلحاد والإباحية الذي يهدد أتباع
الطائفتين، وأنّ تعاونهما معاً بوصفها أصحاب رسالتين
سماويتين يقلل من حدة هذا الخطر، ويقضي على كل
محاولاته، هم كقابض ريح؛ لاختلافهم حول الأصول،
ومحاولتهم التوفيق بين فروع الأصلين.

وما محاولة التنسيق هذه إلا نوعاً من التّمويه، والمغالطات
أملتها الظُّروف السياسية لن ينتفع منها إلا أعداء الإسلام.

وأما الاحتجاج بفعل النبي ﷺ، وفعل الصّحابة من بعده،
كفعل عمر بن الخطّاب في بيت المقدس، عندما كانوا يجتمعون
بأهل الكتاب من نصارى ويهود، هو احتجاجٌ أبتّر.

فالرّسول ﷺ والصّحابة من بعده؛ قد اجتمعوا فعلاً
بوفود من أهل الكتاب، ولكن ما الذي كان يدور في تلك
الاجتماعات؟ إنّه دعوةٌ إلى الإسلام أوّلاً بالحكمة والموعظة
الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، حول ما التبس على
الوافدين من أمور الدين.

فإن أعمى الهوى بصيرته، انتقل الجدل إلى النقطة الثّانية،
وهي دفع الجزية، مقابل الأمان، داخلين بذلك في ذمّة المسلمين
لا يمّسّهم سوءٌ، ولا تهضم لهم حقوقٌ دينية كانت أم مدنية.

فإن أخذتهم العزة بالإثم، ورأوا في أنفسهم القوّة والمنعة،
وفيما يعتقدون الحقّ والفضيلة، فالقتال هو الدّواء النّاجح
والحدُّ الفاصل بين الوهم والحقيقة.

كقول القائل:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
 فهل أدرجت هذه الأمور الثلاثة في جدول أعمال
 المؤتمرين؟.

ولعل قائلًا يقول: إنَّ منطِقَ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 حينذاك، كان منطِقَ قوَّةٍ، بينما المسلمون اليوم قد اعتراهم
 الضَّعْفُ، وتفرَّقت بهم السُّبُلُ، وأصبحوا يحتاجون إلى أهل
 الكتاب وغيرهم في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من شؤون حياتهم
 الدُّنيا، وإنَّهم لا يملكون من أسباب القوَّة والمنعة كما يملك
 غيرهم. شاؤوا أم أبوا.

والسُّؤال الَّذي يترتب على ذلك: ما الأسباب الَّتِي أدَّت
 إلى ضعف المسلمين وتفرُّق سُبلهم؟ الجواب: هو بعدهم
 عن دينهم، وتنكُّرهم لتعاليمه عن قصد أو عن غير قصدٍ نتيجة
 لتقصيرهم في التَّفَقُّه في أمور الدِّين، فقد جاء في كتابهم العظيم،
 الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قول الحكيم
 الحميد:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ
إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿﴾ [التوبة: ٢٨-٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ
هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هذه الآيات تطالب المسلمين بالعِزَّة، واتِّخاذ وسائل القوَّة،
والمَنعَة، وأن يعتمدوا في رزقهم على خالقهم، وعدم التعاون
مع أعداء الله وأعداء دينه من فجار الصَّليبيين، وملاحدة
الشُّيوعيين الذين اتَّخذهم المسلمون أولياء يُلقون إليهم
بالموَدَّة ويلجؤون إليهم في المشورة والمتابعة.





الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، الذي ختم بمحمد ﷺ
النبوة والرسالات.

أما بعد:

فإن نقاطاً كثيرة مرّت في ثنايا البحث، سأتعرّض لأهمّها في
هذه الخاتمة، إن شاء الله، على شكل فقرات قصيرة؛ لغرض
تمكين القارئ من الربط بين موضوعات البحث بعضها ببعض.

(١) الشك الذي حام ويحوم حول المصادر الأساسية
للديانة النصرانية من ناحية كتابتها، وزمن كتابتها، ولغة تدوينها،
والنسخ الأصلية منها، وذلك بسبب فقدان السند المتصل بين
الكتاب أنفسهم وبين المسيح عليه السلام من ناحية، وبين الكتاب وبين
ما جاء بعدهم من ناحية أخرى، وذلك بشهادة النصارى أنفسهم.

فقد جاء في الرد الثاني على السؤال الثاني من الأسئلة
التي وجّهتها إلى النصارى في بعض جهات من العالم، قول



الكاثوليك: (إنَّ كاتب الإنجيل الأوَّل (وهو متى) مجهول، وإنَّ نسبة الإنجيل الرَّابع (وهو إنجيل يوحنا) إلى يوحنا بن زبدي التلميذ، غامضة. وإنَّ كاتب الرِّسالة الموجهة إلى اليهود مجهول. وإنَّ الرِّسالة الثَّانية التي تنسب إلى القديس بطرس كتبت باسم مستعارٍ). وأيُّ منصف في أيِّ بقعةٍ من الأرض لا يتردَّد في القول: إنَّ مجموعة العهد الجديد يكتنفها الغموض، ويظهر فيها الاضطراب، والتناقض بشكلٍ واضحٍ بين كل نسخة وأخرى، وما ذلك إلا نتيجة تعدد المصادر التي استقت عنها مبادئها، فلو كان المنبع واحداً لتشابهت الأقوال والمعتقدات في النُّسخ جميعها.

ومن المؤكَّد الذي لا شكَّ فيه أنَّ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لم يترك إنجيلاً مكتوباً، ولا وصيةً مدونةً، ويقول النَّصارى بهذا القول أيضاً، كما جاء في ردِّ الكاثوليك على السُّؤال الخامس والعشرين.

(٢) ولا يتردَّد أيُّ منصفٍ في أيِّ مكانٍ من العالم في القول: إنَّ لليهود أبلغ الأثر والتأثير في الدِّين النَّصراني، وفي النَّصارى عموماً، منذ زمن المسيح عليه السلام إلى اليوم، الذي وجد من اليهود

المعاصرين له صنوفاً من المقاومة والعنت، وضروباً من الكيد والغدر؛ لأنه جاءهم بما لا تهوى أنفسهم من كريم الأخلاق والمثاليات، ونادى بالمساواة بين كل المؤمنين، وحرّم الظلم والتّمتع بالملذّات عن طريق الحرام، والمال الحرام، ونددّ بالمتكبرين والمرائين، وأعلن رفضه لكثير من الطّباع والعادات اليهودية التي يمتازون بها في مجتمعاتهم، وينسبونها إلى التّوراة التي حرّفوها.

فتكالبوا عليه يكيدون له ولدينه حتّى تمكّنوا - بزعمهم - من قتله مصلوباً.

ولا يزالون الى اليوم يتوارثون شعور الحقد والكراهية، بوصفه شعوراً دينياً ضدّ النّصارى والنّصرانية، بل ضدّ الأديان جميعها، كابراً عن كابرٍ.

فاليهود لم يتركوا طريقاً فيه إفساد الأديان إلا سلكوه، ولا منهجاً فيه تشكيك المؤمنين إلا تبنّوه، فليس من المستبعد أن يعتنق بعضهم النّصرانية - مثلاً - كما فعل (بولس) وغيره ليفسدها، ويطمس معالمها، ويجعلها تنتقل برمتها من ديانة سماوية ذات جذورٍ تاريخية، إلى طقوس وعادات وثنية غبية،

ترفضها العقول السليمة، وتأبأها الفطرة والمنطق السليم. فقد تمكن من أن يمزج بين الأساطير اليونانية والفارسية، وبين بعض المثاليات في دين النصارى.

فلو وُجدَ السند المتصل إلى المسيح عليه السلام، أو أحد تلاميذه على الأقل لما تمكن أحد من تبديل أو تحريف، كما هو الحال في الأصول الإسلامية التي حفظها الله بحفظه وجعل نقل الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم أمراً اختصت به الأمة الإسلامية.

(٣) يلاحظ كل متتبع مجموعة العهد الجديد أن هناك تركيزاً واضحاً جداً على شخصية المسيح عليه السلام نفسه، وربط كل نعمة أو نقمة، كل حادث أو حديث به مباشرة، وإظهاره بمظهر القادر على كل شيء، المهيمن على كل شيء، المنعم بكل شيء في الدنيا والآخرة. فقد بلغوا به درجة من الغلو والإطراء أخرجته عن صفته البشرية إلى صفة الألوهية، فصرفوا له من العبادة ما لا يكون إلا لله، تعالى الله، وبرئ المسيح عليه السلام مما يقول المشركون.

(٤) والنصارى فوق ذلك يعتقدون أن المسيح عليه السلام مات مصلوباً بفعل اليهود بعد أن بصقوا عليه ولطموه، مقدماً نفسه

- كما يزعمون - فداءً للبشرية عن خطيئة آدم عليه السلام، ولا أدري كيف غفلوا عن قاعدة المسؤولية الفردية، فألقوا على كاهل المسيح عليه السلام مسؤولية خطيئة آدم كاملة؟!

والعقل والنقل يؤكدان ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فلو أنهم ادَّعوا بعث آدم عليه السلام وصلبه تكفيراً عن خطيئته لكان الأمر أهون. أو ادعوا أن المسيح عليه السلام قدَّم صكَّ غفران لآدم عليه السلام رفع به إثم خطيئته لكان الأمر أهون؛ مع استحالة الحالين.

(٥) ليس في وسع أكثر الناس ذكاء ومعرفة أن يستوعب قول النَّصَارَى في عقيدة التثليث، فهي غاية في الإبهام، وقد اعترف النصارى بذلك كما جاء في الرد على السؤال الخامس عشر، قول الكاثوليك: (يستحيل على العقل المخلوق فهم هذا السر). وينسب إلى بعض النصارى، بعد أن كابد وجاهد ليصل إلى فهم عقيدة التثليث، فلم يفلح قوله: أنا مؤمن؛ لأن ذلك لا يتفق والعقل.

ولا يختلف أكثر النَّصَارَى في القول: إن عدم فهم عقيدة التثليث: (ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة، أقانيم ثلاثة كلُّ

أقنوم هو الإله الحقيقي الأزلي، وكلُّ أقنوم هو الإله الواحد، وهو نفس الإله، ولكنَّ الله واحد) هو سرُّ انتشار موجة الإلحاد بين المثقفين منهم الَّذِينَ أعملوا عقولهم، فأدركوا مفاهيم الأشياء وأبعادها، ولكنَّهم ضلُّوا الطَّرِيق الحق.

(٦) الصَّليب الَّذِي يعدّه النَّصاري شعاراً لهم، يركعون أمامه في صلواتهم، ويعلِّقونه على نحورهم، ويرسمون علامته في جباههم، ويرفعونه فوق كنائسهم. ألم يكن من المنطق والمعقول أن يعدّوه شعار ذلٍّ ومعرّة يذكّرهم بغدر اليهود بنبيهم، وما آل إليه من مصيرٍ مؤلمٍ؟.

وكيف لا يعتبرون بهذه القتلة الشنيعة للمسيح عليه السلام - كما يزعمون - فيتخلَّصون من وهم تأليهه، ويؤمنون بشريته فقط، وأنّه معرّض كأيِّ مخلوقٍ آخر للموت والفناء، لا يملك من أمره شيئاً، أكرمه الله بالنبوة والرّسالة!.

(٧) شعيرة العشاء الرّبّاني، وإن كانوا يعدّونها رمزاً لامتزاج النَّصراني بالمسيح عن طريق تعاليمه ومواعظه، فهي ما لا تطمئنُّ النفس إليه، ولا تركز إلى صحّتها، خاصة أن من مقوماتها الخمر أمُّ الخبائث. فهل من المعقول أن يرمز إلى دم

النبي الطاهر بالخمرة النجسة، التي هي وسيلة الشيطان لإيقاع العداوة والبغضاء بين بني البشر؟.

(٨) نلاحظ في تاريخ النصارى أن المجامع التي كان يعقدها قساوستهم و رهبانهم، كلما نادى أحد النصارى النابهون العقلاء بالعودة إلى مبدأ التوحيد في الدين النصراني، أو كلما نادى أحدهم بإدخال إصلاحات في تشريعات الكنيسة وأنظمتها، سبب رئيس في تمزيق النصرانية إلى شيع وأحزاب. ومن أخطر تلك المجامع مجمع (نيقية) الذي عقد سنة ٣٢٥م، تحت رئاسة الإمبراطور (قسطنطين) الوثني، ففي هذا المجمع أُقرت العقيدة الوثنية عقيدة النصارى، واتخذت صفة رسمية.

وليس أدل على فساد هذه المجامع، وما يثار فيها، من انقسام المجتمعين بعضهم على بعض، ولعن بعضهم بعضاً، ومحاولة نيل بعضهم من بعض، وفي ذلك دليل واضح على فساد عقائدهم، وما تنطوي عليهم أنفسهم من حقد وكرهية للآخرين، ودليل على تمكن الهوى من أنفسهم فصيرهم عمياناً لا يرون الحق حقاً ولا الباطل باطلاً. وصدق الله، حيث يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

(٩) وفي محاولة يائسة من كبار النصارى لإنقاذ سمعتهم، والمحافضة على البقية الباقية من أتباعهم، عمدوا إلى البذل السخي مما يجمعونه من أموال التبرعات، في سبيل تشكيك أكبر عدد ممكن من الناس، خاصة من أتباع الديانات الأخرى، فكونوا جماعات منهم أطلقوا عليهم اسم المبشرين.

انتشر هؤلاء المبشرين في أرجاء المعمورة، خاصة في البلاد الفقيرة، والمجتمعات المتخلفة، فأنشؤوا المستشفيات وقدموا الطعام، وفتحوا المدارس والجامعات التبشيرية، ويقدمون إلى الأسرة الفقيرة الكساء والرعاية الاجتماعية، كل ذلك في سبيل إخراج الناس عن دينهم، وجعلهم يتخبطون في متاهات من المعتقدات الباطلة، تفضي بهم إلى الشك المطلق في الأديان جميعها، فيتحولون إلى ملاحدة إباحيين. وصدق الله، حيث يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٦)

لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ [الأنفال: ٣٦-٣٧].

(١٠) عقيدة المسلمين في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام
 تتلخص في قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ
 وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ
 أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا
 لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
 فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]. وهو عبد الله ورسوله
 إلى بني إسرائيل، وأمه صديقة، كانا يأكلا الطعام، وهو خامس
 أولي العزم من الرسل، عليهم صلوات الله وسلامه؛ جعله الله
 وأمه في حملة، وخلقه، وحديثه في المهد، آية للناس دالة على
 كمال قدرة الله تعالى.

حاول اليهود قتله فرفعه الله إليه سليماً معافى، وسينزل
 آخر الزمان علماً للساعة، فيقتل الدجال، ويكسر الصليب، ولا
 يقبل من أحد إلا الإسلام.

والإيمان بالرسول جميعاً دون التفريق بينهم، الذي هو من
 صلب عقيدة المسلمين.

ويؤمن المسلمون بالإنجيل كتاباً من الله، أنزله على عبده
 ورسوله عيسى ابن مريم، فيه هدى ونور، ومصداقاً لما بين

يديه من التّوراة كتاب موسى عليه السلام. غير أنّهما تعرّضا للتّحريف والتّبديل من قبل اليهود والنّصارى، فأصبحا لا يركن إليهما، وثارَت بينهما زوبعة شديدة من الشّك وعدم الثّقة. وما إيمان النصارى بما جاء في العهد القديم، كتاب اليهود بعد تحريفه، إلا دليل على خضوعهم التام، وانسياقهم الأعمى خلف اليهود، واعتبار أنّ ذلك من الدّين.

(١١) فكرة التّقريب بين الإسلام والمسيحية، للوقوف معاً ضدّ الإلحاد والإباحية المتمثّلين في الشّيعوية، على شكل مؤتمرات وندوات علمية، فكرةٌ تتّسم بالمكر والدّهاء من أعداء الإسلام، ليس فيها مصلحةٌ للإسلام والمسلمين.

ولن يصل المجتمعون مهما تعدّدت اجتماعاتهم، وكثرت موضوعات بحوثهم الجانبية، إلى نقطة اتّفاقٍ، ذلك لأنّ الأصل الأصيل للدّيانتين - وهو عقيدة التّوحيد - على طرفي نقيض، ولن يجتمع الضّدّان، وليس للحقّ وجهان فلن يقوم أحدهما إلا على أنقاض الآخر.

ويجدر بالمسلم الغيور أن لا يتساهل في أمور دينه، ويستسلم تحت وطأة الحاجة لأعداء دينه، فالموت أشرف له

من أن يجعل من دينه مطيةً لتحقيق أغراضٍ دنيوية مآلها إلى الزوال، وعليه الرجوع بصدقٍ وأمانةٍ إلى ربّه، من خلال تفقُّهه في أمور دينه، والحرص على تنفيذ كلِّ ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، ورأس ذلك كله الإخلاص في العبادة والعمل. . . . والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين.

كان الفراغ من كتابتها عصر يوم الخميس التاسع عشر من شهر المحرم عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، الموافق للتاسع والعشرين من شهر كانون الأوّل (ديسمبر) عام سبعة وسبعين وتسعمائة وألف ميلادية.



مراجع البحث

(أ)

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. المطبعة الكاثوليكية. بيروت سنة ١٩٦٤ م.
- أبو السعود، تفسير: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا. الناشر مكتبة الرياض الحديثة.
- إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ. دار الأندلس للطباعة والنشر. بيروت
- أحمد محمد شاكر. عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير. دار المعارف بمصر.
- أحمد بن حنبل. المسند شرح أحمد محمد شاكر. الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر.
- الأبي. شرح مسلم. الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ هـ. مطبعة السعادة.

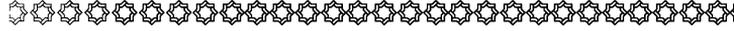
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري سنة ١٣٨٠ هـ. المكتبة السلفية.
- ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث الأثر. طبعة عيسى الحلبي.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تهذيب التهذيب. الطبعة الأولى مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية. حيدر آباد الهند.
- ابن هشام. السيرة النبوية. تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ شلبي. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. الطبعة الأولى. مؤسسه الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع. القاهرة.
- أحمد شلبي مقارنة الأديان (اليهودية، المسيحية، الإسلام، وأديان الهند الكبرى) الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م.

- الأب أي. بي. برانائيس. فضح التَّلْمُود (تعاليم الحاخامين السُّرية) إعداد زهدي الفاتح سلسلة اليهود والعالم رقم ١١. الطَّبعة الأولى سنة ١٣٩٤ هـ دار النَّفَّائس، بيروت.
- ابن تيمية. الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح. أشرف على طبعه علي صبح المدني. بمطبعة المدني بالقاهرة.
- إسماعيل بن كثير القرشي. البداية والنهاية. الطَّبعة الأولى.
- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنَّحل. الطَّبعة الثانية. دار المعارف للطَّباعة والنَّشر. بيروت. لبنان.
- أبو حامد الغزالي. الرَّد الجميل. تحقيق عبدالعزيز عبدالحق حلمي. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة ١٣٩٤ هـ.

(ب)

- البيهقي دلائل النُّبوة. تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ.
- بترسن سميث. حياة يسوع (سيرة المسيح الشعبية) تعريب حبيب سعيد. صدر عن دار الشرق والغرب بمصر وفلسطين.





- بولس إلياس اليسوعي. يسوع المسيح، شخصيته، تعاليمه، الطبعة الثانية مشورات المطبعة الكاثوليكية. بيروت. توزيع المكتبة الشرقية ساحة النجمة، سنة ١٩٦٦ م.

(ج)

- جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الشيوطي. لباب النقول في أسباب النزول. الطبعة الثانية. مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. لسان العرب.
- الجاحظ. ثلاث رسائل. تحقيق فنكل. نشر المطبعة السلفية بالقاهرة، سنة ١٣٤٤ هـ.

(ح)

- حبيب سعيد. عشرون قرناً في موكب التاريخ. صدر عن دار الشرق والغرب بمصر وفلسطين.
- الحداد، الأستاذ الحداد (هيئة علمية تحت اسم مستعار) القرآن والكتاب. القسم الثاني. أطوار الدعوة القرآنية.



(ز)

- زكي شنودة المحامي. تاريخ الأُمَّة القبطية. الطبعة الثانية، سنة ١٩٦٢م مطابع البلاغ بالقاهرة.

(س، ش)

- سهيل ديب. التوراة تاريخها وغاياتها الطبعة الأولى. سنة ١٣٩٢هـ. سلسلة اليهود والعالم رقم ٥. دار النفائس. بيروت.
- شارل جنبيز. المسيحية نشأتها وتطورها. تعريب عبدالحليم محمود. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

(ص)

- صموئيل حبيب. أسرار السعادة. دار الثقافة المسيحية بمصر.

(ع)

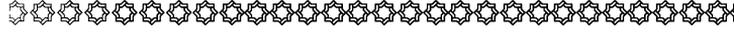
- عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء. الطبعة الثالثة. مكتبة وهبة.
- عبد الرحمن السُّهيلي. الرّوض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام تحقيق عبدالرحمن الوكيل. دار الكتب الحديثة بمصر.

- علي بن برهان الدين الحلبي. السيرة الحلبية. المكتبة الإسلامية.
- عبدالكريم الخطيب. المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل. الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥ هـ. الناشر دار الكتب الحديثة.
- عباس محمود العقاد. عقائد المفكرين في القرن العشرين. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.
- عبدالحليم محمود. أوروبا والإسلام. مطابع الأهرام التجارية.

(م)

- المباركفوري، تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي. الطبعة الثانية. الناشر محمد عبدالمحسن الكتبي. المدينة المنورة.
- محمد فتحي عثمان. مع المسيح في الأناجيل الأربعة. الطبعة الثانية. الدار القومية للطباعة والنشر.
- محمد فؤاد عبد الباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار مطابع الشعب.
- محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. الطبعة الثالثة. دار الكتب الكاتب العربي للطباعة والنشر.

- محمّد أبو زهرة. محاضرات في النّصرانية. الطبعة الثالثة. سنة ١٣٨٥ هـ. مطبعة المدني.
- محمّد بن الشّريف. الأديان في القرآن. الطّبعة الثّانية. سنة ١٩٧٢ م. دار المعارف بمصر.
- محمّد جابر عبدالعال الحيني. في العقائد والأديان (الدّيانات الكبرى المعاصرة) الهيئة المصرية العامة للتّأليف والنّشر. سنة ١٩٧١ م.
- محمّد الغزالي. التّعصّب والتّسامح بين المسيحية والإسلام. الطّبعة الثّالثة، سنة ١٣٨٤ هـ. دار الكتب الحديثة بمصر.
- محمّد أبو زهرة. أصول الفقه. دار الفكر العربي.
- متولّي يوسف شلبي. (مندوب الأزهر في إندونيسيا) أضواء على المسيحية. الطّبعة الثّانية. الدار الكويتية.
- منصور حسين عبدالعزيز. دعوة الحق أو (الحقيقة بين الإسلام والمسيحية)، الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٢ م. مكتبة علاء الدّين بالإسكندرية.



(و)

- ول ديورانت. قصّة الحضارة. تعريف محمّد بدران. اختيار الإدارة الثقافية في جامعة الدّول العربية.



ملحق

أولاً: فهرسة مختصرة للأربعة.

ثانياً: صور للرسائل التي وردت من النصارى.





فهرسة مختصرة

لما جاء في الأناجيل الأربعة الرسمية لدر الناصره (مساهمة للباحثين)

أولاً: إنجيل متى

- الفصل الأول: فيه: نسب عيسى ابن مريم عليها السلام. وكيفية مولده أو البشارة بمولده.
- الفصل الثاني: وفيه: مكان مولده، وزمانه، واضطراب هيرودس لذلك وقصته مع المجوس. هروب يوسف بمريم وعيسى إلى مصر. قتل هيرودس لصبيان بيت لحم. عودة يوسف ومريم وعيسى إلى الناصرة بعد هلاك هيرودس.
- الفصل الثالث: وفيه: بشارة يوحنا المعمدان بقرب ملكوت السموات بمجيء عيسى. صفة لباس ومأكل يوحنا المعمدان. تعميد يوحنا لأهل أورشليم. مقتله للفريسيين والصدوقيين. تعميده المسيح.

- الفصل الرَّابِع: فيه: التَّجربة التِّي تعرَّض لها المسيح مع إبليس اللّعين، بدء المسيح في دعوته. اختياره لبطرس وأندراوس ويعقوب ويوحنا بن زبدي (التلاميذ).
- الفصل الخامس، والسادس، والسابع: فيها: مواعظ المسيح إلى تلاميذه.
- الفصل الثامن: فيه معجزات المسيح.
- الفصل التاسع: وفيه: مشادة بين المسيح وبين الكتبة من اليهود. انضمام متى إليه. معجزات المسيح.
- الفصل العاشر: وفيه: وصايا المسيح لتلاميذه وأسمائهم.
- الفصل الحادي عشر: وفيه: تحقُّق يوحنا المعمدان عن المسيح. حديث عيسى عن يوحنا المعمدان. قول عيسى: إن أردتم أن تقبلوا فهو إيليا المزمع أن يأتي. وقوله: وجاء ابن البشر....
- الفصل الثاني عشر: وفيه: مخالفته لعادات الفريسيين، والمشادة بينهما تأمرهم عليه لكي يقتلوه. فضحه لأخلاقهم. رفضه لقاء أمه مريم.
- الفصل الثالث عشر: وفيه: حديث المسيح بالأمثال، وتفسيره لذلك. عودته إلى وطنه الناصرة واحتقار قومه له.

• الفصل الرَّابِع عشر: وفيه: سماع هيرودس بخبر يسوع وظنُّه يوحنا المعمدان قد قام من الأموات. قصة قتل هيرودس ليوحنا. سماع يسوع بذلك. قصة الأرغفة والسَّمَكِتين. مشيه على البحر.

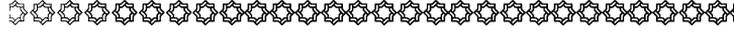
• الفصل الخامس عشر: فيه: احتكاك الكتبة والفريسيين بالمسيح وثورته عليهم. وصف المسيح للتلاميذ. قصة المرأة الكنعانية. قول المسيح: لم أرسل إلا إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل. قصة الأرغفة السبعة والسمة.

• الفصل السَّادس عشر: فيه: تجربة الفريسيين والصَّدوقيين للمسيح. تحذير المسيح تلاميذه منهم. تنبؤ المسيح بتألمه وقلته وقيامه. زجر بطرس لعيسى.

• الفصل السَّابع عشر: وفيه: تجلِّي المسيح أمام بعض تلاميذه. ورؤيتهم موسى وإيليا. تنبؤ المسيح أيضاً بمقتله وقيامه. دفع المسيح للجزية.

• الفصل الثَّامن عشر: وفيه: مواعظ وإرشادات لتلاميذ المسيح.

• الفصل التَّاسع عشر: وفيه: انتقال المسيح من الجليل إلى تخوم اليهودية، احتكاكه مع الفريسيين. قول المسيح: الصَّالح واحدٌ هو الله.



• الفصل العشرون: وفيه: مثال الرَّجُل صاحب الكَرَمِ والعمَّال. تنبؤُ المسيح بأنَّ ابنَ البشر سيسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت.

• الفصل الحادي والعشرون: وفيه: دخول المسيح إلى أورشليم على أتان وجحش معاً. دخول المسيح الهيكل وثورته على الصيارفة والباعة، وقلبه لموائدهم. احتكاك المسيح بالكهنة والكتبة، وتهديده إياهم، ومحاولتهم القبض عليه لولا الجموع معه.

• الفصل الثاني والعشرون: وفيه: حديث المسيح بالأمثال. محاولة الفريسيين اصطياد المسيح بكلمة ضدَّ قيصر، وقول المسيح: أوفوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. موقف المسيح مع الصدوقيين الذين لا يقولون بيوم القيامة. اتفاق الصدوقيين والفريسيين معاً ضدَّ المسيح.

• الفصل الثالث والعشرون: وفيه: تحذير المسيح لتلاميذه من الكتبة والفريسيين. تهديد المسيح وتوعده للكتبة والفريسيين. شهادة المسيح بأنَّ اليهود هم الذين قتلوا زكريا عليه السلام. قول المسيح: يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين.



- الفصل الرَّابِع والعشرون: فيه: خروج المسيح من الهيكل وتنبؤُه بهدمه. حديث المسيح عن مستقبل النَّصرانية. حديث المسيح عن علامات الساعة.
- الفصل الخامس والعشرون: وفيه: تشبيه المسيح ملكوت السَّمَاوَات بعشر عذارى خرجن للقاء العروسين وقصَّة الرَّجُل المسافر وعبيده.
- الفصل السَّادس والعشرون: وفيه: قبض الكتبة ورؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على المسيح، وموقف يهوذا الإسخريوطي معهم. محاكمة المسيح أمام رئيس الكهنة. إنكار بطرس معرفته بالمسيح.
- الفصل السَّابع والعشرون: فيه: محاكمة المسيح أمام الوالي بيلاطس البيطي. انتحار يهوذا الإسخريوطي. تبرُّء بيلاطس من دم المسيح. قول اليهود من الشَّعب: دمه علينا وعلى بنينا. بصق وضرب وسخرية اليهود من المسيح. قصة صلب المسيح. موت المسيح ودفنه. طلب اليهود من بيلاطس حرساً يحرسون القبر، وقولهم: لئلا يأتي تلاميذه ويسرقوه ويقولوا للشَّعب: إنَّه قد قام من الأموات.
- الفصل الثامن والعشرون: فيه: قصة قيامة المسيح.

ثانياً: إنجيل مرقس

- الفصل الأول: فيه: الحديث عن يوحنا المعمدان، وبشارته بعيسى. مجيء المسيح إلى الأردن وتعميد يوحنا له. اختيار المسيح لبعض تلاميذه. الحديث عن بعض معجزات المسيح. تجربة المسيح مع إبليس.
- الفصل الثاني: فيه: ذبوع خبر المسيح في الجليل كله. احتكاك المسيح بالكتبة والفريسيين.
- الفصل الثالث: فيه: الحديث عن بعض معجزات المسيح. تأمر الفريسيين والهيروديسيين على المسيح ليهلكوه.
- الفصل الرابع: فيه: مواعظ وإرشادات بالأمثال من المسيح لتلاميذه.
- الفصل الخامس: فيه: الحديث عن بعض معجزات المسيح.
- الفصل السادس: فيه: عودة المسيح لوطنه وتعليمه هناك، واحتقار أهل وطنه له. بعثه وإرشاداته للرسول. هيرودس يسمع بالمسيح ويظنه يوحنا المعمدان قد قام من الأموات. قصة قتل هيرودس ليوحنا المعمدان. معجزة تكثير المسيح للطعام، ومشيه على البحر بقدميه.

• الفصل السَّابع: فيه: مخالفة المسيح لبعض عادات اليهود، وتبكيته لهم.

• الفصل الثَّامن: فيه: المسيح معجزة تكثير الطَّعام أيضاً. وصية المسيح لتلاميذه أن يحذروا الفريسيين. إخبار المسيح عن مصيره بقوله: إنَّه ينبغي لابن البشر أن يتألم... ويقتل ويقوم بعد ثلاثة أيام. قول المسيح لبطرس: اذهب خلفي يا شيطان.

• الفصل التَّاسع: فيه: تجلِّي المسيح أمام بعض تلاميذه. فشل التَّلاميذ في إخراج الأرواح الشَّريرة لقلَّة صلاتهم وصومهم، كما قال المسيح لهم.

• الفصل العاشر: فيه: احتكاك المسيح بالفريسيين. قول المسيح في الزواج والطلاق. عطف المسيح على الصِّبيان. حثُّ المسيح على الزُّهد في الدُّنيا، تنبُّؤ المسيح عن مصيره. إبراء المسيح للأعمى.

• الفصل الحادي عشر: فيه: دخول المسيح أورشليم على جحش. دخول المسيح إلى الهيكل وثورته على الباعة والصَّيارفة. تذرُّم رؤساء الكهنة والكتبة من تصرُّفات المسيح. ومحاولتهم إهلاكه، وما جرى بينهما من حوار.



- الفصل الثاني عشر: فيه: حديث المسيح بالأمثال. محاولة اليهود اقتناص المسيح بكلمة يقولها ضدَّ قيصر. حديث المسيح مع الصّدوقيين المكذبين يوم القيامة. تعليم المسيح في الهيكل.
- الفصل الثالث عشر: فيه: تنبؤ المسيح بهدم الهيكل. حديث المسيح لتلاميذه عن مصيرهم بعده. حديث المسيح عن يوم النُّشور.
- الفصل الرَّابِع عشر: فيه: مؤامرة اليهود للقبض على المسيح. محاكمة المسيح أمام رئيس الكهنة. إنكار القديس بطرس للمسيح.
- الفصل الخامس عشر: فيه: محاكمة المسيح أمام بيلاطس. صلب المسيح. قول المسيح قبل أن يموت: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟. دفن المسيح.
- الفصل السّادس عشر: فيه: قيامة المسيح.

ثالثاً: إنجيل لوقا

- الفصل الأوّل: فيه: الحديث عن زكريا وزوجه. بشارة زكريا بيوحنا الحديث عن مريم العذراء. بشرى مريم بالمسيح. لقاء زوج زكريا بمريم. مولد يوحنا المعمدان.



• الفصل الثاني: فيه: رحيل مريم و (خطيبتها) يوسف إلى بيت لحم وهي حُبلى.

مولد المسيح، وتسميته يسوع، ترعرع المسيح.

• الفصل الثالث: فيه: الحديث عن يوحنا المعمدان، وبشارته بالمسيح. نسب المسيح.

• الفصل الرابع: فيه: تجربة المسيح من قبل إبليس اللعين. بعض معجزات المسيح.

• الفصل الخامس: فيه: اختيار المسيح لبعض تلاميذه. بعض معجزات المسيح. تذمُّر الفريسيين والكتبة من أفعال المسيح.

• الفصل السادس: فيه: مخالفة المسيح لبعض شرائع اليهود. أسماء التلاميذ الاثني عشر. مواعظ وإرشادات من المسيح لتلاميذه.

• الفصل السابع: فيه: إحياء المسيح للميت. حديث المسيح عن يوحنا. المسيح والزانية.

• الفصل الثامن: فيه: جولة المسيح وتلاميذه في المدن والقرى للكراسة. حديث المسيح بالأمثال. رفض المسيح لقاء أمه. بعض معجزات المسيح.

- الفصل التاسع: فيه: مواعظ وإرشادات من المسيح لتلاميذه. معجزة تكثير الطَّعام. تجلِّي المسيح أمام بعض تلاميذه.
- الفصل العاشر: فيه: المسيح يعظ ويرشد تلاميذه.
- الفصل الحادي عشر: فيه: تعليم المسيح الصَّلاة لتلاميذه. مواعظ وإرشادات المسيح لتلاميذه. تهجُّم المسيح على اليهود واتِّهامهم بقتل الأنبياء.
- الفصل الثاني عشر: فيه: المسيح يحذِّر أتباعه من الفريسيين والكتبة. المسيح يعظ ويرشد تلاميذه.
- الفصل الثالث عشر: فيه: المسيح يُرغِّب في التَّوبة. المسيح يشفي المرضى يوم السَّبْت، ممَّا أغاظ اليهود. المسيح يصف اليهود بالرِّياء. المسيح يتحدَّث عن ملكوت السَّمَاوات. حديث المسيح عن الثَّواب والعقاب يوم القيامة.
- الفصل الرَّابِع عشر: فيه: المسيح يحاج الفريسيين. المسيح يتَّهم اليهود بالكِبْر. شروط المسيح في تلاميذه.
- الفصل الخامس عشر: فيه: موقف الفريسيين والكتبة من جلوس المسيح مع العشارين والخطاة، وتبرير المسيح لذلك.

- الفصل السادس عشر: فيه: المسيح يحثُّ على الأمانة. المسيح يتحدث عن الحساب والجزاء.
- الفصل السابع عشر: فيه: المسيح يعظ ويرشد تلاميذه. المسيح يبرئ البرص.
- الفصل الثامن عشر: فيه: المسيح يحثُّ على كثرة الصلاة، والتواضع، والزُّهد في الدُّنيا. المسيح يتنبأ بمصيره.
- الفصل التاسع عشر: فيه: المسيح يدخل أريحا. المسيح يدخل أورشليم على جحش، ويبكي عند رؤيتها، ويتنبأ بدمارها. محاولة اليهود القبض على المسيح لولا تعلق الشعب به.
- الفصل العشرون: فيه: المسيح يحاج اليهود في الهيكل. محاولة اليهود اصطياده بكلمة يقولها ضدَّ قيصر. المسيح يتحدث عن يوم القيامة.
- الفصل الحادي والعشرون: فيه: المسيح يتنبأ بدمار الهيكل. المسيح يتحدث عن مصير تلاميذه من بعده، ويبيِّن لهم ما يفعلون.
- الفصل الثاني والعشرون: فيه: مؤامرة اليهود على قتل المسيح، ومساعدة يهوذا الإسخريوطي لهم. المسيح يحضر عيد



الفصح مع تلاميذه. القبض على المسيح. إنكار بطرس معرفة المسيح.

• الفصل الثالث والعشرون: فيه: محاكمة بيلاطس للمسيح. صلب اليهود للمسيح.

• الفصل الرابع والعشرون: فيه: قيامة المسيح من بين الأموات.

رابعاً: إنجيل يوحنا

• الفصل الأوّل: وفيه: الحديث عن حقيقة المسيح. يوحنا يبشّر بالمسيح. يوحنا يعمد المسيح. المسيح يختار بعض تلاميذه.

• الفصل الثّاني: فيه: معجزة تحويل الماء خمراً. ثورة المسيح في الهيكل على الباعة والصّيارفة.

• الفصل الثّالث: فيه: مناظرة بين رئيس اليهود والمسيح. مناظرة بين تلاميذ يوحنا واليهود.

• الفصل الرّابع: وفيه: المسيح يتعب من السّير. المسيح والمرأة السّامرية. معجزة إشفاء المرضى.

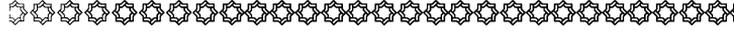


• الفصل الخامس: وفيه: المسيح يخالف شعائر اليهود، ويشفي مريضاً يوم السَّبْت. تذرُّ اليهود من المسيح وعزمهم على قتله، وحديث المسيح حول حقيقته.

• الفصل السادس: وفيه: معجزة تكثير الطَّعام. المسيح لا يرغب في المُلْك. المسيح ومعجزة السَّير على البحر. المسيح يدعو اليهود إلى الإيمان به، وقوله لهم: أنا خبز الحياة... من يأكل من جسدي ويشرب دمي فله الحياة الأبدية. تذرُّ التلاميذ من كلام المسيح، وترَكه أكثرهم.

• الفصل السَّابع: وفيه: اليهود يحاولون قتل المسيح. المسيح يُعَلِّم في الهيكل ويفضح اليهود. اختلاف اليهود حول حقيقة المسيح.

• الفصل الثَّامن: وفيه: المسيح والزَّانية. الفريسيون يعدُّون شهادة المسيح لنفسه باطلة. المسيح يخبر اليهود بحقيقته ويقول: أنا إنسان قد كلَّمتكم بالحقِّ الَّذي سمعته من الله. اليهود يتَّهمون العذراء بالفاحشة في قولهم للمسيح: نحن لسنا مولودين من زنى. المسيح يقول لليهود. أنتم من أبِّ هو إبليس.



- الفصل التاسع: وفيه: معجزة إبراء الأعمى.
- الفصل العاشر: وفيه: مواعظ المسيح وإرشاداته لتلاميذه. اليهود يتهمون المسيح بالجنون. المسيح يقول لليهود: لستم من خرافي. اليهود يتهمون المسيح بالتجديف.
- الفصل الحادي عشر: وفيه: معجزة إحياء الموتى. خوف اليهود من تغلغل نفوذ المسيح. مؤامرة اليهود على قتل المسيح.
- الفصل الثاني عشر: وفيه: دخول المسيح أورشليم على جحش، واستقبال الناس له. قول المسيح: الآن نفسي قد اضطربت. حديث المسيح عن مصيره.
- الفصل الثالث عشر: وفيه: المسيح يغسل أرجل تلاميذه. المسيح يكشف خيانة يهوذا الإسخريوطي، وتواطئه مع اليهود ضده.
- الفصل الرابع عشر: وفيه تذبذب إيمان التلاميذ بالمسيح. المسيح يودّع تلاميذه الوداع الأخير.
- الفصل الخامس عشر: وفيه: وصايا المسيح لتلاميذه.



• الفصل السادس عشر: وفيه: المسيح يتحدث عن مصير تلاميذه بعده.

• الفصل السابع عشر: وفيه: المسيح يناجي ربّه.

• الفصل الثامن عشر: وفيه: اليهود يقبضون على المسيح بواسطة يهوذا. محاكمة المسيح أمام رئيس الكهنة. بطرس ينكر معرفته بالمسيح. بيلاطس يحاكم المسيح.

• الفصل التاسع عشر: وفيه: بيلاطس يجلد المسيح ويسلمه لليهود. محاولة بيلاطس إطلاق سراح المسيح لولا قول اليهود: إن أنت أطلقتَه فلست محبّاً لقيصر «قول اليهود: ليس لنا ملكٌ غير قيصر». صلب المسيح أمام أمّه. قول المسيح: أنا عطشان. موت المسيح ودفنه.

• الفصل العشرون: وفيه: قيامة المسيح. رؤية التلاميذ للمسيح.

• الفصل الحادي والعشرون: وفيه: ظهور المسيح أمام تلاميذه للمرة الثالثة بعد قيامه. وصية المسيح لبطرس أن يرعى خرافه وغنمه.



صور من الرسائل التي وردت من النصارى



P.O. BOX No. 64 • 150, ROUTE DE FERNEY • 1211 GENEVA 20 • TELEPHONE: (022) 113490 • TELEX: 21423 OIK CH • CABLE: OIKOUMENE GENEV

WORLD COUNCIL OF CHURCHES

PROGRAMME UNIT ON FAITH AND WITNESS

Dialogue with People of Living Faiths and Ideologies

November 19, 1976

JBT/lw

Mohammad bin Saad bin Abdul Raman
Al Asisiyah-
Behind Asisiyah Secondary School
Mecca Al Mokarana
Saudi Arabia

Dear Mr. Mohammed bin Saad bin Abdul Rahman,

I was very interested to receive information about your resource project. I am always happy to know of Muslims who are undertaking a serious study of Christianity, just as I am constantly encouraging Christians to undertake a sympathetic study of Islam.

Please accept the enclosed books as a token of my encouragement. If you read carefully the books of Bishop Brown you will find answers to almost all your questions. But if you still have difficulties with some of these questions, please do write back.

With warm good wishes,

Yours fraternally,

Dr. John B. Taylor
dictated but not personally
signed due to absence

Encl.





DALHOUSIE UNIVERSITY

HALIFAX, NOVA SCOTIA

DEPARTMENT OF RELIGION

CANADA

January 10, 1977

H.H. Prince Muḥammad ibn Sa'd ibn 'Abd al-Raḥmān
 Sharia' College
 King Abdulaziz University
 Mecca, Su'ūdī Arabia

Your Highness:

During the autumn there arrived on my desk (forwarded from the Institute of Islamic Studies at McGill University, of which I was formerly Director) a note enclosing a questionnaire on questions of Christian theology, in relation to Islamic thought. I found the questions extraordinarily interesting, and deserving careful answers. Answers could not be, however, straightforward, as is always the case in any attempt to correlate thinking between two different cultural outlooks, and especially between two systems of thought so fundamental as the Islamic and the Christian. It is one of the fundamental challenges in the comparative study of culture, and especially in the comparative study of religion, to attempt to construct statements that will be valid simultaneously in two or more conceptual systems. Every proposition has meaning only within some intellectual framework; so that when two such frameworks are considered together, the only possibilities seem to be three: to construct a statement that will be meaningful and valid only within one of them, or within the other, or else within some third framework. If this third framework is outside both the other two, this is no advance, and may be worse. To construct a new framework that will comprehend both the preceding systems is not easy.

It so happens that this past term I have been exceptionally under pressure -- partly because in addition to my duties at Dalhousie I had a number of outside responsibilities, including a fortnightly visit to Harvard where I was conducting a seminar. The result was that I did not find the leisure requisite to giving your questionnaire the careful effort that would be required to constitute and in any sense adequate answer. I trust that you will forgive my slowness.

This coming term I expect to be less distracted. The rest of this month, and the early part of February, are already committed, but very soon thereafter I will turn to your query and endeavour to respond. Please accept this interim reply as an indication that, far from ignoring your request, I have taken it sufficiently seriously that I have felt

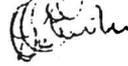


H.H. Prince Muhammad ibn Sa'd ibn 'Abd al-Rahmān

January 10, 1977

that it deserved a more careful answer than I have yet found time to give it.

Sincerely, yours,



Wilfred Cantwell Smith
McCulloch Professor of Religion
Chairman

WCS:js





SECRETARIATUS PRO NON CHRISTIANIS

E Civitate Vaticana, die 19 October 1976

Prot. N. 6571
 (In responsione fiat mentio huius numeri)

Dear Sir,

I have the pleasure to inform you that your kind letter of last September requesting some information about the origin and the content of Christian Faith has been submitted to the attention of the Holy Father, Paul VI.

His Holiness entrusted me, in my capacity of Vice-President of the Vatican Commission for religious relations with Moslems, to give an answer to your questions.

I am delighted for this occasion of dialogue at scientific level.

First of all I have written for you a short paper about the origins of the Gospels. Please read it and give your comments (Encl. 1).

Secondly, for your general information, I take the liberty to send you a brief presentation of the faith of the Catholic Church (Encl. 2).

In the next weeks I hope to be in condition to send you a book written in arabic language, giving basic information on the person of Jesus, his work, his resurrection and Divinity.

Dear friend, I am very happy for this occasion of sharing with you what I know about Christianity. I will be very pleased to know something more about Islam, which is very appreciated and respected by the Catholic Church. Besides I would be very happy to welcome you in Rome and make your personal acquaintance.

God bless you and our common efforts to reconcile men with God and with themselves in the name of God.

Yours Sincerely

Pietro Rossaro

Mr. Mohammad bin Saad bin Abdul Rahman
 Al-Aziziyah Behind Aziziyah Secondary School
 Mecca Al Mokarama
 Saudi Arabia

fcc.





CARDINAL'S RESIDENCE
2101 COMMONWEALTH AVENUE
BRIGHTON, MASSACHUSETTS 02135

December 11, 1976

His Highness
Prince Mohamed Bin Saad Bin Abdulrahman
Sharia' College
King Abdulaziz University
Mecca, Saudi Arabia

Your Highness:

Through the kindness of Ghazi Abdul-Jawad, Assistant Educational Attaché of the Saudi Arabian Educational Mission to the United States and Canada, I have received the questionnaire you prepared in connection with your master's degree thesis. With this letter, I am happy to return to you some answers to the questions which I trust will be helpful.

With kindest personal regards and a hearty blessing, I remain

Devotedly yours in Our Lord,

+ Humbert Cardinal Medina

Archbishop of Boston





INSTITUT PROTESTANT DE THÉOLOGIE

PARIS, LE

3 juin 77

Faculté Libre de Théologie Protestante de Paris

83, boulevard Arago, 75014 PARIS

Téléphone : 331-61-84

Monsieur,

Vous allez recevoir aujourd'hui les réponses à vos 28 questions. C'est le professeur DUMAS qui a accepté de prendre le temps de me les dicter. De novembre à juin, cela fait un gros retard, mais vous conviendrez que cela demandait un petit effort.

Nous sommes contents si cet échange tisse un lien entre l'Arabie et la Faculté de Théologie de Paris. Ecrivez-nous à l'occasion pour nous dire comment se passe votre thèse et peut-être pourrez-vous même nous en envoyer un exemplaire.

Veuillez accepter l'assurance de toute mon amitié.

La Secrétaire
Jacqueline Fischer

J. Fischer



The First Church of Christ, Scientist in Boston
Massachusetts

Manager, Committees on Publication

September 23, 1976

H.H. Prince Mohammad bin Saad bin Abdul Rahman
Sharia' College
King Abdul Aziz University
Mecca Al Mukarama, Saudi Arabia

Sir:

The editor of The Christian Science Monitor forwarded your research questionnaire to this office, which serves as a source of public information on our denomination.

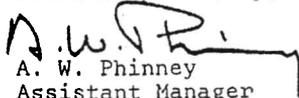
We are glad to enclose a pamphlet, "Facts about Christian Science," which contains a brief summary of our religious teachings. The pamphlet deals specifically with a number of the questions you raise.

Rather than elaborate on each of your questions individually, we are sending by separate mail a copy of the Christian Science textbook, Science and Health with Key to the Scriptures by Mary Baker Eddy. This book is the basic statement of our teachings, and it provides a much more comprehensive view of Christian Science and of its answers to many of your questions than would be possible in a letter. If you would be interested in having other source material as well, please let us know.

Christian Science is wholly rooted in Christianity; at the same time, Christian Science departs from the teachings of other Christian denominations in several respects. For instance, although the life and teaching of Christ Jesus are central to Christian Science, Christian Scientists do not regard Jesus as God.

Some of the deeply held convictions which Christian Scientists do have in common with other Christians (and with followers of non-Christian faiths) are expressed in a section of the "Facts" pamphlet on pages 19-21. We hope the information in Science and Health along with that in "Facts" will be useful to you in preparing your master's thesis.

Yours respectfully,



A. W. Phinney
Assistant Manager
Committees on Publication

Enclosure

